

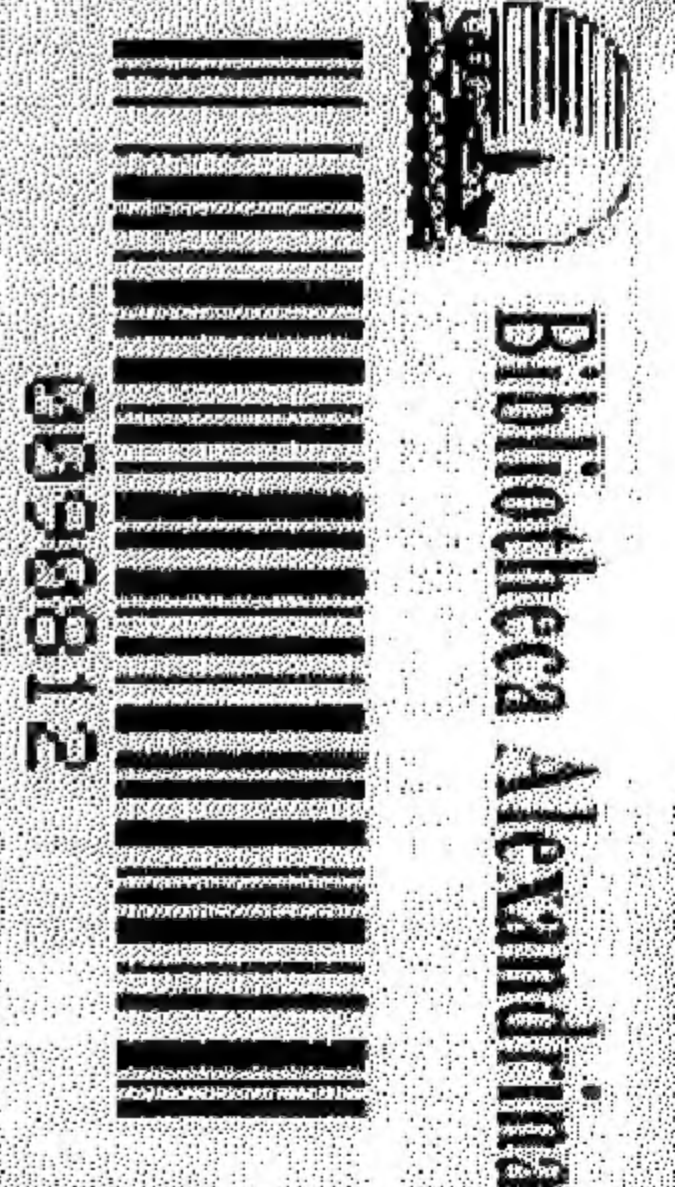
الدكتور شوقي أبو خليل

الحوار مع مستشرقين

حوار
مع مستشرقين

دار الفكر
دمشق - سورية

المعاصر
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحِوَارُ الْمُسَكَّنَاتُ
وحوار مع مستشرق

الدكتور شوقي أبو خليل
بدر

الحِوَارُ كَأَمِّهَا

وحوار مع مستشرق بدر

دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

الرقم الاصطلاحي : 1003
الرقم الدولي : 4 - 014 - 57547 - 1 ISBN
الرقم الموضوعي: 210
الموضوع : دراسات إسلامية
العنوان : الحوار دائماً ، وحوار مع مستشرق
التأليف : الدكتور شوقي أبو خليل
الصف التصويري : دار الفكر بدمشق
التنفيذ الطباعي : المطبعة العلمية بدمشق
عدد الصفحات : 192
قياس الصفحة : 17 × 25 سم
عدد النسخ : 2000

الإصدار الثالث 1416 هـ / 1996 م
الطبعة الأولى 1994 ،



جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه
بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة
والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي
وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من
دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
سورية - دمشق - ص.ب (962)
هاتف 2239717 ، 2211166
برقياً: فكر
فاكس 2239716

مقدمة

« إنَّ اختلاف المختلفين في الحق ، لا يوجب
اختلاف الحق في نفسه » .

ابن السيد البطلانيوسي

بسم الله القائل في محكم التنزيل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا
وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١/٥٨] .

وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله ، الذي خاطبه الله بقوله الكريم : ﴿ قَبِلا
رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضَّوْا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾
[آل عمران : ١٥٦٣] ، صلى الله على نبيِّنا الكريم القائل في تفسير هذه الآية : « مشاورة
أهل الرأي ثم اتباعهم » ، ورضي الله عن الحسن البصري الذي قال معلقاً على هذه الآية
الكريمة : « قد علم الله أن ما برسوله حاجة إليهم ، ولكن أراد أن يقتدي به من
بعده » ^(١) ، وبعد ...

منذ الشهر الثالث من عام ألف وتسع مئة واثنين وتسعين ، وأنا أفكر بكتاب يضم
بين دفتيه موضوع : (الحوار أولاً .. والحوار دائماً) .

الحوار أولاً ضمن الجماعة الإسلامية الواحدة .

والحوار أولاً بين الفئات الإسلامية على مختلف مواردها وقنواتها .

(١) وقال قتادة : « أمر الله نبيّه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحي السماء ، لأنّه أطيب لأنفس
النوم » .

والحوار أولاً بين المذاهب الإسلامية سنة وشيعة .
والحوار أولاً بين الإسلاميين وبين العلمانيين .
والحوار أولاً بين المسلمين وبين أهل الكتاب .

والحوار دائماً للتواصل ، ولمواصلة الألفة ، والسعي الحثيث للوصول إلى الحقيقة ،
بعيداً عن التعصب ، وتطبيقاً للقاعدة القائلة : استدل ثم اعتقد ، لأن تعتقد ثم تلوي
أعناق النصوص إلى ما يوافق اعتقادك .

الحوار أولاً .. تنفيذاً لأمر الله تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦/٢] .
﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور : ٥٤/٢٤] .
﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى :
٤٨/٤٢] .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤/٣] .

والحوار دائماً لتحقيق وحدة الصف ، وإلا فالطوفان قادم ، وسيجرف الجميع .
الحوار الذي هدفه الوصول إلى الحقيقة لاعتناقها ، والوصول إلى الطريق الأصوب
لسلوكه ، والوصول إلى التواصل المثمر ، والبعد عن التجافي ، كي لا نصل إلى موقف :
أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّورَ الْأَبْيَضَ .

حوار لا تقف فيه وقفة الخصمين المتضادين المتباينين ، حيث موقف نصرة
النفس ، وتفنيد مزاعم الآخر ، بأدلة من شأنها أن ترفع القدر ، وتحط من مقام
الناس ، بل تقف وقفة احترام للآخرين ، ونضع كلامهم وأمورهم على أحسن الوجوه ،

ما وجدنا لها وجهاً حسناً ، مع مجانبة الحقد ، وعدم الاستخفاف بأحد ، مع الألفة التي توجب الأخوة ، والأخوة التي أوصت بحسن العشرة ، وحثت على كريم الصُحبة .

الحوار الذي يفتح الأبواب الموصدة بين الإخوة أنفسهم ، وبينهم وبين الآخرين ، ويزيل ماتوهم كلٌّ عن الآخر ، والذي من أهم سماته ألا تشكيل لفكر ، ولا اتخاذ لموقفٍ إلا عن قناعة ودليل وتوثيق ، وإن خالف الهوى ، ودون خوف من نقد مثير متبصر ، بعيداً عن نقد التّقريع والتّشهير ومصادرة الأفكار والرّأي الآخر ، مع التّأكيد على نقاط الالتقاء ، بعيداً - في أوّل الخطى - عن نقاط الافتراق ، لأنّ التّركيز على نقاط الافتراق والخلاف ، يؤدّي إلى بزوغ السّلوّك الحاقد ، كما أنّ التّركيز على نقاط الالتقاء يوصل إلى بزوغ السّلوّك التّعاوني المتّسم بالحبّ والوداد .

الحوار أوّلاً .. بعيداً عن المواقف المتحجّرة ، التي توصل - وقد أوصلت - إلى ضيق الأفق ، والبعد عن الحقيقة ، وبعيداً عن تضييع الكلّ في سبيل الجزء ، فالإسلام كلّ ، والمذهب جزء ، والعاقل لا يعيش في ظلّ المذهب ، بل يعيش في ظلّ الإسلام ، ويموت في كنفه .

حوار يعتمد على محامتنا المبنية على أصول الإسلام وأهدافه ، لا الحوار الذي يسير في ركاب من يفكر لنا ، أو في ظلّ إرادة غيرنا ومشورته وأهوائه ، فالكلّ خاضع للحوار والمناظرة ، ومطالب بالدليل من الكتاب والسّنة ، ولقد قيل :

« اجتمع متناظران ، فقال أحدهما للآخر : هل لك في المناظرة ؟ قال : على شرائط : أن لا تغضب ، ولا تشغب ، ولا تعجب ، ولا تحكم ، وعلى أن لا تجعل الدّعوى دليلك ، وأن لا تجوّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلاّ جوّزت لي تأويل مثلها على مذهبي ، وعلى أن تؤثر التّصادق ، وتنقاد للتّعارف ، وأن يبقى كلّ منا في مناظرته على أنّ الحقّ غايته ، والرّشد بغيته » .

والحوار واجب وضرورة في هذا العقد الأخير من القرن العشرين ، حيث قيام النظام الدولي الجديد ، ينفذ عملياً : « لتذهب جميع الشعوب إلى الجحيم ، مادامت مصارف أوربة وأمريكة تترجّع على عرش المال^(١) » ، وتشعل بأيديها مواقد الحروب متى شاءت بقرار نظامي شرعي لمجلس الأمن ، يقع على عاتق أمريكة تفسيره وتنفيذه « ، وهذا النظام الدولي الجديد جعل ورقة حقوق الإنسان ورقة رابحة في يده ، يلوح بها في المكان الذي يريد ، والزمن الذي يحدّد ، ويضعها على رفوف المحفوظات في المكان الذي يريد ، مع العلم أن حقّ النقض (الفيتو) الذي تملكه يخالف أبسط قواعد حقوق الإنسان ، فأَيُّ (ديموقراطية) في الأمم المتحدة مع حقّ النقض الذي يتمتع به الأعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الأمن ، حيث لكلّ عضوٍ منهم الحقّ في أن يكون بمفرده أقوى من كلّ أعضاء الأمم المتحدة مجتمعين ؟ علماً ألاّ دَوَّرَ في هذا المجلس للمليار ومئتي مليون مسلم ، ولاحظ فيه للقارة الإفريقيّة ، ولا تمثيل فيه لأمريكة اللاتينيّة .

حوار في زمنِ التبشير ميزانيّته السنويّة عشرات المليارات من الدولارات ، جاعلاً العالم الإسلامي في قبضة الجهل والمرض والفقر .

حوار في زمنِ يتطلّع الناس فيه إلى (آفاق المستقبل) ، وأين سيكون قلب العالم غداً ؟

حوار في عالم يتحدّث عن الغد ، وشريحة عريضة من المسلمين محور حديثها ، وقطب انطلاقها ، خلافات سياسيّة تاريخيّة ، مضى عليها أربعة عشر قرناً ، أفما آن أن نترجم الحاضر في ضوء خبرات الماضي ، ونبنى المستقبل في ضوء هذه الخبرات ووقائع الحاضر ؟ ولو حرص بعضهم على امتزاج دون ذوبان ، أو اختلاط دون اقتران .

(١) ديون العالم الثالث تقدّر بمئات المليارات من الدولارات ، فوائدها السنويّة عشرات المليارات ، فديون الجزائر الخارجيّة - مثلاً - ٢٧ مليار دولار ، تدفع الجزائر من دخلها القومي السنوي المقدّر بـ ١٣ مليار دولار ، تدفع ٩ مليارات دولار - كلّ عام - لالسداد الديون ، بل فوائده وعمولات ، وتبقى الديون ثابتة = ٢٧ مليار دولار !!!

الحوار في زمن وُصِفَ فيه الإسلام بالعنف ، ويرفضه الحوار ، مع مصادرة آراء الآخرين ، حتّى قالت (بربارا والترز) - وهي من أشهر مقدّمات البرامج في التلفاز الأمريكي - تصف أحد كبار السّياسيّين للمسلمين ، إنّها لم يكن في تصوّرها أن أحد المسلمين يحدّد وقته بدقّة ، بل ويحترم مواعيده ، ولم تكن تعرف بوجود مسلم يحترم المرأة ، ويصل إلى ما يريد بالعقل والحوار ، وليس بالخطف والإرهاب^(١) .

العالم يتحدّث عن عالم الغد ، وعن انهيار الولايات المتّحدة مع مطلع القرن الحادي والعشرين ، حيث يصبح لها وضع شبه ثانوي ، والبديل هو اليابان وأوربة المتوحّدة (البيت الأوربي المشترك)^(٢) .

ويتحدّث أيضاً عن الأشياء التي سيستهلكها النّاس عام ألفين وما بعده ، وبأيّ شكل ستبدّل أنماط حياتهم وحاجاتهم وطموحاتهم وأحلامهم ؟ وما الذي سيحقّقه : (التيليفاكس : Telefax) ، أي : الرّسالة المهتوفة ، الرّسالة الخارقة لكل أنظمة الرّقابة ، والتي ينتشر الخبر من خلالها بسلسلة هندسيّة ، فما يُطبع في أقاصي الدّنيا يُنقل بعد سويّعات إلى أذانيها ، وإلى كلّ أرجائها ، وما يصوّر في العواصم الأوربيّة خلصة ، ويهم الأُمّة العربيّة ، والعالم الإسلامي ، ينقل (بالتيليفاكس) في اليوم ذاته إلى أرجاء الوطن العربي كله ، والعالم الإسلامي ، ليفضح أموراً ، ويكشف عن أخرى .

والخبر للمنوع ، والصّور المحظورة ، تصل لمن يسعى إليها ، ولن لا يسعى ، ولكن ... مع الحوار الصّادق الواضح الجلي ، لا خوف من (التيليفاكس) ، ولا من غيره مها تقدّم العِلْمُ وتقدّمت وسائل اتّصاله ، لأنّ (الصّدق والوضوح) يزيلان العمليّة التّراكيّة من التّسليم والخداع ، والتّسليم دون قناعة ، وبعد ذلك تكون المفاجآت !

(١) العالم الإسلامي : ١٢٨٤ ، الإثنين : ٩ - ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢ ، ص : ٥ .

(٢) آفاق المستقبل ، جاك أتاني (مستشار الرّئيس الفرنسي فرنسوا ميتران) ، دار العلم للملايين ، بيروت ،

ط ١ = ١٩٩١ .

هذا ، ومنذ شهر آذار (مارس) سنة ١٩٩٢ م ، وأنا أفكر في كتاب بحث على الحوار ، حيث الحجّة والعقل ، وحيث نبذ العنف الذي يدل على التّحجر ، وإيصاد باب البحث عن الحلول العقلانيّة ، وحيث نهاية التّدابر ، وترك التّخيّلات كلّ عن الآخر ، عكفت في رحلتي إلى باكو ، عاصمة جمهوريّة أذربيجان ، من الثّالث والعشرين من الشهر الخامس ، وحتى السّادس من الشهر السّادس ١٩٩٢ م ، على تلاوة كتاب الله المجيد ، مستخرجاً كلّ آيات الحوار ، فإذا معظم سور القرآن الكريم لا تخلو من حوار ، أو حوارات ، ناهيك عن تحكيم العقل والتّدبر والتّفكر ، حوار شامل عام ، مع كلّ الفئات والشّرائح المختلفة المتباينة عقائدياً ، ولو أردت إيرادها هنا لاحتجت إلى كتاب برأسه ، ولكن يكفيني القول : إنّهُ قبل خَلْق الإنسان كان الحوار ، الحوار بين الله سبحانه وتعالى والملائكة :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتَقْدُسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠/٢] .

وعدت إلى دمشق ، ورحت أبحث في مجالس الحوارات والمناظرات التي كانت تعقد في العهدين الأموي والعبّاسي . فوجدت الكثير الكثير ، كالحوارات التي كانت تدور في مجالس معاوية بن أبي سفيان مع عدد من الصّحابة ، وكحوار عمر بن عبد العزيز مع الخوارج ، وتبقى مجالس المناظرات في عصر المهدي والرّشيد شواهد على حرّيّة الفكر في العصر الذهبي لحضارتنا العربيّة الإسلاميّة ، مثل : المناقشات الحارّة بين سيبويه والكيسائي (علي بن حمزة) في شأن مسألة لغويّة ، وبين الشعراء والأدباء في تفضيل شاعر على آخر ، وبين أهل السّنّة والجماعة وبين المعتزلة في أمور فلسفيّة ، وبين المسلمين والمسيحيّين ، والمسلمين وزعيم المانويّة (يزدانبحث) ، وهذا يدل دلالة واضحة على ما كان للمناظرة في هذا العصر الذهبي من مكانة ، حتّى أصبحت من أهمّ مميزات ، وكبريات آثاره .

وجاء في (جواهر الأدب)^(١) مناظرات لطيفة ، مثل :

مناظرة بين السيف والقلم ، لزين الدّين عمر بن الوردي ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .
ومناظرة بين الليل والنّهار ، لمحمد المبارك الجزائري ، وله أيضاً مناظرة بين
الأرض والسّماء .

ومناظرة بين فصول العام ، لابن حبيب الحلبي ، المتوفى سنة ٧٧٩ هـ .
ومناظرة بين الجمل والحصان ، للمقدسي ، للتوفى سنة ٨٧٥ هـ .
ومناظرة البرّ والبحر ، وأخرى بين الهواء والماء ...

ومن المناظرات التاريخية الهامة في العهد العبّاسي : (الحيدة ، أو المناظرة الكبرى
في محنة خلق القرآن^(٢)) ، والتي دارت بين الإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم
الكناني ، وبين بشر المريسي ، بحضرة المأمون^(٣) الذي قال لعبد العزيز : « إنّه قد اتّصل
بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع ، وقولك إنّ القرآن كلام الله ... إلخ ، بحضرة
الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مسألتك بذلك من الجمع بينك وبين مخالفيك
على القول لتناظرهم في حضرتي ، وفي مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعتُ
المخالفين لك لتناظرهم بين يديّ ، وأكون أنا الحاكم بينكم ، فإن تبينَ الحجّة لك عليهم ،
والحقّ معك اتّبعناك ، وإن تكن الحجّة لهم عليك ، والحقّ معهم عاقبناك ، وإن
استقلت أقلناك » ، ثمّ أقبل المأمون على بشر المريسي ، وقال : يا بشر ، قم إلى
عبد العزيز فناظره وأنصفه .

(١) جواهر الأدب (المناظرات) : ٢٢٤/١ ، أحمد الهاشمي ، مكتبة المعارف - بيروت .

(٢) انظر طبعة : دار الفتح للطباعة والنّشر ، بيروت ، ط ١ سنة ١٩٨٢ م .

(٣) المأمون العبّاسي : [١٧٠ - ٢١٨ هـ = ٧٨٦ - ٨٣٣ م] عبد الله بن هارون الرّشيد ، سابع الخلفاء من
بني العبّاس في بغداد ، أطلق حرّية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلسفة ، لولا المحنة بخلق القرآن في
السّنة الأخيرة من حياته .

الحوار ضرورة ، لأنه من الطبيعي عند بني البشر ، والمسلمون بشر ، ولكن مادام لهم (ميزان) ، لا مانع من الخلاف ، بآدابه الإسلامية ، ولا (للاختلاف) ، ولا لقتل حاضريننا ومستقبلنا باسم اختلافات مضت ، وأضحت تاريخاً .

ذكر ابن القيم أن هنالك مئة مسألة خلاف بين عمر بن الخطاب ، وبين عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، وعلى الرغم من كل ذلك ما قص حبُّ أحدهما لصاحبه ، وما أضعف من تقدير ومودة أيٍّ منهما للآخر ، حتَّى جاء ابن مسعود اثنان ، أحدهما قرأ القرآن الكريم على عمر رضي الله عنه ، وآخر قرأه على صحابي آخر ، فيقول للذي قرأ على عمر : أقرأ فيها عمر بن الخطاب ؟ فيجهر ابن مسعود بالبكاء ، حتَّى يبيل الحصى بدموعه ، ويقول : اقرأ كما أقرأك عمر ، فإنه كان للإسلام حصناً حصيناً ، يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه .

والحوار الصحيح ، إن صدقت النِّيَّات ، لا يصل فيه أحد الطرفين إلى قواعد ، أو نتائج ، تشبه العبارات الآتية :

دائرة مربعة ، أو مثلث متوازي الأضلاع ، أو : النزول إلى الأعلى ، أو : الصُّعود إلى أسفل ، أو إن يحيط نصف الدائرة يساوي نصف قطرها لاشتراكها بكلمة (نصف) .

فمن دعوات الجاحظ (عمرو بن بحر) لصديق يحبه : « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً ، وبين الصدق سبباً ، وحُبَّ إليك التَّثبت ، وزين في عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوة التَّقوى ، وأشعر قلبك عزَّ الحقِّ ، وأودعَ صدرك برد اليقين ، وطرده عنك ذلُّ البأس ، وعرفك ما في الباطل من الذلَّة ، وما في الجهل من القلَّة » .

وجعل العلماء آداباً للمتناظرين المتحاورين ، وهي :

- ١ - أن يتحرّزا من إطالة الكلام ومن اختصاره .
- ٢ - وأن يتجنبّا غرابة الألفاظ وإجمالها .
- ٣ - وأن يكون كلامهما ملائماً للموضوع .
- ٤ - وألاّ يسخر أحدهما من صاحبه .
- ٥ - وأن يقصد كلُّ منهما ظهور الصواب ، ولو على يد صاحبه .
- ٦ - وألاّ يتعرّض أحدهما لكلام صاحبه قبل أن يفهم غرضه منه .
- ٧ - وأن ينتظر كلُّ منهما صاحبه حتّى يفرّغ من كلامه^(١) .

وبعد ...

أرجو أن أضع الناس على اختلاف مشاربهم أمام الحوار أوّلاً ، والحوار دائماً ، علّنا جميعاً نتوصّل إلى حلّ مشكلاتنا عن طريق الحوار ، والعقل ، والحجّة ، لا عن طريق العنف ، أو التسليم بلا دليل .

يقول الله تعالى في حكم التنزيل :

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٣/١٧] .

الدكتور شوقي أبو خليل

دمشق : ١ محرم الحرام ١٤١٥ هـ ،

١٠ حزيران (يونيو) ١٩٩٤ م .

(١) رسالة الآداب في علم آداب البحث والناظرة ، محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٧ سنة ١٩٥٨ ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .

الحوار دائماً ضمن الجماعة الإسلامية الواحدة

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهْدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

[البقرة : ٢١٣/٢]

إنَّ مما يوصم به الإسلام من قبل أعدائه ، رفضه للحوار ، لإيمانه بالعنف ، ولنبلذه مبدأ حرّية المعتقد . وصواب ما سبق : مما يوصم به بعض زعماء المسلمين وبعض مشايخهم ، وغلاة المتصوّفة منهم خاصّة ، رفضهم للحوار ، خوفاً من التّقد أن يهدم الهيبة المصطنعة ، والمصالح الشّخصيّة ، والمنافع المكتسبة ، فهم في منهجهم الصّوفي المغرق ، وفي تربيتهم وسلوكهم يغتالون الحرّية ، ويصادرون العقل ، ويعطلون الفكر ، إنهم يحون شخصيّة المرید تماماً .

مع أنّ الدّين الحقّ لا يعانق إلا العقل ، فمعانٍ من مثل يعقلون ، ويتفكّرون ، وأولو الألباب ، وأولو النّهي ، الذين يتدبّرون ، لا نجدها في الأدب الجاهلي ، فالعقل غذاؤه العلم والبحث ، وتحكيه في أمور الحياة أمر فطري طبيعي ، وللحكماء قاعدة فلسفيّة تقول : إنّ القسر لا يدوم ، وإنّ التّيّار غير الطّبيعي لا يبقى ، والتّيّار الفطري

هو الأقدر على البقاء والثبات ، ومن مميزات الإسلام أنه قد اعترف بجميع الميول الفطرية في الإنسان ، ولم يرفضها ، ولم يمنح لإحداها سهاً ونصيياً أكثر مما تستحقه .

« والعالم الذي يتقبل الشيء أو يرفضه دون دليل .. لا يمتلك الروح العلمية ، إنه مجرد مستودع فحسب لمجموعة من المعارف ، وآلة تسجيل قد سجلت كل ما تعلمته^(١) وعرفته ، ولكن لا يوجد في روحه ذلك النور والقياس السليم للقبول والإنكار ، إذن فليست روحه علمية^(٢) » .

المخلصون يعلمون ، أنه من قبل خلق الإنسان كان الحوار ، وسور القرآن الكريم زاخرة بآيات الحوار ، لذلك .. فهم يحاورون ، ولا يضرهم الحوار ، بل يزيدهم رفعة وسلامة بالرأي .

وغير المخلصين حينما يغلقون باب الحوار ، يفرغون الإسلام من جوهره في تحكيم العقل ، ويجردون الإيمان من لبابه ومن ركائزه ، فإن قال رجل غيور في الجماعة كلمة الحق الموثقة المخلصة ، ولم توافق أهواءهم أو مصالحهم للمادية ، قالوا عن قائل كلمة الحق : لقد ارتد ، وإن استفسر آخر عن مسألة أو قول أو فعل يخالف الشرع بجلاء ووضوح ، أو عن صلة بجهة مشبوهة ، لها صلتها بالماسونية والصهيونية العالمية ، بل تلك الجهة هي الماسونية والصهيونية العالمية^(٣) ، قالوا عنه : لقد نافق ، وهو سيئ الأدب مع شيخه ، وما أفلح من قال لشيخه : (لِمَ) .

وأحكامهم هذه أمر حتمي ، نتيجة مسلكهم التربوي ، لقد جعلوا من شعاراتهم : خطأ الشيخ خير من صواب المريد ، والمريد بين يدي الشيخ كالحنط بين يدي الحنط ، وإن قال الشيخ ، إن اللبن أسود ، فيجب الاعتقاد بذلك ، ولا يدري المريد الحكمة الإلهية التي وراء قول الشيخ !

(١) والأصوب أن نقول : كل مائتة .

(٢) مقالات إسلامية ، مرتضى للطهري ، ص : ٥٧ ، دار التعارف للطبوعات - بيروت .

(٣) ولا أعني هنا شيخاً أو جماعة بعينها ، أبداً ، إنما الحديث عن منهج هذه التربية الانطوائية التسلطية .

إنَّ الحوار يفسد عليهم سطوتهم ومنافعهم الماديَّة . ويحجِّم هيبتهم الجوفاء ،
الفارغة المضمون ، فويلٌ للمسلمين من ذلك الوحش الكاسر الذي لا يعرف قيماً إلاَّ
الكسب والمادَّة والزَّعامة ، والتَّعظيم الفارغ المحتوى ، والذي لا يعرف إلاَّ الكذبَ
مبَّرين ارتكابه بالمصلحة العامَّة ، والنِّفاق معلَّلين اقترافه بالحرص على سلامة الجماعة ،
ناهيك عن التَّدجيل والمراوغة والعصبيَّة للآل والأقارب ، والممالئين المنتفعين ، الذين
يحبُّون من أحبِّ الشَّيخ ، ويبغضون من أبغض الشَّيخ ، دون فيصلٍ من عقل ، أو حكم
من حوار .

إنهم يعيشون أجواء المحبة والرَّابطة الجاهليَّة ، ويتمرَّغون في أكناف العصبيَّة
القبليَّة ، لأنَّهم لقَّنوا أنَّ الشَّيخ أوحدهم دهره ، وفريد زمانه ، وكل (أولياء) الدُّنيا تحت
جناحه ، فإن طالب منصف بالدليل وسأل عن البرهان ، جاء الجواب : « مَنْ يعرف
يعرف ، ومن لا يعرف يقول كهُ عَدَس » . ونتيجة طبيعيَّة لهذه المبادئ ، يُهاجم
الآخرون وينتقدون دون معرفة علمهم وعملهم وإخلاصهم في مضمار الدَّعوة الإسلاميَّة .

ومن يرفض حديثاً موضوعاً مكذوباً على رسول الله ﷺ ، مثل : « ماصَّبٌ في
صدري شيءٌ إلاَّ وصبته في صدر أبي بكر » ، و « من أصلح جَوَانِيه ، أصلح الله بَرَانِيه »
و : « مَنْ صَلَّى خَلْفَ عَالِمٍ رَكَعَتَيْنِ ، وَسَمِعَ مِنْهُ كَلِمَتَيْنِ ، وَمَشَى مَعَهُ خَطَوَتَيْنِ ،
أَسْكَنَهُ اللَّهُ جَنَّتَيْنِ ، بِقَدَرِ الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ » ..

من يرفض هذه الأحاديث للوضوعة ، توجَّه إليه أصابع الاتِّهام ، إنَّه يشكُّك
بمسيرة الجماعة ، ويهدم بعضاً من أركانها .

ومن لا يقبل أن يُحمَّل معنى آية كريمة فوق ما يحتمل ، مرتدٌ نكص على عقبيه .

ومن يرفض الرُّؤى والنامات ، والقصص الرُّمزيَّة المتكرَّرة التي توظَّف في غير
محلِّها ، خصوصاً إذا خالفت الشَّرع ، عدوٌّ ، مندسٌ ينسَّق مع أعداء الجماعة ، إنَّ
حصوننا مهدَّدة من داخلها .

الاتهام سهل ويسير ومعدّ مسبقاً ، واختراع الافتراء أمر أسهل وأيسر .
أمّا مغمض العينين ، فهو المُخلصُ في جماعته ، لذلك تراه من المقرّبين .
ومن يرفض السّطحيّة والدّجل ، فهو مرفوض خطر على الجماعة .
والمستسلم الذي نحى عقله ومحاكمته ، مؤمن منوّر القلب ، خاشع ذاكر ، مَبَشِّر
بالجنّة .

« إنّ القسر لا يدوم » ، قاعدة أثبت الواقع سلامتها ، وإنّ التّيّار غير الطّبيعي
لا يبقى ، والتّيّار الفطري هو الأقدر على البقاء ، بل هو الباقي ، وتجارب الشّباب مع
معطلي العقل قاسية ومريرة ، تجارب تمثّل مصادرة الفكر ، ورفض الحوار ، ومَنْ قال
لشيخه : « لِمَ » لا يفلح ، بَنَوْا جماعتهم على التّسليم ، والمريد بين يدي الشّيخ كالميت
بين يدي مغسّله .

جلست مع أحدهم ، وقلت له :

الحوار أولاً ، والحوار دائماً ، وصحيح أن اندمال الجرح أبطأ من حدوثه ، وإنّ
اختلاف المختلفين في الحقّ لا يوجب اختلاف الحقّ في نفسه ، يهمني أمر الجماعة ،
وسلامة مسيرتها ، والاستفسار والتصويب ، وإزالة الشّك باليقين هو الهدف ، وأرفض
تصفية الحسابات ، والإدانة للإدانة ذاتها ، والإصلاح ووحدة الجماعة هما الهدف المرجو ،
إنّك تعتقد أن الأمور تجري بشكل سليم ، وتقرّ على الوجه الأكمل ، مع أنّ التّساؤلات
كثيرة عند عدد كبير من الشّباب ، الذين لا يسمعون إلّا أحبّوا الشّيخ ، وبرّوا الشّيخ
تدخلوا الجنّة ، هذا هو المنهج ، وهذا هو التّوجيه ، وهذا هو الفكر المطروح أولاً
وآخرأ .

وتعتقد ، ويعتقد منتفعون من حولك ، أن الأغلبية السّاحقة ضمن الجماعة معكم ،
تؤمن بما توجّهون ، وتصادق على ما تصنعون ، والحقيقة والواقع غير هذا ، كثيرون

لا يتكلمون خشية منكم على رزقهم ، ولقمة عيشهم التي طوّقتم أعناقهم بها ، أمّا قلوبهم فتعجّ بالتساؤلات ، ويإنكار أعمالهم وصلاتكم ، تعالوا إلى الحوار ، مع تسجيله وتوثيقه ، وكلّ إجابة مقنعة أو غير مقنعة تسجّل ، والطرفان - أنا وأنت - ملزمان شرعاً على قبول الإجابة المقنعة ، والدليل الواضح ، والحجّة الموثقة ، والشرع هو الميزان ، كتاباً كريماً ، وسنة شريفة ، والعقل قاضي ، فلا تقبل تعطيل الشرع والعقل ، لتقبل أن الخراطوم عاصمة سيبريّة ، وأيسلندة في الربع الخالي ، والأب (صن مون)^(١) في نيويورك مؤمن موحد ، وهو يدّعي علناً أنه للمسيح المنتظر ،-والوحي يتنزل عليه ، وأهدافه صهيونيّة باعتراف من زاره أكثر من مرة .

وبصدق واحترام ، سألته أسئلة كثيرة ، ومضت سنتان وأكثر ، ولم أتلّق جواباً واحداً .

(١) حركة صن مون (اللونيّة) حركة مشبوهة تدعو إلى توحيد الأديان وصهرها في بوتقة واحدة ، بهدف إلغاء الفوارق الدينيّة بين الناس لينصهروا جميعاً في بوتقة (صن مون) الكوري ، الذي ظهر بنبوءة جديدة في هذا العصر الحديث .

ولد القس الثري (صن مون) في كورية سنة ١٩٢٠ م ، وادّعى بأنّه على اتصال بالمسيح منذ ١٩٣٦ م ، وفي سنة ١٩٧٣ م انتقل إلى الولايات المتّحدة ، وهو رئيس المجلس العالمي للأديان ، وفي سنة ١٩٨٥ م أعلن (شايف هوان كواك) الذي يشغل منصب مساعد رئيس المجلس العالمي للأديان ، في مؤتمر انعقد بتركية عن نبوءة (مون) وأنه يتلقّى الوحي Revelation من السماء .

واليهودي (فرانك كوفمان) من أتباع (مون) ، ويعمل في مؤسسته ، ناشد علماء المسلمين في مؤتمر تركية أن يتفهموا موقف الأديان الأخرى مثل اليهوديّة والبوذيّة والهندوكيّة . إن اليهود يسعون دائماً -باعتبارهم أقلّيّة مفسدة- لبث دعاوى إذابة الفروق بين العقائد ، ممّا يهدد الطريق لهم ليتغلغلوا في شعوب الأرض ، ويكونوا هم المستفيدين في النهاية على حساب الأديان الأخرى جميعاً .

إنّ هذه الحركة تدورن فلك الحركات المسخّرة لخدمة الصهيونيّة العالميّة ، وإنّ الثراء الفاحش الذي يتحرّك فوقه (صن مون) ليشير إلى الجهة التي تمّوله وتقف وراءه لتستفيد من علمه ودعوته في تفتيت الأديان وتحطيم الأخلاق [الموسوعة الميسرة في الأديان وللذاهب للعاصرة : ٤٩١] .

يُست من حوار كان من طرف واحد ، وتيقّنت ألاّ جواب - بعد سنتين - عنده ، على الرّغم من متابعة الأمر من قبل شاهد حضر جلسات الحوار كلّها ، وأيقنت أن التّربيّة الصّوفيّة المتزمّنة لا تقبل حواراً ، ولا تسمح بالاستفسار عن أمر ، ناهيك عن النقد البناء ، حيث خير الجماعة وسلامة خطواتها إلى المستقبل .

وكانت خاتمة المطاف في تجربتي هذه ، كتابة وصيّة إليه ، معذرة إلى الله ، كتبت فيها :

ومضة فكريّة اقتنصها الخاطر في دقائق معدودات ، وصفتها بعد ذلك على رويّة ، فهي رأيي ، وقد تكون رأي كثيرين ممّن يهمهم ما يدور في مسجدهم ، ويتساءلون بصمت : من أين ؟ وإلى أين ؟ وكيف ؟ ومتى ؟

فلسامة المسيرة واستمراريتها معافاة ، ولكي تكون بين النّاس ندّاً ومسكاً وغاليّة ، أوصيك بإنزال النّاس منازلهم بقدر خدماتهم الفعلية للإسلام ، لا بقدر أقوالهم^(١) ، أو أموالهم : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣/٤٩] ، لا أغناكم ، ولقد حذر ﷺ من تكريم الغنيّ لغناه .

وتذكّر أنّه من أشدّ أنواع البلاء شماتة الأعداء ، وأنّ الشّورى - مع النّخبة - تبعدك عن الخطأ ، وتجنّبك النّدامة ، ولا تعدّ أحداً بشيء قبل ضمان التّنفيد ، لقد قال العرب في أمثالهم : « لا مروءة لكذوب » .

واحذر المزاودين ، فمن يكثر ويكرّر ولاءه ، وييدي تمسكته وتفانيه في الخدمة ، متّهم في قرارة نفسه ، يحاول دفع ذلك بصورة كاذبة من التّسليم المطلق ، وعليك بالفعّال قليل الأقوال ، والزم من صدّقك ، لا من صدّقك ..

(١) قال أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي (للتوفى ٥٩٤ هـ / ١١٨٧ م) : « إذا رأيتم من يدّعي حالاً مع الله تعالى وليس على ظاهره شاهد فاحذروه » ،

... وإياك والتعامل بوجهين ، لأنّ ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً كما أخبر سيّد المرسلين ، وأعلم أنه « ما أتزر رجل يزار أهتك لعرضه ولا أثلم لدينه من البخل » قال ﷺ : « السخي قريب من الله تعالى ، قريب من الناس ، قريب من الجنة بعيد عن النار ، والبخيل بعيد عن الله ، بعيد من الناس ، بعيد عن الجنة ، قريب من النار » ، وبذلك يكون للمسلم ، للمقصر السخي الكريم ، أحب إلى الله ، وأقرب من المسلم العابد البخيل الشحيح .

وشجّع على الأخذ بالعلوم الشرعيّة كلّها ، وبعمق ، لتدفع بكلّ ما أوتيت من قوة وضمّة ضحالة الفكر ، وندرة العلم عن الجماعة ، بسبب بعدها عن طلب العلم والمطالعة ، واكتفائها بالذكر ليس غير ، فهذا الطرح مضى زمانه وانتهى ، و « كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه مَنْ لا يحسنه ، ويفرح به إذا نُسبَ إليه ، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نُسبَ إليه ^(١) » .

ولا تجعل العلم سلعة تباع وتشترى !!

وافتح أبواب المودّة للمسلمين كافة ، مع الصلّة للمدرسة ، وبُعْداً بُعْداً عن كلّ مشبوه ، خصوصاً في الخارج ، واجعل خطوط المسيرة واضحة كالشمس في رابعة النهار ليس من دونها سحاب ... وشارك من تثق بعقلهم وإخلاصهم بمسؤولية القرار ، و « خطأ الشيخ خير من صواب اللريد » مقولة مرفوضة في ضوء الكتاب والسنة ، قال أرسطو : « أنا أحبُّ أفلاطون كثيراً ، ولكنني أحبُّ الحقَّ أكثر » ، ومثل هذا القول قاله ابن القيم بحقّ أستاذه الكبير ابن تيمية ...

.. لا تتكلم إلاّ مع البيّنة والدليل الموثق ، واسمح بالحوار ، فالروح العلميّة رائدها الحقُّ من أيّ أفقٍ ظهر ... وليكن الحوار اختلافاً لا خلافاً ، واختلاف الرأي لا يفسدُ للودّ قضية .

(١) وقد قيل : لا بُدَّ من أن تُعطِيَ العلمُ كلّك ، حتّى يعطيك بعضه .

اقرأ كلَّ يوم ساعة أو ساعتين على الأقل ، قراءة استيعاب .. ودون الجديد
الطريف على بطاقة ، كي تسهل عليك العودة إليه عند الحاجة دون كبير عناء ..

لا تسمح لأحد ، مهما كان شأنه أن يذكر أخاه عندك بسوء ، ومن يذكر أخاه بسوء
ابقه عندك ، واستدع الطرف الآخر ، عندها لن تسمع إلا الحقيقة التي تُقال بالوجه ،
مدعمة بالدليل الملموس ، وستُنهي بذلك تسعين بالمئة من مشكلات الغيبة ، والبهتان ،
والإفك ، والقييل والقال ، وضياح الوقت ، فالوقت أثمن ماملك ، إنه الحياة ...

ولا أوصيك بالتمسك بشرع الله ، أو بالتقوى ، فهذه وصية لكل مسلم ، أمّا أنت ،
فأوصيك بالورع ، لأنك في مقام القدوة ، لقد قالوا عن أبي حنيفة : كان يتحلّى
بالورع في جميع شؤونه ويتحرّى الحلال في جميع أعماله .

سأل تميم بن عدي اليربوعي عبد الله بن عباس قائلاً : بماذا يتم عقل الرجل ؟
فقال : إذا صنع المعروف مبتدئاً به ، وجاء بما هو محتاج إليه ، وتجاوز عن الزلة ،
وجازى على المكرمة ، وتجنب مواطن الاعتذار ، فقد تمّ عقله .

فعض السيء بحسن أفعالك ، ودل على الجميل بجميل خيالك .

واعلم أن الإسلام فيه غيب ، ولكن برهانه من عالم الشهادة ، فاجعل من عالم
شهادتك برهاناً على خفايا نفسك وحياتك .

أرجو الله أن يجعلك من طال عمره ، وحسن عمله ، وجزاك خير الجزاء ، وجزاء
الخير ..



من ركائز الحوار ضمن الجماعة الواحدة :

الشورى :

قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٦٣] .

الشورى ظاهرة سلبية تجعل الفرد إيجابياً وفعالاً ومساهماً بدور بارز في الحياة .

احترام الناس وإشعارهم بأقذارهم :

« فمن العظماء من يشعر المرء في حضرتهم بأنه صغير ، ولكن العظيم بحق ، هو الذي يشعر الجميع في حضرته بأنهم عظماء » .

جاء في [عيون الأخبار : ٢٦٤/١] : « قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من السراج ، فقال له رجاء بن خيثوة : يا أمير المؤمنين ، لمَ لا أمرتني بذلك ؟ أو دعوتَ له من يصلحه ؟ فقال : قمتُ وأنا عمر ، وعدتُ وأنا عمر » .

الالتزام بأداب الاختلاف :

فما قيل في هذا المجال : « قد اختلف معك في الرأي ، لكنني على استعداد لأن أدفع حياتي ثمناً لحقك في الدفاع عن رأيك » .

« ومن لا يستطيع أن يفكر فهو أبله ، أمّا من لا يجرؤ على التفكير فهو عبد » .

مع التسليم ألا وراثة في الأمور العلميّة ، والمناصب الدينيّة ، خصوصاً إذا كان الوارث المرشح ضحلاً لا قدرات علميّة عنده ، ولا مواهب لجمع الشمل لديه ، ولا إمكانيات لقيادة المركب ظاهرة بين يديه ، جاء في الفتاوى لابن تيمية ١١٨/٥ : « أكثر ما يفسد الدُّنيا نصفٌ متكلمٌ ، ونصفٌ متفقهٌ ، ونصفٌ متطبّبٌ ، ونصفٌ نحويٌ ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان » .

ومع الثناء الطيب ، والتقدير لجهود المخلصين للثمة .
والشعور بما يعاينه الآخرون من مشكلات .
والصفح عن العثرات العفوية ، وترك التآنيب عليها .
ومجانبة الحقد على من قدّم النصيحة .
وتشجيع المواهب ، وعدم الاستخفاف بأحد ، ندع جميع الزهورات تتفتّح دون
النظر إلى قرابة أو مصلحة خاصّة أو ماديّة .
ناهيك عن حسن الخلق ، وبشاشة الوجه ، ولطف اللسان ، وسعة القلب ..
والمتابعة ، قيل : الأثقال الخفيفة تصبح ثقيلة إذا كثرت .

☆ ☆ ☆

لماذا نغيّب الحوار ؟
ومن يحاور يثق بأفكاره .
ومن يحاور يعتقد أن عنده شيئاً ذا قيمة .
ولماذا ينقطع الحوار ؟
للاعتقاد على التسليم دون محاكمة .
ومن لا يحاور على يقين أنّه لا يملك الحقيقة .
لذلك .. سنستمر في الحفر حتى نصل إلى ينبوع صافي .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

الحوار دائماً

بين الجماعات الإسلامية على

مختلف مواردها وقنواتها

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[آل عمران : ١٠٤/٣ و ١٠٥]

إنني أرى أن نقطة الانطلاق في (الحوار دائماً) بين الجماعات الإسلامية على مختلف مواردها وقنواتها :

﴿ .. فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩/٤] .

ومعنى الرد إلى الله سبحانه وتعالى ، الرد إلى كتابه المجيد .

ومعنى الرد إلى رسول الله ﷺ ، الرد إلى سنته بعد وفاته .

وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين ، فإذا قال مجتهد من المجتهدين : هذا
حلال ، وقال آخر : هذا حرام ، فليس أحدهما أولى بالحق من الآخر ، وإن كان أكثر
منه علماً ، أو أكبر منه سنّاً ، أو أقدم منه عصراً ، لأن كل واحد منهما فرد من أفراد عباد

الله ، ومتعبداً بما في الشريعة للطهارة مما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومطلوب منه ما طلب الله من غيره من العباد ، وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد ، أو مجاوزته لها لا يسقط عنه شيئاً من الشرائع التي شرعها الله لعباده ، ولا يخرج من جملة المكلفين من العباد ، بل العالم كلما ازداد علماً ، كان تكليفه زائداً عن تكليف غيره ، ولو لم يكن من ذلك إلا ما أوجبه الله من البيان للناس ، وما كلفه به من الصدع بالحق ، وإيضاح ما شرعه الله لعباده : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : ١٨٧/٣] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩/٢] .

فلو لم يكن لمن رزقه الله طرفاً من العلم إلا كونه مكلفاً بالبيان للناس ، لكان كافياً فيما ذكر من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التكليف ، بل يزدون بما علموه تكليفاً ، وإذا أذنبوا كان ذنبهم أشد من ذنب الجاهل ، وأكثر عقاباً . كما قال تعالى عَنْ عَمَلٍ سَوْءٍ بِجَهَالَةٍ ، وَمَنْ عَمِلْهُ بَعْلَمٍ ^(١) ...

﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٢/٦] .

فَلِمَ الْفَرْقَةُ ، وَلِمَ اتَّبَاعُ السُّبُلِ ، وَالصِّرَاطِ مُسْتَقِيمٌ ؟

لذلك يُخْرِجُ المتعصب عن زمرة العلماء ، لأنه يرفض الحوار الموصل إلى الحقيقة ، ويتعصب لرأيه دون دليل يرجحه ، أو برهان يثبت به ، أو سند يقرره ، فمن جعل التعصب لمذهب ديناً ، أو من قنع بمحض التقليد وقال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢/٤٣] .

(١) مجموعة رسائل في علم التوحيد ، صححه وأشرف على طبعه القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإيرياني ، ص ٦٥ ، ط ١ : سنة ١٩٨٢ ، الجمهورية العربية السورية ، وزارة الإعلام والثقافة .

« قال الإمام الشافعي : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس .

قال أبو عمر وغيره من العلماء : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن العلم معرفة الحق بدليله ، وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى : فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد .
فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى ، والمقلد الأعمى ، عن زمرة العلماء^(١) . »

يقول ابن تيمية :

« وأنت تجد كثيراً من المتفقهة إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ، ولا يعدّهم إلا جهلاً ضالاً ، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً ، وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً ، بل يرى أن المتمسك بهما منقطع عن الله ، وأنه ليس عند أهلها شيء مما ينفع عند الله ، والصواب : أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق ، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل^(٢) . »

ولقد ورد عن الإمام الشافعي : « إذا صحّ الحديث فهو مذهبي » .

ورفض مالك بن أنس اقتراحاً عرضه عليه هارون الرشيد ، بأن يحمل الناس على العمل بما حواه (الموطأ) من الأحاديث .

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، ص : ٧ ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٩٧٨ م .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم ، ص : ١٠ ، مكتبة الرياض الحديثة .

وباب الاجتهاد مفتوح للمسلم المؤهل له ، وتكفير المسلمين لمخالفة في الرأي مرفوض ، ماداموا يؤمنون بالله رباً ، وبمحمد نبياً ، وحسابهم على الله تعالى ، فلا تكفير ولا رمي بالزندقة ، ولا إفتاء بسفك دماء مسلمة محرمة ، وبغير حق ، في معارك ظالمة لا يستفيد منها إلا العدو ، وقد يغذيها ويطرب لها .

والبديل (حوار) لجمع الشمل ، ووحدة الكلمة ، تحت مظلة الكتاب المجيد ، والسنة المطهرة ، فلقد قال ﷺ : « إنَّ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » [متفق عليه] .

(الحوار) ضمن روح التشريع للعلل بالصلحة ، قال الشاطبي [الموافقات : ٣٠٥/١] : « إننا وجدنا الشارع قاصداً لمصالح العباد فأحكام للعاملات تدور معه حيثما دار ، فترى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة ، فإذا كان فيه مصلحة جاز » .

لذلك .. لم يحمد عمر رضي الله عنه مع حرقية النص ، وإنما دار مع علته وروحه .
(حوار) بعيد عن الجدل والراء ، قال مالك بن أنس : « أوكلنا رجلاً أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء ؟ » .

ويتساءل للراء : هل الشطحات المخالفة لشرع الله خاضعة للحوار ؟ كوحدة الوجود مثلاً !

ومن البدهي أن تأتي الإجابة : كل ما خالف شرع الله ينبذ حكماً ، وهو غير خاضع للحوار ، ويخضع للحوار ما فيه وجهات نظر ، فنحاور للوصول إلى وجهة النظر الأسلم والأصلح ، على ضوء الدليل والواقع ، وفي حال وجود الإخلاص والنيات الطاهرة الطيبة يأتي هدى الله تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢/٢١٣] .

ومما يؤسف له أن تقرأ في بعض الكتب عبارات بعيدة عن آداب الحوار ، وسماحة الإسلام ، عبارات لا تزيد الصِّفَّ إلا تفرُّقاً وتشتُّتاً ، صحيح أنها وردت بعد عبارات من الشُّطحات التي لا يقرُّها الشرع من قريب ولا من بعيد ، مثل :

« خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله ، أسرجت وألجمت ، وطففت في أقطار البسيطة ثم ناديت : هل من مبارز ؟ فلم يخرج إليَّ أحد .

لو تحرَّكت غلّة سوداء فوق صخرة صماء في ليلة ظلماء في أقصى الصِّين ، لم أسمعها ، لقلت : إنني مخدوع ، واستدرك عليه آخر ، فقال : وكيف أقول : لم أسمعها وأنا محرَّكها ؟

ما الجنة ؟ هل هي إلا لعبة صبيان !!
لأسيرنَّ غداً إلى النار وأقول : اجعلني فدى أهلها ، أو لأبلغنها ... » .
جاءت عبارات التعليق على ما سبق :
« نهيق هؤلاء المخدولين .

نهيق تتضرع منه رائحة الزندقة .
هذا نفسٌ خبيث ، لا يلتبس إلا على بهيمة فتدبره .
اتباع كل ناعق .

إن من تمام إيمان العلماء الحكم عليهم بالكفر والزندقة ، والإفتاء بسفك دمائهم ..
إن رؤوسهم أئمة الكفر ، ويجب قتلهم ، ولا تقبل توبة أحد منهم إذا أخذ قبل التوبة ،
فإنه من أعظم الزنادقة ، ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم ، أو ذب عنهم ، أو أثنى عليهم ، أو عظم كتبهم ، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم ، أو كره الكلام فيهم ، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات ، لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من للمشايخ والعلماء والأمراء والملوك ..

وأما من قال : لكلامهم تأويل يوافق الشريعة ، فإنه من رؤوسهم وأئمتهم ، فإنه إن كان يعرف كذب نفسه ، وإن كان معتقداً لهذا ظاهراً وباطناً ، فهو أكفر من النصارى .

إن من يقول أو يعتقد بمثل عبارات الشطحيات التي أوردنا غانج منها : « خضت بجرأ وقف الأنبياء بساحله .. لو تحركت غلة .. » ، لاشك أنه مخالفة واضحة لشرع الله ، ولست في موقف الدفاع عنهم ، فأنا ممن يمت الشطحيات ، ويرفض العبارات التي قيلت فخالفت شرع الله ، وخلقت انقساماً في الأمة كنا بغنى عنه ، وكل الذي أريد قوله :

نرد بشكل علمي ، منطلقين من كتاب الله وسنة النبي الكريم ﷺ ، وتقديم الصواب الذي هو حكم الله في مثل هذه الأقوال ، ولكن دون شتائم وسباب يقلل من مستوى ردنا العلمي ، ودون فتوى بسفك دماء ، فالفتوى بسفك الدماء أمر خطير جداً ، تعطي الطرف الضال الحق بفتوى مماثلة ، عندها تجري سواقي الدماء ، ويتساءل العاقل : لمصلحة من تسفك هذه الدماء ؟ لنكتب النشرات والكتيبات المبسطة ، ولنقم الندوات والمحاضرات التي تقدم العقيدة سليمة معافاة من كل شائبة ، عندها : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [الرعد : ١٣/١٧] .

ليس الهدف الدفاع عن طائفة من المسلمين ، وإن كان ذلك واجباً طمعاً بالإصلاح ووحدة الصف ، ولكن ضمناً بإخواننا هؤلاء أن يكونوا داخلين في قوله ﷺ :

« إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما » [أخرجه البخاري والإمام أحمد^(١)]

(١) مجموعة رسائل في علم التوحيد ، ص ٩٠ وما بعدها ، وانظر ص ١٤٦ بخاصة .

لا نركّز على نقاط الافتراق ، ونشيع بوجوهنا عن نقاط الالتقاء ، فالتركيز على نقاط الافتراق يؤدي إلى ظهور السلوك الحاقد ، وضياح الجهود وانحرافها عن طريقها السليم ، بينما التركيز على نقاط الالتقاء يؤدي إلى بزوغ السلوك التعاوني المتسم بالحب والولاء ، والحوار يوصل إلى القاعدة الذهبية : « نلتقي فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

إنّ التواصل واجب ، ويجب أن يوصلنا إلى البنيان للرصوص ، والجسد الواحد ، وإلى التعاون في عمل دعوي مشترك ، ينبذ العنف ، ويرفض سفك الدماء ، ويؤمن بالحوار دائماً ، وهذا يعني التنسيق والانسجام بين الجميع ، مترسّين هدفاً ، أو أهدافاً ، يشترك الجميع في تحقيقه :

بقاؤنا في وحدتنا ، وضياحنا في خلافتنا .

ولنتأمل قول أحد العلماء الأفاضل :

أعطني سلفياً كابن تيمية ، تجد روحانية وتزكية الجنيّد .

وأعطني مؤمناً بتزكية الروح وصفائها كالجنيّد ، تجد سلفية ابن تيمية .

لقد حذر الجنيّد من فقهاء الصوفيّة ، ولم يعترض على صوفية الفقهاء ، وهذا هو موقف ابن تيمية جليّ في الفتاوى (الجزء العاشر والحادي عشر) ، واستناداً لابن تيمية يمكن القول :

تربية الروح ، مع تزكية القلب الذي يصدأ كما يصدأ الحديد ، والسلفية الحقّة حيث الكتاب والسنة ، وجهان لعملة ذهبية واحدة .

قال الشيخ الإمام محمد عبده : « مازال علماء المسلمين يكفّر بعضهم حتى لم يبق لمسلم مكان في الجنة ، إذا صدق أولئك العلماء » .

إن الفرقة ضياح ولظى ، والأمانى تيه وأحلام ، وضيق الأفق تحجيم وظلمات ،

والجدل وراء وخداع ، والحوار دائماً هو البديل ، حيث العقل والصواب ، وحيث قمم
المجد البشري ، ديناً ودنيا .

يقول نبينا الكريم ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه
تأويل الجاهلين ، وتحريف الضالين ، وانتحال المبطلين » .

دون تكفير ، بلا سفك دماء ، فكيف ينفون عنه تأويل الجاهلين ، وتحريف
الضالين ، وانتحال المبطلين ؟

إنهم يحملون العلم ، والعلم قادر وحده على إظهار الحق ، وإقامة الحجّة .

لقد أمرنا الله أن نقول للناس حسناً : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣/٢] ،
للناس بشكل عام ، فمن باب أولى للأخ المسلم .

ونذكر قيادات الجماعات الإسلامية أنه لا ينبغي أن يقال هذا حكم الله في هذه
المسألة ، أو هذه القضية ، فإننا لا ندري أنصيب حكم الله أم لا ، ولكن يقال هذا فهمي
 واجتهادي ، ولا ألزم الآخرين به ، إنه خاضع للحوار ، وإلا إذا قال هذا برأيه ، وقال
آخر برأيه ، ضاعت الحقيقة ، وضاعت الأمة .

ولا نأخذ من السنة ما يوافق أقوالنا ، ونحتال في ردّ ما خالفها ، أو ردّ دلالاته ،
وقبل منها ضعيف السند إن وافق أقوالنا ، فلا حكم بما يخالف النصوص : ﴿ وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مبيناً ﴾ [الأحزاب : ٣٦/٣٣] ، ﴿ أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢/٧] .

☆ ☆ ☆

الحوار دائماً بين السنة والشيعة

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ
مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ .

[البقرة : ١٤١/٢]

وأنا أهينُّ لهذا الكتاب ، وقع بين يدي كتاب أثلج صدري ، وقلت : إنَّ الوحدة الإسلامية محققة ، ولا شرخ كبيراً بين سنة وشيعة ، ولا حاجة لهذا الفصل : (الحوار دائماً بين السنة والشيعة) ، فالإسلام في جوهره ولبابه جامعة للقلوب ، وقطب محبة وتآلف ، فمن الطبيعي أن يؤلف بين أتباعه اليوم وغداً .

وما هي إلا أيام ، وتفاؤلي في أوجه ، إذ بصديق يحضر لي كتيباً فيه أدعية يقرؤها من زار مقام الحسين ، والعباس ، والسيدة زينب ، وفاطمة الزهراء ، رضوان الله عليهم جميعاً ، وفي نهاية الكتيب : (دعاء صني قريش) ، أي : أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتيقنت ضرورة كتابة هذا الفصل ، لضرورة التمام الشمل ، ووحدة الصف ، كما أمر الله تعالى .

سأستعرض أهم ما جاء في الكتاب الأول ، وأتناسى كل ما جاء في الكتاب الثاني ، ثم أدعو إلى حوار جامع موحد ، بصدق دون مواربة أو ظاهر طيب يخفي باطناً مرّاً حاقداً .

وقبل استعراض الكتاب الأول ، أقول :

حبُّ آل البيت جزء من إيمان كلِّ مسلم مهما كان مذهبه ، هذه حقيقة ثابتة لا مرية فيها ، فكل مسلم في صلواته اليومية يصلي ويبارك على محمد وآله .

وعلي رضي الله عنه بايع أبا بكر رضي الله عنه ، وأخلص في سرِّه وجهره ، ولم يأتمر به في حروب الردَّة ، بل كال الإخلاص ، ويعلن عن تمام التودُّد ، فحينما خالف المسلمون رأي أبي بكر في المرتدِّين ومانعي الزكاة ، خرج وحده شاهراً سيفه إلى ذي القصة ، فلحقه علي ، فأخذ بزمام راحلته ، وقال له : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ لا تفجعنا في نفسك ، فوالله لو أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام .

وقال علي رضي الله عنه : « لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً ما تركناه ^(١) » .

وقال أيضاً : « إنا لنرى أبا بكر أحقَّ النَّاس بها ، إنَّه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف له سنة ^(٢) » ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالنَّاس وهو حي ^(٣) » .

وجاء في كتاب (الشافي) ، قال علي : « إنَّ خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر » .

لقد مات رسول الله ﷺ وجمهور من الصحابة في النواحي يعلمون النَّاس دين الله ، فما منهم أحدٌ أشار إلى علي بكلمة يذكر فيها أنَّ رسول الله ﷺ نصَّ عليه ، ولا ادَّعى ذلك قط ، لا في ذلك الوقت ولا بعده ، ولا ادَّعاه له أحدٌ في ذلك الوقت ولا بعده .

ولو كانت الإمامة نصّاً ، كيف يسكت علي رضي الله عنه مدَّة خمس وعشرين سنة ؟

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد : ١٣٠/١

(٢) كان عمُّ أبي بكر ٦١ سنة عند مبايعته بالخلافة ، وعمُّ علي ٢٥ سنة فقط .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد : ١٣٢/١ .

وكيف لا يوصي لابنه الأكبر الحسن رضي الله عنه من بعده بنصاً أيضاً ؟
ولو كان نصّاً إلهياً ، أيجوز للحسن أن يتنازل عنها لمعاوية بحجة حقن الدماء ؟
ولم يصريح الحسين رضي الله عنه ، ولم يعلن ، وهو في طريقه إلى كربلاء أن الخلافة
نصٌ إلهي !!

ومع ذلك يستدل علي رضي الله عنه بصحة إمامته بالتالي : أرسل علي رسالة إلى
معاوية يقول فيها : « إِنَّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم
عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنا الشورى للمهاجرين
والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسموه إماماً كان ذلك لله رضي ، فإن خرج عن أمرهم
خارجٍ بطعنٍ أو بدعةٍ ردوده إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل
المؤمنين ، وولاء الله ما تولى ^(١) » .

وينقض ما يدّعيه بعض الناس من عداة تخيلوه بين علي والصحاب الكرام ،
وخصوصاً أبا بكر وعمر رضي الله عنهما :

زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، والتي أمها فاطمة
بنت رسول الله ﷺ ، وهذا ثابت عند كل المذاهب الإسلامية ^(٢) ، وله منها ولدان :
زيد ، ورقية .

ولعلي رضي الله عنه ولد اسمه (أبو بكر) من زوجته ليلي بنت مسعود التميمية ،
وله ولد اسمه (عمر) من أم حبيب بنت ربيعة التغلبيّة ، وله ولد اسمه (عثمان) من
أم البنين بنت حرام الكلبيّة ^(٣) .

(١) (نهج البلاغة) ، ص : ٣٦٦ ، تحقيق للرحوم الدكتور صبحي الصالح ، منشورات دار الهجرة ،
بيروت ، لبنان .

(٢) أعيان الشيعة ، للشيخ العلامة السيد محسن الأمين : ٢٢٧/١ .

(٣) أعيان الشيعة : ٢٢٧/١ ، وللحسن بن علي بن أبي طالب ولد اسمه (عمر) ، ولزين العابدين
السجاد بن الحسين بن علي ولد اسمه (عمر) أيضاً .

لقد انتقى علي رضي الله عنه وتخيّر أحبّ الأسماء إليه ، لذلك له ولد أيضاً باسم (محمد) ، وهو ابن الحنفية ، وكانت من سبي حروب الردّة .

وأيّن كان يصلّي علي رضي الله عنه زمن أبي بكر وعمر وعثمان ؟

لقد صلّى خلفهم ، ولو كانوا مغتصبين لحقه ، وظالمين له ، لما جازت الصلاة خلفهم ، فلا تجوز الصلاة إلا خلف عدلٍ منزّه عن كلّ ذنب أو تقيصة أو مخالفة شرعيّة وفق المذهب الجعفري .

وبعد فتنة الجمل ، التي أشعلتها بين الطرفين يدٌ خفيّة ، صلّى عليّ على القتلى من الطرفين .

وقيل صيّف أوصى علي رضي الله عنه جنده : لا أتباع لفارّ ، ولا غنائم ، ولا إجهاز على جريح^(١) .

ومن يقرأ (نهج البلاغة) فلن يجد فيه تكفيراً لأحد ، حتّى (الخوارج) .

وليس في (نهج البلاغة) كلمة من علي رضي الله عنه تشير إلى نصّ بإمامته ، ولا ما يشير إلى وصيّة ، ولا ذكر (لغدير خم) مطلقاً .

هذا بعض سلوك عليّ مع الصحابة الكبار ، وهذا منهجه ، وهذه أخلاقه وتربيته ، وهذا هو السلوك الطبيعي ، فالجميع تخرجوا من مدرسة رسول الله ﷺ .

☆ ☆ ☆

(١) نهج البلاغة ، ص : ٢٧٢ .

الكتاب الأول :

واسمه : (حول الوحدة الإسلامية ، أفكار ودراسات)^(١) :

جاء في مقدمته : « الوحدة الحقيقية إطار ، تنتظم في داخله الرؤى والتصورات والأنشطة على الرغم مما يتقسمها من اختلاف ، خاصة وأن الإطار بالنسبة للأمم المصطفى ﷺ متوافر موجود ، وذلك هو التوحيد والنبوة والمعاد ، والعديد من الجزئيات التي تتصل بالنظام والتشريع ، حيث نشاهد الاتفاق في أكثر المسائل الفقهية بين مذهبين على الأقل من للذاهب الإسلامية^(٢) » .

« ونحن إذ نقدم على هذا المشروع كبداية لما هو أعظم ، فإنما نهدف أن تتاح الفرص الجادة للمسلمين في التعرف بعضهم على بعضهم بالطرق العلمية والموضوعية البعيدة عن الظنون التي لا تغني عن الحق شيئاً .. ونداء كلمتها ، وتجاوز بعض الأمور الهامشية والجزئية ، التي لا تمس صميم الهيكل الإسلامي ، وأن تتجنب كل عوامل الفرقة والتشتت ، التي لا يستفيد منها إلا أعداء الله والإسلام ، الذين يتربصون بالجميع - سنة وشيعة - الدوائر ، من أجل الكيد لهم ، والقضاء عليهم ، كما أننا نناشد الغياري من أبناء أمتنا الرشيدة للتصدي الواعي لدعاة الخلاف والاختلاف^(٣) » .

ثم أورد الكتاب بعد هذا الكلام الجميل ، كلمات لكبار العلماء ، منها :

من توجيهات الإمام الخميني إلى ممثليه في موسم الحج سنة ١٣٩٩ : « على الإخوة الإيرانيين ، وجميع الشيعة في العالم أن يتجنبوا الأعمال الجاهلة التي تؤدي إلى تفرق صفوف المسلمين ، وعليهم أن يشتركوا في جماعات أهل السنة ، وأن يتجنبوا عقد صلاة

(١) إعداد قسم العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ ، طهران .

(٢) الكتاب المذكور : ١٠/١ .

(٣) الكتاب المذكور : ١١/١ .

الجماعة في البيوت .. إن طرح مسألة تقسيم المسلمين إلى سُنِّي وشيعة وحنبلي وإخباري لا معنى لها أساساً ، المجتمع الذي يريد أفرادهِ جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام ينبغي ألا يثير هذه المسائل .

كُنَّا إخوة ، وكُنَّا نعيش قلباً واحداً ، غاية الأمر أن الحنفي يعمل بفتاوى علمائه ، وهكذا الشافعي ، وثمة مجموعة أخرى هي الشيعة ، تعمل بفتاوى الإمام الصادق ، وهذا لا يبرّر وجود اختلاف .. كُنَّا إخوة ، على الإخوة الشيعة والسُّنة اجتناب كل اختلاف ، فالاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسُّنة ولا بالشيعة ، ولا بالمذهب الحنفي ، ولا بسائر الفرق الإسلامية .. عليكم جميعاً أن تنتبهوا جيداً أننا جميعاً مسلمون ، وأتباع القرآن ، وأهل التَّوحيد^(١) .

ثم أورد الكتاب رسالة آية الله المنتظري إلى علماء أهل السُّنة ، ومما جاء فيها :
استطاع المسلمون الانتصار على الإمبراطوريتين ، روميّة وفارسيّة ، وأرجع (منتظري) الانتصار لسببين :

١ - الإيمان بالله والاعتماد عليه .

٢ - وحدة الكلمة .

ثم قال : « تعالوا نَعُدْ إلى الإسلام بعد أربعة عشر قرناً . ونُلْقِ خلافتنا الجزئية جانباً على أساس الإيمان بالله^(٢) » .

وجاء في الكتاب تحت عنوان (النداء الأخير للشَّهيد الصدر) : « وإني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة ، بذلت هذا الوجود من أجل الشَّيعة والسُّنِّي على السَّواء ، ومن أجل العربي والكردي على السَّواء ، حيث دافعتُ عن الرِّسالة التي

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٢١ .

(٢) الكتاب المذكور ، ص : ٢٣ و ٢٤ .

توحدهم جميعاً ، وعن العقيدة التي تضمهم جميعاً ، ولم أعش بفكري وكياني إلا للإسلام :
طريق الخلاص ، وهدف الجميع ..

فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشّيعي .

أنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام .

إنّ الحكم السنّي الذي مثله الخلفاء الراشدون ، والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل ، حمل علي عليه السّلام السيف للدّفاع عنه ، إذ حارب جندياً في حروب الرّدة ، تحت لواء الخليفة الأوّل -أبي بكر- وكلّنا نحارب عن راية الإسلام ، وتحت راية الإسلام ، مهما كان لونها للذهبي^(١) .

أمّا الشّيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فيقول كلاماً رائعاً ، تقتطف منه :

« هيهات أن يسعدوا ما لم يتحدوا^(٢) » ، ثم يقول :

« وليس معنى الوحدة في الأمّة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر فيصمت ، ويتغلّب عليه فيسكت ، ولا من العدل أن يقال للمهضوم إذا طالب بحقّ ، أودعنا إلى عدل إنك مفرّق أو مشاغب ، بل ينظر الآخرون إلى طلبه ، فإن كان حقّاً نصرّوه ، وإن كان خيلاً أرشدوه وأقنعوه ، وإلا جادلوه بالتي هي أحسن مجادلة الحميم لحميه ، والشّقيق لشقيقه ، لا بالشّائم والسّباب ، والمنابرة بالألقاب ، فتحتدم نار البغضاء بينهما ، حتّى يكونا لها معاً خطباً ، ويصبحا معاً للأجنبيّ لقمة سائغة ، وغنية باردة^(٣) » .

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٢٥ و ٢٦ .

(٢) الكتاب المذكور ، ص : ١٦٠ .

(٣) الكتاب المذكور ، ص : ٢٧ .

« نعم أعظم فرق جوهرى ، بل لعلّه الفارق الوحيد بين الطائفتين : السُّنة والشيعة ، هوقضية الإمامة ، حيث وقفت الفرقتان منها على طرفي الخطّ ، فالشيعة ترى أن الإمامة أصل من أصول الدّين ، وهي رديفة التّوحيد والنّبوة ، بخلاف إخواننا من أهل السُّنة ، فهم متفقون على عدم كونها من أصول الدّين ، ومختلفون بين قائل بوجوب نصب الإمام على الرّعيّة بالإجماع ونحوه ، وبين قائل بأنها قضية سياسيّة ليست من الدّين في شيء ، لا من أصوله ولا من فروعها ، ولكن مع هذا التّباعد الشّاسع بين الفريقين في هذه القضية ، هل تجد الشيعة تقول إنّ من لا يقول بالإمامة غير مسلم ، كلا ، معاذ الله ، أو تجد السُّنة تقول إنّ القائل بالإمامة خارج عن الإسلام ، لا وكلا ، إذن فالقول بالإمامة وعدمه ، لاعلاقة له بالجامعة الإسلاميّة وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله ، ووجوب أخوّته ، وحفظ حرمة ، وعدم جواز غيبته ، إلى كثير من أمثال ذلك من حقوق المسلم على أخيه^(١) . »

أمّا الشّيخ محمد جواد مغنية فيقول :

« هل يذكر السُّني ، وهو في هذه الرّحلة الرّوحيّة [في الحجّ] ، وأمام هذه للمشاهد القدسيّة أنّه سُنّي ؟ وهل يذكر الشّيعة أنّه شيعي ؟ أم هم جميعاً قرآنيون ، بسُنّة محمد عاملون ، وعلى محبّة محمد وآله منظرون ؟

هل للسُّنة هناك بيت يطوفون به ، وللشيعة بيت ؟

هل لهؤلاء مسعى ، ولأولئك مسعى ؟

هل تقف طائفة في هذه النّاحية من عرفات ، وطائفة في تلك ؟

هل يعتقد السُّني وهو أمام القبر الطّاهر أن هذا الرّسول بُعث إليه وحده من دون أخيه الشّيعة ؟

(١) الكتاب المذكور ، ص : ١٠٢ .

أو هل يعتقد الشيعي وهو أمام المزارات المعظمه لآل رسول الله الأطهار وصحبه الأبرار ، أن هؤلاء الأبطال مثله هو من دون أخيه السنّي ؟

كلا ، إنهم جميعاً يُحرّمون إحراماً واحداً ، ويطوفون طوافاً واحداً ، ويقفون بعرفة ، وينزلون بمزدلفة ، ويرمون الجمار ، وينحرون ويدبحون ، ويقصدون مسجد الرسول مشتاقين ، ويقفون أمام جدته الطاهر خاشعين ، ويزورون آله وصحبه معتبرين .

رباه ! هل ظنّ المسلمون أنّك أردت لهم في هذه الوحدة مظهرها الرائع حين يحجّون ، ثمّ أبحث لهم أن يتفرّقوا شذر مذر وهم إلى أهلهم راجعون^(١) ؟ ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٦/٢٤ و ١٧] .

وقدّم الشيخ عبد المجيد سليم ، رئيس لجنة الفتوى في الأزهر ، ووكيل جماعة التّقريب ، بياناً للمسلمين ، جاء فيه :

إنّ الدّين الإسلامي قائم على نوعين من الأحكام :

أحدها : أحكام ثابتة ، يجب الإيمان بها ، ولا يسوغ الاختلاف فيها ، وليس من شأنها أن تتغيّر بتغيّر الزّمان والمكان ، ولأنّ تخضع لبحث الباحثين ، واجتهاد المجتهدين ..

والثّاني : أحكام اجتهاديّة نظريّة مرتبطة بالمصالح التي تختلف باختلاف ظروفها وأحوالها ، أو راجعة إلى الفهم والاستنباط اللّذين يختلفان باختلاف العقول والأفهام ، أو واردة بطريق لا يرقى إلى درجة العِلْم واليقين ، ولا يتجاوز الظنّ والرّجحان ..

(١) الكتاب المذكور ، ص : ١٥٩ و ١٦٢ .

والنوع الأول من الأحكام - وهو القطعي في روايته ودلالته - وهو الأساس الذي أوجب الله على المسلمين أن يبنوا عليه صرح وحدتهم غير متنازعين ، وربط به عزهم وقوتهم في أعين خصومهم والتربصين بهم ، والمسلمون كلهم مؤمنون به إيماناً ثابتاً لا يتزعزع ، لا فرق في ذلك بين طائفة منهم وطائفة ...

أما النوع الثاني من الأحكام ، فإن الاختلاف فيه أمر طبيعي ، لأن العقول تتفاوت ، والمصالح تختلف ، والروايات تتعارض ، ولا يعقل ، في مثل هذا النوع ، أن يخلو مجتمع من الاختلاف ، ويكون جميع أفرادها على رأي واحد في جميع شؤونها ، وهذا النوع من الاختلاف غير مذموم في الإسلام ، ومادام المختلفون مخلصين في بحثهم ، باذلين وسعهم في تعرف الحق واستبانتها ، بل إنه ليرتب عليه كثير من المصالح ، وتتسع به دائرة الفكر ، ويندفع به كثير من الحرج والعسر ، وليس من شأنه أن يفضي بالمسلمين إلى التنازع والتفرق ، ويدفع بهم إلى التقاطع والتنازع .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان ، والأئمة عليهم الرضوان يختلفون ، ويدفع بعضهم حجّة بعض ، ويجادلون عن آرائهم بألتي هي أحسن ، ويدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة واللوعظة الحسنة ، ولم تسمع أن أحداً منهم رمى غيره بسوء ، أو قذفه بيهتان ، ولا أن هذا الاختلاف بينهم كان ذريعة للعداوة والبغضاء ، ولا أن آراءهم فيما اختلفوا فيه ، قد اتخذت من قواعد الإيمان وأصول الشريعة التي يعدّ مخالفها كافراً أو عاصياً لله تعالى ، وقد كانوا يتحامون الخوض في النظريات ، وفتح الآراء في العقائد وأصول الدين ، ويحتمون الاعتصام فيها بالمأثور ، سداً لذريعة الفتنة ، وحرصاً على وحدة الأمة ، وتفرغاً لما فيه عزهم وسعادتهم وارتفاع شأنهم ، لذلك كانوا أقوياء ذوي عزة ومهابة^(١) : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩/٤٨] .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمة الله تعالى عليه :

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٢٠ .

« وإنَّ هذا العصر الَّذي تتجمَّع فيه الدُّول ، وبحس كلِّ إقليم أنَّه مأكول إن لم يكن في جماعة من الدُّول ، وأنَّه مغلوب على أمره إن لم يتَّجه مختاراً إلى تجمُّع دولي^(١) .. » .

« الاجتماع باسم الإسلام اجتماع لا يقوم على المغالبة ، بل على الأخوة العامَّة ، والمودَّة الرَّاحمة ، الَّتِي يحثُّ عليها ذلك الدِّين القويم^(٢) » .

أمَّا الشَّيخ محي الدِّين القليبي التُّونسي فيقول :

« لو رجعنا إلى المكتبة الإسلاميَّة مثلاً أو أحصينا الكتب الَّتِي ألُفَّت في تغذية الخلاف بين المسلمين إلى جانب الكتب الَّتِي تعمل على إصلاح ذات البين لا تُضح لنا كيف كانت عوامل الشَّرِّ أقوى وأعظم بكثير من عوامل الخير ، ولعلمنا علم اليقين السَّرُّ في بقاء الخلاف بين المسلمين على أشده إلى اليوم ككائن حي ، ينمو ويقوى ، خصوصاً إذا احتضنته أيدي أعداء الإسلام رغم أنَّ المسلمين فقدوا الدَّولة الَّتِي اختلفوا على نظامها ، والسُّلطان الَّذي تنازعوا عليه ، وضعف الدِّين الَّذي نقلوا إليه الخلاف وتفرَّقوا فيه ، وأخيراً فقدوا وجودهم وتخطَّفهم النَّاس ، فهم على كثرة عددهم غشاء كغشاء السَّيل ، لا يملك أحدهم حرِّيَّة إدارة بيته ، فضلاً عن بلاده وأمَّته .

توحيد قلوب أهل التَّوحيد حول الأصول العليا للإسلام ، وأن تكون الدَّعوة للحقِّ بالحقِّ ، وبما أدبنا به الحقُّ تعالى^(٣) » .

أبو القاسم آية الله الكاشاني : سأله بدمشق أحدهم عن رأيه في الخلاف بين السُّنَّة والشيعة ، بحضور عدد كبير من الطَّائفتين ، فأجاب : أنا مسلم ، لا أعرف إلاَّ الإسلام الَّذي جاء به محمد من عند ربِّه ، وهو الَّذي يجب أن يتَّحد عليه المسلمون ، أمَّا ماعدا ذلك فلكلِّ أن يحتفظ بما عنده لنفسه ، وإنَّ كلَّ المسلمين يجب أن يتَّحدوا اليوم لمقاومة

(١) الكتاب للذكور ، ص : ٤٣ .

(٢) الكتاب للذكور ، ص : ٤٥ .

(٣) الكتاب للذكور ، ص : ١٠٩ .

الاستعمار بقلب رجل واحد ، وأن يعتصموا بجبل الله كما أمرهم الله ، وألاً يتفرقوا ،
فحال المسلمين أخطر مما تتصور ، ووجوب اتّحادهم للإتقاذ والخلاص هي أوكد من كل
شيء الآن .

تلك هي آرائي التي اكتسبتها من مدرسة القرآن الكريم^(١) .

ماسبق ، يثلج الصدر ، ويسرّ الخلق ، وتطرب له القلوب السّاعية لوحدة
الصّف ، خصوصاً وأحاديث رسول الله ﷺ ، والتي يعترف بها الطرفان بصحّتها
تقول : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في
حاجته ، وَمَنْ فَرَّجَ عن مسلم كربة ، فَرَّجَ الله بها عنه كربة من كُرب يوم القيامة ،
وَمَنْ ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » [الحياة : ١٠٠/٥ ، عن مجمع البيان :
١٣٤/٩] .

وورد عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه : « يحقّ على المسلمين الاجتهاد في
التّواصل ، والتّعاون على التّعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على
بعض حتّى يكونوا كما أمرهم الله عزّ وجلّ ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، متراحين ، مغتّين لما
غاب عنكم من أمرهم ، على ماضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ » ،
[الكافي : ١٧٥/٢] ، وورد عنه أيضاً : « المسلم أخو المسلم ، وحقّ المسلم على أخيه المسلم
أن لا يشبع ويجوع أخوه ، ولا يروى ويعطش أخوه ، ولا يكتسى ويغرى أخوه ، فما
أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم » [سفينة البحار : ١٣/١] .

☆ ☆ ☆

(١) وجاء في وصيّة علي رضي الله عنه لابنيه الحسن والحسين - ولكل من حوله - « الله الله في أصحاب
نبيكم ، فإنّ رسول الله ﷺ أوصى بهم » [البداية والنهاية : ٣٢٩/٧] .

إنَّ العصبية تهدم بناء الوحدة .

وعزتنا في الوحدة لا في التفرق .

يقول علي رضي الله عنه : « مَا حَفِظْتُ الْأُخُوَّةَ بِمِثْلِ الْوَأَسَاءَةِ » [غرر الحكم : ٣٠٩] ، لقد كان رضي الله عنه إمام المنصفين في الخلاف وقدوة للمتساعين في الدين ، حتَّى أنصف من قتله ، وراح يوصي بتطبيب طعامه ، وإلانة فراشه ، ويوصي بعدم التمثيل به : « يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، لَا أَلْفِينُكُمْ تَخَوْضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا ، تَقُولُونَ : قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي ، انظروا إذا أنا ميتٌ من ضربته هذه ، فاضربوه ضربةً بضربة ، وَلَا تَمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِيَّاكُمْ وَالْمَثَلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ » [نهج البلاغة : ٤٢٢] .

ونطق رضي الله عنه بصريح العبارة : « إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّائِينَ .. اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ ... » [نهج البلاغة : ٣٢٢] .
وبعد هذا كله .. أما أن تجاوز المتطرفين (الشَّتَّامين) لتلك المقامات المحترمة ، حيث إثارة الأحقاد ، واستعار الحفائظ ، خصوصاً والآيات القرآنية الكريمة صرَّحت بفضلهم ومكانتهم ؟

وأما أن تقبل قول الصَّحابة في الحديث ، وقد قبلنا القرآن الكريم الذي جمعوه ؟

يأهل السُّنة والشيعة : « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، وأنتم تحبونها منا ، وهي تسرنا منكم ، وهي أن نأخذ بأداب سيدنا علي وهديه ، ونقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، فإن خالفتموه في ذلك فقد بطلت دعوى العصمة ، وإن لم تتجاوزوا قوله ولا فعله فأهل السُّنة معكم ، وأنتم منهم ، وهم منكم ، وهاهي ذي أقواله وأعماله رضي الله عنه تعرض عليكم :

لقد بايع الإمام علي للأئمة الثلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده . وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين طبقاً لما أخبره جده الصادق عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين أفضل الصلاة والتسليم .

سئل رضي الله عنه عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال : من الكفر فُروا ، قيل : أفنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً ، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ، قيل فها هم ؟ قال : قوم بغوا علينا ، فقاتلونا وقاتلناهم .

(الحوار دائماً) ، الحوار الممتزج بخشية الله للوصول إلى الحقيقة ، ووحدة الكلمة .

مع رهبة عقابه عند المراوغة والفرقة والكيد .

وأن لنا أن نترك محاكمة التاريخ ، ونفكر بحاضرنا ومستقبلنا ، ولا تقتل حاضرنا ومستقبلنا باسم الماضي .

وأن نُميت هذا الحقد المتوارث الذي جعل الحلم الجميل ، حلم وحدة الصف ، أمنية بعيدة .

ونتهي هذا الفصل بالذي بدأناه به : حب آل البيت جزء لا يتجزأ من إيمان كل مسلم مهما كان مذهبه ، هذه حقيقة ثابتة لا مرية فيها .. فحب آل البيت عامل رئيس في الحوار ، وعلى طريق الوحدة .

روى البخاري : صلى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان ، فحمله على عاتقه ، وقال : بأبي ، شبيه بالنبي لا شبيه بعلي ، وعلي يضحك [رواه البخاري ، كتاب المناقب] .

وكسا عمر رضي الله عنه أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يكن فيها ما يصلح للحسن والحسين ، فبعث إلى الين ، فأتى لها بكسوة ، فقال : الآن طابت نفسي ، كما ذكر ابن الجوزي في كتابه (عمر بن الخطاب) .

الحوار دائماً بينَ المسلمينَ وبينَ العلمانيّينَ

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

[مآ : ٢٤/٢٤]

الإسلام دين دعوة ، لا دين سيف .

إنه دين حوار وفكر ، لا دين دماء وقهر ، والتعسف ينافي حرّية المعتقد ، ولذلك يرفضه الإسلام .

وجلسة فيها عشرات الرجال ، تبقى في الأذهان منها صور ، صور المتحاورين باحترام ، وتبقى عباراتهم وأفكارهم ومناقشاتهم وتحليلاتهم ، تذكر بالتقدير ، ويمقت العنف ، أو الكلمات اللاعقلانية غير الموثقة .

والمثل الأعلى للحوار مع العلمانيّين ، حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٩ / ٤١-٤٨] .

رأى جعفر الصادق ابن العوجاء مرّة بالحرم ، فقال له : ما جاء بك ؟ قال : عادة الجسد ، وسنة البلد ، ولنبصر ما الناس فيه من الجنون والخلق ، ورمي الحجارة ، قال الصادق : أنت بعد على عتوك وضلالك يا عبد الكريم ؟ فذهب يتكلّم ، فقال الإمام : لا جدال في الحجّ ، ونفض رداءه من يده ، وقال : إن يكن الأمر كما تقول ، نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول ، نجونا وهلكنا .

أي صبر في حرّية الفكر كمثّل هذا الصبر ، حيث تؤدّي للناسك ؟!

واللباقة صيغة أساسية يجب توافرها في (الحوار دائماً) ، لنضمن نجاحه ، ونصل ، أو تقترب من الحقيقة ، وترجم الحاضر في ضوء خبرات الماضي ، ونعبر إلى المستقبل في ضوء خبرات الماضي ، ووقائع الحاضر .

ومما يلفت النظر هجوم العلمانيّين على التراث ، وثناؤهم على المعتزلة .

قد لا يكون ولاء كثيرين للتراث مطلقاً ، ولكننا لن نسمح لأنفسنا ولا للآخرين بإعدام التراث كلّ بحجة قراءته قراءة علميّة ، لأنّ الإنسان بلا جذور ، إنسان بلا مستقبل .

وأيّ ثناء على المعتزلة ، وحرّية الفكر مصادرة ؟ حيث جبر الناس وقهرهم بالقول بأفكارهم ، كالقول (بخلق القرآن) مثلاً .

« إنّ الخطأ الذي ارتكبه المعتزلة أنّهم أرادوا فرض فكرتهم على الناس ، وعلى العلماء » ، ومع ذلك يمتدح العلمانيون المعتزلة ! ويتناسون (المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن)^(١) ، التي دارت بين الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي ، وبين بشر

(١) الحيّدة ، أو المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن ، للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي ، للتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، نشر في (دار الفتح للطباعة والنشر) بيروت - لبنان ، ط ١ سنة ١٤٠٢ هـ /

المريسي^(١) ، بحضور الخليفة العباسي (المأمون) ، وهذه المناظرة تلقي الأضواء على إمام رزقه الله الفهم وحسن البيان ، والحوار بالتي هي أحسن .

ولسنا هنا بصدد إيراد هذه المناظرة ، ونكتفي بقول الإمام عبد العزيز في ختامها : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبرنا في كتابه بخلق الإنسان في ثمانية عشر موضعاً ، ما ذكره في موضع منها إلاَّ أخبر عن خلقه ، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ، ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق ، ثمَّ جمع بين القرآن والإنسان في آية من كتابه ، فأخبر عن الخلق للإنسان ، ونفى الخلق عن القرآن ، فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، ففرَّق بين القرآن والإنسان .. فقال المأمون : أحسنت يا عبد العزيز .

الإلزام والإكراه ، ممَّا لا يجوز في الإسلام .

الحوار دائماً هو البديل أولاً وآخرأ .

في فندق قصر الرياض ، بتاريخ ١٥ شوال ١٤١٣ هـ ، للوافق ٦ نيسان ١٩٩٣ م ، دار حوار بين الدكتور يوسف القرضاوي ، والأستاذ أحمد لطفي الخولي ، كنت حاضراً في هذا اللقاء بين هذين العَلمَين الكبيرين ، ومما قالاه ، واتَّفقا عليه دون اختلاف :

نقش عن نقاط اللقاء ، لاقاط الاختلاف .

العلم في كلِّ مجالاته فرض ، فابن النفيس الطبيب . ترجم له السُّبكي في طبقات الشافعية ، وابن رشد ، قاض فقيه فيلسوف ..

العدو الصهيوني يزود أمريكا بالحاسوب ، ونحن اختلفنا في تسميته حتى طُرِحت كلمة (العَصْرِيَّة) اسماً له ، خلل لاشك يجب تجاوزه .

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي ، فقيه معتزلي ، عارف بالفلسفة ، يُرمى بالزندقة ، وقبل كان أبوه يهودياً ، توفي عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م .

إن وجدنا رافضين للدُّنيا ، فس نجد أيضاً الرافضين للدين ، والصواب : الإسلام دين الحياة ، كما هو دين الآخرة .

لا ... للعروبة العلمانية ، وكما أنه لا .. للإسلام الشعبي .
المكوّن الرئيس والأساس لهذه الأمة ، هو الإسلام حضارة وفكراً .
والعروبة وعاء الإسلام .
الحوار مع الآخر أمر طبيعي ، ولكن دون أن نفقد هُويّتنا .
القرآن الكريم غير خاضع للنقاش ، والتفسير خاضع للنقاش .
نفكر بالحاضر والمستقبل .
التواشج الوثيق بين التراث والمعاصرة ضرورة لا بدّ منها .
إن لم يكن الإسلام مقدساً ، فما هو المقدس ؟
الحضارة : صلة وثيقة بين المادّة والروح .
ولا نحكم على الناس بالموت إن خالفونا بالرأي ، لا ... إن الحوار هو البديل .



وعقد مركز دراسات الوحدة العربيّة ندوة في القاهرة ، من : ٢٥ إلى ٢٧ أيلول ١٩٧٩ ، جمعت المسلمين والقوميين العلمانيين ، لم يكن الحوار هدفها ، إنّ النقد الذاتي كان الهدف ، وأبرز ما تبين في هذا النقد أنّ الطرفين لم يفهم كلّ منهما الآخر ، وأنّ كليهما لا يتمتع بالديمقراطية .

التيّار الإسلامي ينتقد ذاته :

العجز عن فهم الواقع وإدراك سنّهِ وقوانينه ، فغلبت النظرة الجزئية على النظرة الكلية وأسلوب الزّعامة في التعامل مع القاعدة ، وانعدام الشورى .

والتيّار القومي (العلماني) ينتقد ذاته :

عدم اطلاع معظم للفكرين القوميّين على التّراث الإسلامي اطلاع فهم وتعمّق ، وإهمال الحوار مع التّيّار الإسلامي .

وانعدام الديمقراطية تنظيمياً وعقائدياً داخل التّنظيمات القوميّة ، فهي تنادي بالديمقراطيّة ولكنها لا تمارسها .

☆ ☆ ☆

ونهي هذا الفصل بالتّالي :

ينوح بعضهم على الديمقراطية ، التي هي اليوم مطلب وهدف ، فإذا هي ديمقراطيّة التّهجم على الإسلام والافتراء والدّس عليه ، والسّخرية من أتباعه ، دون التّمييز بين رأي فرد ، ورأي الإسلام .

ومع ذلك ، وتحت شعار الديمقراطية ، أين حقّ الرّدّ ، أو الدّفاع عن النفس ؟ وأين حقّ التّوضيح ؟ وأين تقف هذه الآراء من الحقيقة ، والبحث للموضوعي ؟ وأي فخر للعلمانيّين وهم يتكلّمون ، ويكتبون ، ويصولون ويجولون ، ولا مساحة للرّدّ في صحيفة أو مجلة أو نشرة ؟!

القاعدة الصّواب تقول :

أدرس ، أبحث ، أستدلّ ثم أعتقد ، لا أعتقد ثم ألوي عنق النّص إلى ما أعتقد وأهوى .

واللباقة - من الطرفين - صيغة أساسيّة يجب توافرها في (الحوار دائماً) ، لنضمن نجاح الحوار ، أو التّقدّم على طريقه .

☆ ☆ ☆

المِحوَارُ دَائِماً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي
الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ
تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

[المتحنة : ٨/٦٠]

لم يجبر الإسلام أحداً من أبناء الشرائع الأخرى على اعتناقه قهراً وعنوة ، لقد كان
هدف الإسلام الأول والأخير في فتوحاته الحرّية الكاملة في قبوله وعدمه :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦/٢] .
﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩/١٨] .
﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩/١٠] .
هذا ... مع أمر الفاتحين المنتصرين عسكرياً بالبر والإحسان :
﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ
تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [للمتحنة : ٨/٦٠] .
ومع النهي عن الظلم والعدوان :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾
[البقرة : ١٩٠/٢] .

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٦١] .

ومع الحث على (الحوار) بالتي هي أحسن :
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣/٢] .

﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦/٢٩] .

وأمر طبيعي أن يقبل الإسلام (الحوار) ، وأن يدعو الناس - كل الناس - إليه ، لأنه وحي الله المنزل على قلب المصطفى المختار ﷺ ، بما لا يتناقض مع عقل ، أو يتعارض مع علم ، و (غير المعقول) ، أو ما يتعارض مع العلم والفكر السليم يرفض الحوار ، لأنه لو أباح الحرية الفكرية ، والحوار الموضوعي لأتاه ، لذلك نراه هنا وهناك يغتال الرأي الآخر ويرميه إفكاً وبهتاناً بما ليس فيه ، تشويهاً مقصوداً ، لإبعاد الناس عن حقائق لو عرفوها اعتنقوها^(١) .

(١) تقول الأستاذة الدكتورة أنا ماري شمل (عميدة الاستشراق في ألمانيا) في مقدمتها لكتاب : (الإسلام كبديل) للدكتور مراد هوفمان (سفير ألمانيا في المغرب) : « الإسلام مثل غطي لتلك التأويلات الظلمة المشوهة .. إن الكثير من الأحكام الظلمة التي نلصقها بالإسلام ناشئة عن سوء فهمنا وخطئنا في القياس المنطلق من معاييرنا الغربية ومثلنا أوقينا .. إن من الحزن اليوم حقاً أن لا يميز كثيرون في الغرب بين الإسلام وبين ما يُلصقُ زوراً وبهتاناً بالإسلام ، أو يُقترَف من جرائم باسم الإسلام ، فالإسلام بريء من الإرهاب والإرهابيين » ، وختمت مقدمتها ببيتين لجوته ، الذي يشهد له بالبصر العميق في عالم الفكر الإسلامي : « إن يك الإسلام معناه القنوت ، فعلى الإسلام نجياً وغموت » [الإسلام كبديل ، الناشر : مجلة النور الكويتية ، ومؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات ، الطبعة العربية الأولى نيسان (إبريل) ١٩٩٣ م] .

(غير المعقول) هو الذي يرفض الحوار ، ويسفّه العقل جهراً ، ويرغم أتباعه على قبوله هكذا كما هو ، دون محاكمة من فكر ، أو ترجيح من عقل ، أو مقارنه وقبول من علم .

الحرية الكاملة في الاعتقاد ، التي تعطي حقّ الحوار للوصول إلى القناعات في القبول أو عدمه ، هي درب الإسلام بالأمس واليوم وغداً لقبول الأتباع الجّد ، لذلك لم يقف انتشاره ، ولم يتوقّف عن كسب المعتنقين بعد الضعف والتجزئة في العالم الإسلامي ، لقد تابع زحفه ، ويحقّق اليوم زحفه وانتشاره ، حتى لقد نشر مركز تتبع انتشار العقائد في (برن - سويسرة) أن الإسلام اليوم هو الأقدر على كسب الأتباع بين عقائد العالم كلّها ، على الرّغم من إمكانات دعائه للتواضعة ، والجهود الفردية المبعثرة ، أمام إمكانات التبشير الضخمة من حيث مليارات الدولارات ، والتنظيم ، والدعم الغربي الإعلامي .

إنّ قِدَمَ الحوار مع أبناء الشرائع الأخرى (أهل الكتاب) قِدَمُ الدّعوة الإسلامية نفسها ، بعد أن ضمن حرية العقيدة لكلّ الناس ، مع تسامح أوجبته تعاليه ، وهذا ما لم يكن أيام بيزنطة وهي تحكم قلب العالم ، بلاد الشام ومصر وقسماً كبيراً من الشمال الإفريقي ، حينما اختلف المذهب ضمن الدّين الواحد ، فحلّ الاضطهاد والظلم ، وفرضت الضرائب المرهقة ، مع التعسف في جبايتها .

الإسلام دين عالمي إنساني ، يقبل الآخرين في مجتمعه ، ولا يرفض الآخر ، ولا يصادر رأيه أو عقيدته ، لذلك ، جعل أسساً ثابتة من صلب العقيدة ، للتعامل مع الآخرين ، وآداباً للحوار معهم ، وتسامحاً في التعامل معهم ، فالمواطن الشريف له مالنا وعليه ماعلينا ، حتّى ورد عن تقي الدّين أحمد بن تيمية أنّه رفض ترك الأسرى من غير المسلمين عند التّار ، وأنقذهم مع المسلمين الأسرى ، لأنّهم ذمّة في أعناقنا .

☆ ☆ ☆

وثائق من الحوارات :

(الحوار) جهود علمية منطقية عقلية في نشر التعاليم ، وتقديم العقائد ، وعرض المبادئ ..

والمسلمون ينظرون ويرجون ممن يدخل في الإسلام اقتناعاً فكرياً خالصاً .

ومن أدلة (الحوار) منذ القرن الثامن الميلادي ، ما كتبه (القديس) يوحنا الدمشقي من الكتب التي ألفها في (الجدل) لتمدنا بلمحات عن الحوار الذي دار بين أتباع الشرائع المختلفة ، وإن صياغة هذه الكتب ، أو الرسائل ، في قالب الحوار ، وكثرة التكرار في مثل قوله : « إذا قال لك العربي .. فأجبه » ، تعطينا فكرة - ولو ضئيلة - عن الحوار الذي اعتمده المسلمون في هذه الفترة في عرض تعاليم الإسلام ومبادئه .

وكذلك ما كتبه تلميذ يوحنا الدمشقي ، الأسقف تيودور أبوقرة ، فيه حوارات أيضاً^(١) .

وكان البطريق النسطوري طيماثاوس Timotheus يعقد مناظرات في المسائل الدينية بحضور الخليفة الهادي^(٢) ، وهارون الرشيد^(٣) ، وجمع هذه المناظرات في كتاب ، ومع ذلك انتخب لكرسي البطريركية على الرغم من ذلك ، من قبل رجال الدين في كنيسته .

ووصلتنا وثيقة تدل على صورة واضحة من صور الدعوة إلى الإسلام بالحوار ، ترجع إلى عهد المأمون^(٤) ، وهي في صورة رسالة كتبها ابن عم الخليفة إلى عربي مسيحي

(١) الدعوة إلى الإسلام ، السير توماس أرنولد ، ص : ١٠٣ .

(٢) الهادي (موسى بن محمد المهدي بن أبي جعفر للنصور) الخليفة العباسي الرابع : [١٤٤ - ١٧٠ هـ = ٧٦١ - ٧٨٦ م] .

(٣) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، الخليفة العباسي الخامس : [١٤٩ - ١٩٣ هـ = ٧٦٦ - ٨٠٩ م] .

(٤) المأمون بن الرشيد : [١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٣٣ م] .

كريم المحتد ، عظيم المنزلة في بلاط الخلافة ، وكان للمأمون يحلّه من نفسه محلّ الاحترام والتقدير ، وفي هذه الرسالة يرجو لصديقه أن يدخل في الإسلام ، وكان رجاءه في لهجة تنم عن الودّ ، وفي لغة تصوّر بوضوح مسلك المسلمين السّيح تجاه الكنيسة المسيحيّة في ذلك العصر ، وتحتل هذه الرسالة في تاريخ الدّعوة الإسلاميّة المبكر مكاناً يكاد يكون فريداً في بابهِ^(١) .

وقبل إيراد فقرات من هذه الرسالة (الوثيقة) ، نذكر بأمرين اثنين :

١ - بالمناظرات التي دارت أيام المأمون ، حضرها زعماء جميع الطوائف الدّينيّة في ذلك العصر ، وهي تثبت أنّ الحوار - برعاية الخلافة العباسيّة - كان سائداً ، فلا عنف ، بل حجّة ، ناهيك عن الرّسائل إلى ما وراء النّهر وفرغانة ، وقدم زعيم المانويّة (يزدانبخت) إلى حاضرة الخلافة بغداد ، وعقد مناظرة مع المتكلّمين المسلمين ، وألزم الحجّة فيها ، عندها حاول الخليفة المأمون أن يقنعه باعتناق الإسلام ، ولكن (يزدانبخت) أبى ذلك ، وقال : نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة ، وقولك مقبول ، ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم ، فلم يبدِ الخليفة شيئاً من الاستياء لإخفاق محاولته ، ووكل به حفظة ، خوفاً من إنسان قد يسيء إليه ، بعد مكابرتة وقد قامت الحجّة عليه .

٢ - وبأبي بكر محمد بن الطّيب الباقلاّني : [٣٣٨ - ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ - ١٠١٣ م] ومناظرته في عاصمة الرّوم البيزنطيين (القسطنطينية) مع علماء النّصرانيّة فيها ، وبين يدي ملكها .

(١) الدّعوة إلى الإسلام ، ص : ١٠٤ ، وص : ٤٧٠ .

رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي ،
يدعوه للإسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، فقد افتتحت كتابي إليك بالسلام عليك ،
والرحمة ، تشبهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمد رسول الله ﷺ ، فإن ثقاتنا ذوي العدالة
عندنا ، الصادقين الناطقين بالحق ، الناقلين إلينا أخبار نبينا عليه السلام ، قد رووا
لنا عنه أنّ هذه كانت عادته ، وأنّه كان ﷺ إذا افتتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسلام
والرحمة في مخاطبته إياهم ، ولا يفرّق بين الذمي منهم والأُمّي ، ولا بين المؤمن
والمشرك ، وكان يقول إنّني بعثت بحسن الخلق إلى الناس كافة ، ولم أبعث بالغلظة
والفظاظة ، ويستشهد الله على ذلك ، إذ يقول ﴿ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ ﴾^(١) ،
وكذلك رأيت من حضرته من أئمتنا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين ، أنّهم كانوا
لفضل أديهم ، وشرف حسبهم ، ونبل همّتهم ، وكرم أخلاقهم ، يتتبعون أثر
نبيّهم ﷺ ، ولا يفرّقون في ذلك^(٢) ولا يفضلون فيه أحداً^(٣) ، فسلكت ذلك المنهج ،
واحتذيت تلك السبل ، وأخذت ذلك الأدب المحمود ، فابتدأتك في كتابي هذا بالسلام
والرحمة ، لئلا ينكر عليّ منكر يقع إليه كتابي هذا .

والذي حملني وحثني على ذلك ؛ إذ كان سيدي ونبيي محمد ﷺ يقول بحبّة القريب
ديانة وإيمان ، على أنّي كتبت إليك طاعة لرسول الله ﷺ ، ولما أوجبه لك عندنا حقّ
خدمتك لنا ، ونصحك إيانا ، وما أنت عليه من محبّتنا ، وتظهره من مودّتنا ، والميل
إلينا ، وما أرى أيضاً من إكرام سيدي وابن عمّي أمير المؤمنين أيّده الله لك ، وتقريبه
إياك ، وثقته بك ، وحسن قوله فيك ، فرأيت أن أرضى لك ما قد رضيته لنفسي

(١) ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ ﴾ [التوبة :

١٢٨/٩ .

(٢) كُنْ هَاهُنَا تَقْصًا .

(٣) وَهَاهُنَا أَيْضًا تَقْص .

وأهلي وولدي مخلصاً لك النصيحة وباذلها ، كاشفاً عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ، ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد ، والأمن من العقاب في المآب ، فرغبت لك فيما رغبت فيه لنفسي ، وشفقت^(١) عليك لما ظهر لي من كثرة أدبك ، وبارع علمك ، وحسن تهذيبك ، وجميل مذهبك ، وشرف حسبك ، وتقديرك على الكثير من أهل ملتك ، أن تكون مقيماً على ما أنت عليه من ديانتك هذه ، فقلت : أكشف له عما من الله به علينا ، وأعرفه ما نحن عليه بالين القول وأحسنه متبعاً في ذلك ما أذن الله به ، إذ يأمرني ويقول جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٢) ، فلست أجادلك إلا بالجميل من الكلام ، والحسن في القول ، واللين من اللفظ ، لعلك تنتهي وترجع إلى الحق ، وترغب فيما أتلوه عليك من كلام الله جل جلاله ..

وأنت الرجل - عافاك الله من جهل الكفر ، وفتح قلبك لنور الإيمان - تعلم أنني رجل أتت عليّ سنون كثيرة ، وقد تبجّرت في عامّة الأديان ، وامتحنتها ، وقرأت كثيراً من كتب أهلها ، وخاصة كتبكم معشر النصارى^(٣) ... فأنا الآن - متّع الله بك - أدعوك بهذه المعرفة كلّها مني بدينك الذي أنت عليه ، وبطول المحبة إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وأرتضيه لنفسي ، ضامناً لك به الجنة ضماناً صحيحاً ، والأمن من النار ، وهو أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يتخذ له صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له كفواً أحد ...^(٤)

(١) هكنا هي في النص .

(٢) العنكبوت : ٤٥/٢٩ .

(٣) وهنا يعدّد الأسفار الهامة من العهدين القديم والجديد ، وكيف درس الفرق المسيحية المختلفة ، ولقياه جماعة من الرهبان ، وزياراته للأديرة ...

(٤) ثم يعدّد تعاليم الإسلام المختلفة وأركانها .

فقد نصحت لك يا هذا وأدّيتُ إليك حقَّ المودّة وخالص المحبّة .. ورجوت أن تكون بتوفيق الله إِيّاك من المؤمنين ، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، هم خير البريّة ، ورجوت أن تكون من هذه الأُمّة الّتي هي خير أُمّة أُخرجت للنّاس ، فإن أبيت إلّا الظّاهراً ولجاجاً وجهلاً وتمادياً في كفرك وطغيانك الّذي أنت فيه ، ورددت علينا قولنا ، ولم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا ، حيث لم تُرد منك على ذلك جزاءً ولا شكراً ، فاكتب بما عندك من أمر دينك ، والّذي صحّ في يدك منه ، وما قامت به الحجّة عندك ، منا مطمئناً^(١) ، غير مقصّر في حجّتك ، ولا مكاتم لما أنت معتقده ، ولا فِرَق ولا وِجَل ، فليس عندي إلّا الاستمتاع للحجّة منك ، والصّبر والإقرار بما يلزمي منه طائِعاً غير منكر ، ولا جاحد ولا هائب ، حتّى تقيس ما تأتينا به وتتلوه علينا ، ونجمعه إلى ما في أيدينا ، ثمّ نخبرك بعد ذلك ، على أن تشرح لنا علّته ، وتدع الاعتلال علينا بقولك إن الفرع حجبتك وقطعك عن بلوغ الحجّة ، واحتجت أن تقبض لسانك ، ولا تبسطه لنا ببيان الحجّة ، فقد أطلقناك وحجّتك ، لئلا تنسبنا إلى الكبرياء ، وتدّعي علينا الجور ، والحيف ، فإن ذلك غير شبيه بنا .

فاحتجّ عافاك الله بما شئت ، وتكلّم بما أحببت ، وانبسط في كلّ ما تظن أنّه يؤدّيك إلى من يوثق حجّتك ، فإنك في أوسع الأمان ، ولنا عليك أصلحك الله ، إذ أطلقناك هذا الإطلاق ، وبسطنا لسانك هذا البسط ، أن تجعل بيننا وبينك حكماً عادلاً لا يجور ، ولا يحيف في حكمه وقضائه ، ولا يميل إلى غير الحقّ إذا ما تجنّب دولة الهوى ؛ وهو العقل الّذي يأخذ به الله عزّ وجلّ ويعطي ، فإنّنا أنصفناك في القول وأوسعناك في الأمان ، ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا إذ كان لا إكراه في الدّين ﴿ [البقرة : ٢٥٧/٢] ، وما دعوناك إلّا طوعاً وترغيباً في ما عندنا ، وعرفناك ما أنت عليه ، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته^(٢) . » .

(١) خلل في النصّ .

(٢) الدّعوة إلى الإسلام ، ص : ٤٧٠ .

ويعلق السير توماس أرنولد على هذه الوثيقة قائلاً : « ويمكن أن يكون هنالك قليل جداً من الشك في أمر واحد فيما يتعلق بهذه الوثيقة ، وهو أنها قد وصلت إلينا في حالة ناقصة ، وأنها لقيت على أيدي النُسخ للمسيحيين تشويهاً وتحريفاً ، وإنَّ ما نكاد نراه من عدم وجود ما يدحض تلك العقائد المسيحية الحاسمة دحضاً تاماً ، كعقيدة الثالوث المقدس ، وما نجده من الإشارات إلى أمثال تلك الهجمات في ردِّ الكندي على هذه الرسالة ، ليدل بالتأكيد على إسقاط تلك العبارات التي قد تكون آلمت القراء المسيحيين »^(١) .

كما عقد في مدينة مرو مع مطلع القرن الثالث الهجري الهجري (حوار أديان) ، من غير محاملات أو مداهنات ، جمع هذا الحوار الجاثليق كبير النصارى ، ورأس الجالوت زعيم اليهود ، والهربد الأكبر ممثِّل الزرادشتية ، وعمران الصابي قطب الصابئة ، والفيلسوف قسطاس الرُّومي ، وجمع من المتكلمين .

حاورهم علي بن موسى الرضا ، حواراً يعكس أجواء الحرية والتسامح التي أمر بها الإسلام ، ويعلن المأمون افتتاح الحوار بقوله : يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر ، وهو من ولد فاطمة بنت نبيِّنا عليه السلام ، وابن علي بن أبي طالب ، فأحبُّ أن تكلمه وتحاجه وتنصفه .

الجاثليق : يا أمير المؤمنين ، كيف أحاج رجلاً يحتجُّ عليّ بكتاب أنا أنكره ، ونبيُّ لا أؤمن به ؟

فقال الرضا : يا نصراني ، فإن احتججت عليك بإنجيلك ، أقرر به ؟
أجاب الجاثليق : وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل ، نعم والله أقرب به على الرِّغم من أنفي .

(١) الدعوة إلى الإسلام ، ص : ٤٧٦ .

ودار الحوار شيقاً ممتعاً ، ومما قاله علي بن موسى الرضا للجاثليق : يا نصراني ، والله
إننا لنؤمن بعيسى ، وما ننقم عليه شيئاً ، إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته !
قال الجاثليق : أفسدتَ والله عملك ، وضعفتَ أمرك ، وما كنت ظننت إلا أنك
أعلم أهل الإسلام .

الرضا : وكيف ذلك ؟

الجاثليق : من قولك إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصوم والصلاة ، وما أفطر عيسى
يوماً ، وما نام بليل قط ، وما زال صائماً قائماً الليل .

الرضا : فلمن كان يصلي ويصوم ؟

وانتبه الجاثليق إلى الاستدراج الذي وقع فيه ، والتناقض الذي حصل في كلامه ،
فلم يجر جواباً ، ثم استدل على ربوبية عيسى بأنه أحيى للموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ،
فهو بذلك ربٌ مستحق لأن يُعبد .

فأجابه الرضا : إن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى ، ومشى على الماء ، وأبرأ
الأكمه والأبرص ، فلم تتخذهُ أمة ربّاً ، ولم يعبدهُ أحد من دون الله ، ولقد صنع حزقيل
مثل ما صنع عيسى بن مريم ، فأحيى خمسة وثلاثين ألف رجل بعد موتهم .

ثم دار حوار حول الإنجيل المنزل ، إنجيل عيسى ، الإنجيل الواحد أين هو ؟

وسأل الرضا رأس الجالوت : ما الحجّة على أن موسى ثبتت نبوّته ؟

رأس الجالوت : إنه جاء بما لم يجئ به أحد من الأنبياء قبله .

الرضا : مثل ماذا ؟

رأس الجالوت : مثل فلق البحر ، وقلبه العصا حيّة تسعى ، وضربه الحجر فانفجر
منه العيون ، وإخراجه يده بيضاء للناظرين ، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها .

الرضا : صدقت في أنها كانت حجّة على نبوّته ، وأنه جاء بما لا يقدر الخلق على

مثله ، أفليس كلُّ ما ادَّعى أنَّه نبيٌّ وجاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه ؟

رأس الجالوت : لا ، لأنَّ موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربِّه ، وقربه منه ، ولا يجب علينا الإقرار بنبوَّة من ادَّعاهَا ، حتَّى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء .

الرِّضا : فكيف أقررتُم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى ولم يفلقوا البحر ؟ ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عينا ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ؟ ولم يقلبوا العصا حيَّة تسعى ؟

رأس الجالوت : قد أخبرتك أنَّه متى جاؤوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ، ولو جاؤوا بمثل ما لم يجيء به موسى ، أو كانوا على ما جاء به موسى وجب تصديقهم .

الرِّضا : يا رأس الجالوت ، فما يمنعك من الإقرار بعيسى ابن مريم ، وكان يحيى الموتى ، ويبرئ الأكمة والأبرص ، ويخلق من الطِّين كهيئة الطَّير ، ثمَّ ينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله ؟!

رأس الجالوت : إنَّه فعل ذلك ، ولم نشهده .

الرِّضا : أرايت ما جاء به موسى من الآيات أو شاهدته ؟ أليس إنَّما جاءت الأخبار عن ثقات أصحاب موسى أنَّه فعل ذلك ؟

رأس الجالوت : بلى .

الرِّضا : كذلك أيضاً أتتكم الأخبار للتواترة بما فعل عيسى ابن مريم ، فكيف صدقتم بموسى ، ولم تصدقوا بعيسى ، وكذلك أمر محمد وما جاء به ؟

وهكذا يستمر (الحوار) مع بقية زعماء الأديان وللعقائد بكلِّ حرِّية وموضوعية وانفتاح .

حوار مع مُستشرق

وليس كلُّ خلافٍ جاءَ معتبراً
إلاَّ خلافٌ له حظٌّ من النظرِ

أثناء العام الدّراسي الجامعي ١٩٩٣ - ١٩٩٤ م ، زارني طالب من طلابي في السّنة الثالثة (كُليّة الشّريعة - جامعة دمشق) ، وقال لي : يحضر في دروسك (التّاريخ الإسلامي) عدد من المستشرقين الألمان ، ويسجّلون محاضراتك ، واليوم حينما تكلمت عن (صلح الحديبية ، الفتح المبين) ، وعن حرص رسول الله ﷺ على وضع الحرب مع قريش ، ليتفرّغ للدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، بعد أن جعل قريشاً على الحياد ، وألزمها بينود صلح أملت نصّها بعناد .

لقد وقف أحد هؤلاء المستشرقين الألمان ، وقال لي ولعدد من الطّلاب بلغة عربيّة فصيحة : ليس كل ما يقرّره الدكتور شوقي في هذه القاعة صحيحاً سليماً ، فقلت للمستشرق مجيباً على الفور : لقد عوّدنا الدكتور شوقي التّوثيق ، وكلّ معلوماته التي يقدّمها يذكر توثيقها دون طلب منا ، ومكتبه قريب جداً من هذه القاعة ، أفلا نذهب إليه نحاوره بما قال وقرّر ، والحقيقة ، والتّوثيق ، والعقل فيصل بيننا ؟

اعتذر المستشرق بلباقة ، وقال لي : سيكون ذلك ، ولكن بعد أسابيع ، بعد سماعي محاضرات أخرى تشكّل عندي فكرة أعمق وأشمل عن فكر الدكتور ومنهجه .

قلت لهذا الطّالب : أحسنت ، فأنا مع الحقيقة ، والخبر الموثّق ، تقف أمامه باحترام ، ملتزمين به دون هوى ، لا تقطع صلتك مع كلّ المستشرقين بشكل عام ، ومع هذا المستشرق بشكل خاص ، وأوصيك باللّطف وسعة الصدر والاحترام .

وبعد أسابيع ، في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٣ م ، زارني هذا المستشرق في مكنتي ، وبدأ حوار بيننا كنت في بدايته عنيفاً عن قصد ، وبعد لأي رحّتْ أطف الجوّ شيئاً فشيئاً ، عندما لمست دماثة خلق هذا للمستشرق ولطفه وتواضعه .

كنت عنيفاً عندما طلبت منه بعض التّصويبات ، فتردّد وراح يعلّل بعض مواقف الاستشراق من الإسلام والمسلمين .

قلت له : لقد وضع الاستشراق كلّ بحوثه ودراساته في خدمة التّبشير ، ومن ثمّ في خدمة الاستعمار ، وهذا لا يعني أنّه ليس هناك عدد من المستشرقين المنصفين الإيجابيين ، ولكنني أسألك : مانسبة الملّزمين بدينهم في بلدك ألمانية بخاصّة وفي أوربة بعامّة ؟

لم يتردّد المستشرق وقال : خمسة بالمائة فقط .

حينها قلت : بيوت إيمانكم خاوية ، وقلوبكم مبتعدة عن الإيمان ، وعوراتكم مكشوفة ، أليس من المفروض ، بدل إتفاق ملايين الدّولارات للتّبشير في العالم الإسلامي ، أن توجّهوا طاقاتكم لإعمار بيوتكم ، وستر عوراتكم بدل التّوجّه إلى العالم الإسلامي المؤمن بالله تعالى ؟

قال : صح ، ومعك حق .

وبعد هذا الاعتراف ، بدأت أطف من لهجتي ، ثمّ سألته من رسم لك صورة الإسلام في عقلك ؟ قال : الكنيسة ورجالها ، قلت : لماذا لا تتعرّف على الإسلام من أهله ؟ قال : لا مانع أبداً ، ولكنني ملحد ، قلت له : أحترم رأيك إن كوّنته عن دراسة ، واستمرت لقاءات محدودة بيني وبين هذا المستشرق تركت أثراً طيباً في نفسه .

وفي الوقت ذاته ، اتّصل بي زميل لي ، وطلب موعداً في داري ، وقال : سيكون معي مستشرق ألماني يعدّ رسالته في دمشق ، وفي الموعد المحدّد ، زارني زميلي وبصحبته

عدد من الزملاء والأصدقاء ومعهم المستشرق ، ومن توفيق الله تعالى ، أن اللقاءات دامت وتكررت ، حتى صارت لقاءً في كل أسبوع ، وسُجِّلَت اللقاءات كلها على أشرطة ، أحفظ أنا بنسخة كاملة منها ، ويحتفظ المستشرق بنسخة كاملة أخرى .

اللقاء الأول :

كان اللقاء الأول يوم الأربعاء ١٢/١/١٩٩٤ م ، وبدأت الجلسة بتقديمي للمستشرق ، وتقديم المستشرق لي .

اسمه : روديفر براون ، يحضر رسالة بعنوان : (الحوار الإسلامي - المسيحي) ، بروتستنتي ، ملتزم بكنيسة (بورنكين) ، أي الولادة الجديدة .

قلت للسيد روديفر : أولاً ، أرجو أن تمحو من فكري كل ما فيه عن الإسلام ، لتعرف عليه من أهله كما يعتقدونه ، كما أرجو أن أسمع منك المسيحية كما تعتقدها أنت .

ثانياً : نتعاهد أن تقدم الحقيقة كما عرفناها من أهلها ، وخصوصاً ونحن نسجل وسنسجل كل كلمة أقولها ، وكل كلمة تقولها أنت .

ثالثاً : لا حوار بيننا وبينكم في رأيي ، لا حوار بين المسلمين والمسيحيين إلا بشروط ثلاثة :

١ - أن تعترفوا بنا ، أن تعترفوا بالإسلام ديناً ، فالمسلمون يعترفون بالمسيحيين على أنهم من (أهل الكتاب) ، فلكي نجلس على مائدة حوار على قدم المساواة ، اعترفوا بنا كما نعرف بكم ، وهذه الخطوة بدأها البابا بولس السادس بعد اطلاعه على بعض مخطوطات البحر الميت ، للكشفة في مغاور (قران) شمالي البحر الميت ، ومن هذه المخطوطات المكتشفة (سفر إشعيا) الصحيح بكامله ، على حين أن المنشور في التوراة هو جزء منه ، ولكنها خطوة واحدة ، كان يفترض أن تتبعها خطوات .

ففي سفر إشعيا المكتشف جاء حرفياً : « بعد المسيح يأتي نبيٌ عربي من بلاد فاران - بلاد إسماعيل - [وفاران باللغة الآرامية هي بلاد الحجاز] ، وعلى اليهود أن يتبعوه ، وعلامته أنه إن نجا من القتل ، فإنه النبي المنتظر ، لأنه يفلت من السيف المسلول على رقبته ، ويعود إليها بعد ذلك بعشرة آلاف قدّيس » .

لقد أصدر البابا بولس السادس عام ١٩٦٥ م وثيقة هامة ، كانت بمثابة اعتراف رسمي مسيحي بالدين الإسلامي ، ولأول مرة ، جاء فيها : « إن كل من آمن بعد اليوم بالله الخالق السموات والأرض ، ورب إبراهيم وموسى ، فهو ناج عند الله ، وداخل في سلامه ، وفي مقدّماتهم : المسلمون » .

وبدعوة رسمية سافر وفد إسلامي إلى الفاتيكان ، واجتمع بالكاردينال (بيونولي) وزير الدولة في حكومة الفاتيكان فيما يتعلق بالعلاقات ما بين الإسلام والمسيحية ، وبدأ الحوار على الرغم من طلب السفير (الإسرائيلي) في روما وقف الحوار ، وبعد انتهاء اللقاءات المتعددة بين عدد من العلماء المسلمين وكبار مسؤولي الفاتيكان ، وقف الكاردينال (بيونولي) مخاطباً العلماء : في هذا اليوم أوقف التنصير الكاثوليكي في العالم الإسلامي ، ثم قرأ بشارة (سفر إشعيا) التي تنطبق تماماً على الواقع .

ولكن مع الأسف ، فإن هذا البابا لم يلبث أن توفي في ظروف لاندريها ، كما توفي من بعده بقليل الكاردينال (بيونولي) في ظروف غامضة ، وبوفاتها توقّف الحوار بين الإسلام - والمسيحية^(١) .

(١) وقت هنا وأحضرت له توثيق هذه المعلومات : الصفحة الخامسة من (العالم الإسلامي) ، العدد ١٢٢٩ ، الإثنين ١ ربيع الأول ١٤١٢ هـ الموافق ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ م ، وعنوان الصفحة : (الدكتور محمد معروف الدواليبي - الذي كان عضواً في الحوار - يروي قصة الحوار بين الإسلام والمسيحية ، كيف بدأ وعلّامته انتهى) ، فطلب السيد روديفر صورة عنها ، فقلت له : هي لك ، عندي منها صور عديدة .

فيا سيد روديفر ، لتعترف كنيسةكم البروتستانتية بنا ، مع إحياء اعتراف القاتيلكان الذي طوي بموت البابا بولس السادس ، وبموت الكاردينال بيونولي ، حينئذ نجلس للحوار على قدم المساواة ، وحينذاك تظهر بوادر حسن النية ، وليوقف التبشير أيضاً بالعالم الإسلامي كما أوقفه البابا بولس السادس .

٢ - تحديد الهدف من الحوار ، لماذا الحوار ؟

٣ - وما المراجع التي نعتمدها لتكون الفيصل بيننا حين نختلف ؟

ثم قدّمت للسيد روديفر ذكريات الشرق الإسلامي عن أفعال الأوربيين - باسم الكنيسة ومباركتها - في حروبهم الصليبية ، وفي كشفهم الجغرافية (الوحشية) ، وفي استعمارهم الذي خلف الفقر والجهل والمرض ، مع مقارنة بين آثار الفتح الإسلامي ونتائجها ، وبين آثار الكشف الاستعماريّة ونتائجها .

- روديفر : على كلّ حال أنا موافق على كلامك مئة بالمئة ، أريد أن أشير فقط إلى نقطة هامة حول الحوار ، يجب علينا أن نفصل في الحوار بين العالم الغربي ، والمجتمع الغربي ، وبين المسيحية بكتبها ومقدّساتها ، كثيراً ما تقع نحن في الغرب بخطأ ، عندما نأخذ الإسلام عن طريق عمل إرهابي ، أو أي ظاهرة سلبية تثير نفوسنا ، نأخذها من خلال (الصورة المشوّهة) ، ولكن أنا معك مئة بالمئة ، لا بدّ أن نعالج هذه الظاهرة سوياً بروح إنسانية ، وأعطيك مثلاً :

نحن نقول : الإسلام انتشر بالسيف ، هذا بعيد عن الحقيقة ، وحينما تقارن بين انتشار الإسلام وانتشار المسيحية ، نرى دماء غزيرة ، أكثر بكثير ، لا تقاس بانتشار الإسلام ، حقيقة ، فعلاً إن البلدان ، المجتمعات ، قبلت الإسلام واعتنقته بلا إكراه . وأريد أن أشير إلى قضية هامة ، لا يمكن مقارنة التاريخ الإسلامي في فتوحاته في القرن السابع الميلادي ، بالغزوات التي قام بها شارلمان ضد السكسون ، قتاله ، حربه ، فضائح سطرها بعد ثمان مئة سنة من بدء المسيحية .

إذا عالجننا المسيحية لا يمكننا أن نخلط بين المجتمع المسيحي والمسيحية ، الإسلام انطلاقاً من اجتماع الدولة والدين ، لا يفصل بينهما أبداً ، الإسلام ظاهرة شاملة لكل نواحي الحياة ، المسيحية شيء آخر ، من يهتم بالمسيحية - في الغرب - اليوم ؟ لا أحد ، الذين حسب سُلّم الأولويات في المرحلة السابعة أو الثامنة أو التاسعة .. فضائح .. كل دقيقة تغتصب فتاة في الغرب ، بل أكثر ، في كل دقيقة يغتصب عشرين نساء ... لكن لا نستطيع القول إن هذه هي المسيحية البحتة ، نزيل أولاً هذه النواحي السيئة ، ثم نتحدث عن الدين ، من خلال عدة قضايا : الثالوث الأقدس ، الصلب ، هل صلب السيد المسيح أم لا ؟

أنا أعرف كثيراً من الأصدقاء المسلمين المستعدين للحوار ، بعد أن نفصل بين الفضائح التي ارتكبتها المجتمع الغربي للمسيحي ، وبين المسيحية ، حوار على المستوى الديني ، وكثيراً ما أشير إلى هذا ، مثلاً أحمد ديدات ، أشعر أنه يريد ويجب أن ينشر الإسلام ، إنه داعية قوي ، وهذا من حقه ، ولكن ، أظن ليس من حقه ، ولا يحق له أن يقول أشياء لا تتعلق بصميم المسيحية ، هذه مشكلة ، والمشكلة الأكبر عندنا نحن حينما لانعترف بحقيقة الإسلام ، ولانصل إلى حقيقة الإسلام ، يجب أن نستدل بقول محمد [ﷺ] ، لا بقول لأحد الحكام المتأخرين ، يجب علينا أن نقول وننتقل من الإسلام الأصل ، من معينه ، وهكذا في الوقت ذاته في المسيحية ننتقدها ، وأنا أفرح بمثل هذا الحوار وأسر .

قلت : لي تعليق ، إنك تقول : إذا أردنا أن نبدأ حواراً ، علينا أن نفصل بين اللاهوت وأعمال المسيحيين الأوروبيين ، أي نحاور الكنيسة .

ياسيد روديفر ، الكنيسة في أوربة لا تريد الحوار ، ولا تؤمن به ، لأن هذا الحوار ، إذا كان ميزانه العقل والعلم فلن يكون - بقناعتي - إلى جانبها ، أو لصالحها ، وأنت تعلم أن الكنيسة في أوربة تبيع الكثير من أماكن العبادة ، في الوقت الذي تنفق

فيه مليارات الدولارات لتنصير المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي ، وخصوصاً في إفريقيا وجنوب شرقي آسيا .

الذين في أوربة اليوم في الدرجة التاسعة أو الثامنة ، ونسبة الذين يرتادون الكنيسة أيام الأحد خمسة بالمئة فقط من الشعب كله ، فإن كان هدف الكنيسة في تبشيرها إقناذ الشعوب بتعريفها على الله ، فلتعرف شعبها الأوربي أولاً ، ولترمم بيتها الإيماني الحُرب وتسترعوراتها ثانياً .

وكما أنني لا أقبل أن يقال عن الإسلام ما ليس فيه ، وما ليس منه ، كذلك لا أقول عن تصرف فرنسة في الجزائر ، أو بريطانيا في مصر والهند ، أو إسبانية والبرتغال في أمريكا الوسطى والجنوبية ، إنه يأمر به يسوع ، ولكن أقول إن الكنيسة الأوربية باركت ما جرى ، بل ارتكبت باسمها ، والبابا له حق التشريع والتغيير والتعديل .. وهذا غير موجود في الإسلام ، فلا يقبل من مفت فتواه إلا بدليل من الكتاب والسنة ، بينما البابا يشرع ويبرر لهؤلاء أعمالهم الوحشية .

شيء آخر ، لو قرأت تاريخ أحمد ديدات لعذرته ، ولما ملته .

أحمد ديدات ، رجل هندي الأصل ، يعيش في جنوبي إفريقيا ، عمل في الخياطة ، وليس في ذهنه ، ولا في حسابه الدعوة إلى الإسلام ، ولكن التبشير دق بابيه بالحاح ، وطرح المبشرون عليه - على عاداتهم - شبهات معروفة متكررة عن الإسلام ، ونبي الإسلام ، فراح ديدات يفتش عن إجابات عنها ، فوجد ضالته في كتاب (إظهار الحق) لرحمة^(١) الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي ، ولتأليف هذا الكتاب قصة :

(١) غالباً ما تكتب : رحمت الله .

وُلِدَ رحمة الله في قرية كَيرانة التابعة لمدينة دلهي في ٩ آذار (مارس) سنة ١٨١٨ م ، نشأ في كنف أسرة واسعة الثراء والجاه ، وبدأ تعلمه في بلدته على يد والده وكبار أفراد أسرته المشهورين بالعلم والفضل والدين ، وكان قد أتمَّ حفظ القرآن الكريم في الثانية عشرة من عمره ، وأتقن اللُّغات الثلاث (العربية والفارسيَّة والأردِيَّة) ، ثمَّ ارتحل إلى دلهي لطلب التَّعليم العالي ، ثمَّ سافر إلى (لَكنَّاو) ودرس الطبِّ والرياضيات والهندسة . ولما رجع إلى كَيرانة تَصَدَّر مجالس العلوم الشرعيَّة والإفتاء ، وأسس مدرسة شرعيَّة ، تخرَّج منها كبار المدرِّسين والمؤلِّفين ومؤسَّسي المدارس في أرجاء الهند .

تنبَّه الشيخ رحمة الله لأخطار التَّنصير المحدقة بمسلمي الهند ، ولضخامة الجهود الَّتِي يبذلها المنصِّرون بمساعدة الاستعمار الإنكليزي ، ترك وظيفته في التَّدريس وتفرَّغ لمقارعة المنصِّرين والرَّدَّ عليهم بالقلم واللِّسان ، فدرس النَّصرانيَّة ، في مصادرها الأصليَّة ، حتَّى فاق علماءها للتخصِّصين فيها ، ثمَّ بدأ يؤلِّف كتبه للرَّدَّ على المنصِّرين ، ولذلك تركزت معظم مؤلَّفاته في هذا المجال ، ولما تمتاز به مؤلَّفاته من تحقيق علمي وتدقيق لم يُسبق إليه ، كان الشَّيخ رحمة الله في عصره أستاذ الهند بلامنازع في علم مقارنة الأديان والرَّدَّ على النَّصارى .

ومن مناظراته الكثيرة ، مناظرته في نيسان (إبريل) ١٨٥٤ م مع القسيسَيْن فندر وفرنج في أكرا ، وكانت المناظرة في يومَيْن متتاليين في موضوعي النَّسخ والتَّحريف ، ولقد اعترف فندر وفرنج بتحريف كتب أهل الكتاب في سبعة أو ثمانية مواضع أصليَّة ، وبوجود ٤٠ ألف اختلاف عبارة .

واشترك الشَّيخ رحمة الله في الثُّورة على الاستعمار الإنكليزي في الهند سنة ١٨٥٧ م ، ولما فشلت الثُّورة ، وأخذها الإنكليز بوحشيَّة بالغة نصبوا أعواد المشانق للعلماء ، وجعلوا مكافأة ألف روبيَّة لمن يدلُّهم على الشَّيخ رحمة الله ، وصادروا أملاكه وباعوها

بـ (١٤٢٠) رويّة ، وحظروا بيع كتبه أو طبعها ، فاضطر للهجرة من الهند متخفياً حتى وصل إلى مكّة سنة ١٨٦٢ م .

وفي مكّة المكرّمة حصل على إجازة التدريس في المسجد الحرام ، وسجّل اسمه في السجّل الرّسمي لعلماء الحَرَم ، وأُسّس أوّل مدرسة في مكّة المكرّمة والحجاز ، والتي سُمّيت المدرسة الصّولتيّة ، نسبة إلى الإمراة الهنديّة للتبرّعة ببنائها واسمها (صولت النساء) ، وبقي الشّيخ مديراً ومدرّساً فيها إلى وفاته في ٢٢ رمضان سنة ١٣٠٨ هـ . الموافق ١٨٩١/٥/١ م .

بعد هزيمة فندر في المناظرة وتعريّة كتاباته ، واعترافه العلني بوقوع النسخ والتّحريف في كتب العهدَيْن القديم والجديد ، وهذا يوصل إلى العجب أن يقع التّحريف في الكتاب ولا يقع نقص ما ، أغلق فندر باب المناظرة في مسائل باقية ، فلامه الإنكليز وعنفوه ، ونظروا إليه نظرتهم إلى مَنْ جرّ على الكنيسة خزيّاً وعاراً كبيراً ، فلم يستطع البقاء في الهند ، فسافر إلى ألمانيا وسويسرة وبريطانية ، ثم اختارته الإرساليّة الكنسيّة في لندن منضراً في مقرّ الخلافة الإسلاميّة في إسطنبول ، فسافر إليها سنة ١٨٥٨ م .

واتّصل فندر بالسّلطان عبد العزيز خان ، وزوّر أخبار المناظرة ، وزعم أنّ الغلبة فيها كانت له ، ثمّ دّعا مسامي آسية الصّغرى^(١) إلى الاقتداء بإخوانهم مسلمي الهند ، حيث زعم أنّهم تحوّلوا إلى النّصرانيّة ، وأنّ للساجد أصبحت كنائس ، وأخذ يتجوّل في أرجاء آسية الصّغرى يشيع أخبار هذه المناظرة بطريقته الخاصّة معتمداً على الكذب وتزوير الحقائق ، لرفع مكانته وستر فضائحه .

ولكنّ السّلطان عبد العزيز خان أصيب بغمّ شديد لسماعه أخبار فندر ، وخشي أن تؤثر هذه الإشاعات في أبناء المسلمين ، وقد علم من الحجّاج الأتراك أنّ الشّيخ رحمة

(١) تركية حالياً .

الله موجود في مكة المكرمة ، فعجل بالأمر إلى أمير مكة الشريف عبد الله بن عون إرسال الشيخ رحمة الله إلى دار الخلافة لينظر فندر في إسطنبول .

ولما حلَّ الشيخ ضيفاً رسمياً في قصر الخلافة ، وسمع فندر بذلك ، فرَّ هارباً من آسية الصغرى ، ولم يترث لمقابلة الشيخ رحمة الله ، وقد أوعز السلطان العثماني بترحيل المنصرين عن آسية الصغرى ، وحظر نشاطهم ، ومصادرة كتبهم ومنع انتشارها .

وقد حاول القس بركة الله صاحب كتاب (لواء الصليب) تزوير الحقائق ، فزعم أنَّ السلطان عبد العزيز خان طلب الشيخ رحمة الله لينظر فندر في إسطنبول ، لكن فندر توفي قبل وصول الشيخ إلى إسطنبول .

وردَّ على هذا الزعم إمداد صابري ، فبيَّن أنَّ وصول الشيخ رحمة الله إلى إسطنبول كان في أواخر كانون الأول لعام ١٨٦٣ م ، وأنَّ فندر توفي في أوائل كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٦٥ م ، وهذا يدل على أنَّه غادر إسطنبول حياً في كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٦٤ م بعد وصول الشيخ إليها بقليل ، خوفاً من مقابلته وانكشاف كذبه وفضائحه ، وكانت وفاته بعد حوالي سنتين من فراره من إسطنبول .

وبعد وصول الشيخ رحمة الله إلى إسطنبول استضافه السلطان في القصر ، ودعا العلماء والوزراء وكبار رجال الدولة ، وطلب من الشيخ أن يقصَّ خبر المناظرة ، فلما استبان للسلطان طول باع الشيخ في هذه الموضوعات وتمكنه منها ، طلب منه تأليف كتاب باللغة العربية يضمُّ مسائل المناظرة ، فعقد الشيخ العزم على تأليف كتاب يكون سداً منيعاً في وجه المنصرين وافتراءاتهم على الإسلام ورسوله ﷺ ، وليكون مرجعاً لطلاب العلم والباحثين عن الحقِّ وللتخصّصين في هذا الفن .

بدأ الشيخ وهو في إسطنبول تأليف هذا الكتاب (إظهار الحق) بتاريخ ١٦ رجب ١٢٨٠ هـ ، أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٣ م ، وانتهى منه أواخر ذي الحجة ١٢٨٠ هـ ، حزيران (يونيه) ١٨٦٤ م .

طبع إظهار الحق في عهد السلطان عبد العزيز خان في إسطنبول ، وذلك في أوائل المحرم سنة ١٢٨٤ هـ ، أيار (مايو) ١٨٦٧ م ، ثم توالى الطبّعات ، وأمر السلطان عبد الحميد خان بترجمته وطباعته وتوزيعه في العالم الإسلامي ، وفعلاً تُرجم إلى تسع لغات أجنبية ، منها : الألمانية والفرنسيّة والإنكليزيّة ، وأصبحت لا تكاد تخلو مكتبة في الشرق والغرب من نسخة لهذا الكتاب .

ظهر كتاب (إظهار الحق) في وقت كانت الحاجة إليه ماسّة ، حيث كان سلطان النصارى غالباً على معظم أنحاء العالم ، وكان المنصّرون يؤلّفون الكتب التي يتهمّون فيها على الإسلام وكتابه ونبيّه ﷺ ، ويشوّهون جميع العقائد الإسلاميّة والحقائق التاريخيّة ، وكانت هذه الكتب تُطبع بجميع اللّغات العالميّة .

وكتاب (إظهار الحق) يَعدُّ من خير ما أُلّف للردّ على النصارى وكشف زيف مزاعم المنصّرين ومطاعنهم ، مع خلّوه من الشتائم واللّغو ، وتقريره الحقائق الدّينيّة والتّاريخيّة بأسهل الطرق وأقربها ، واعتماده في ذلك على ما في كتب العهدين المسلّمة عند فرق النصارى ، ولذلك لا عجب أن يُحدّث ظهور هذا الكتاب بعدّة لغات أوريّة صدى عجيّباً في الأوساط النّصرانيّة والإسلاميّة ، أمّا النصارى فقد غاظهم صدور هذا الكتاب وترجمة الحكومة العثمانيّة له ونشره ، فأخذوا يشترون هذا الكتاب من الأسواق بجميع ترجماته وطبعاته ، ويجمعونها ثمّ يتلفونها بالحرق قاصدين إعدام وجوده من الأسواق العالميّة ، ومنع وصوله إلى أيدي القراء عامّة والنصارى خاصّة ، وقد علّقت صحيفة التايمز اللندنيّة على هذه العمليّة الحاكمة بقولها : « لو دام النّاس يقرؤون هذا الكتاب لوقف تقدّم المسيحيّة في العالم » ، ولكن وقوف الحكومة العثمانيّة آنذاك وراء ترجمة هذا الكتاب وطباعته ساعد على ظهوره وانتشاره على الرّغم من الجهود المبذولة لطمسه .

وأما في الأوساط الإسلاميّة فقد أخذ الطُّلاب والعلماء الباحثون عن الحقّ يتلقّفون

طبعت هذا الكتاب للدراسة والاستفادة منه ، وأقبل الناس على شراء طبعته وترجماته المختلفة إقبالاً منقطع النظير ، وقد أثنى عليه عدد كبير من العلماء ونقلوا منه ، وعدّوه من المراجع الهامة في علم مقارنة الأديان ، وأوصوا باقتنائه وإعادة طباعته^(١) .

روديغر : هذا الكتاب موجود ؟

- نعم وتطبعه عدد من دور النشر ، وأحمد ديدات هضم هذا الكتاب ، فأحياه من جديد حينما أعطاه شيئاً من روحه ، فكل ما قدّمه ديدات في مناظراته ومحاضراته مقتبس من (إظهار الحق) .

لقد دفع المبشرون ديدات إلى موقفه اليوم ، طرّقوا عليه الباب بالأمس ، وهو يطرق عليهم الأبواب اليوم ، فلا تستغرب أن يقف هذا الموقف ، بعد أن تحدّوه في عقيدته بافتراءات وشبهات باطلة .

- روديغر : أعرف المناظرة بينه وبين سويغارت .

هذه المناظرة من عشرات المناظرات ، وسويغارت رجل غير أخلاقي ، فضائحه الجنسيّة ، ملأت صحف أمريكة ، هنالك مناظرات أقوى وأجود ، سويغارت ممثّل ، الوثائق التي نُشرت عن فضائحه الجنسيّة أبكتته على شاشة التلفاز .

الحوار المحدّد الأهداف ، مع آداب المناظرة ، ننطلق منها ضمن أسس ، ومن قاعدة متينة سليمة ، ما المصدر الذي تقترحه للعودة إليه عند الاختلاف في مسألة ما ؟ ولتكن الحقيقة هي الهدف ، ونحن نلتزم بها .

- روديغر : ما رأيك بمؤلفات متداولة بين أيدي المسيحيين ، ككتب الأب

حداد ؟

(١) رويت للسيد روديغر القصة السابقة بخطوطها الرئيسيّة ، وهنا أخذت للتوثيق من طبعة : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض = ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي .

- كتب رخيصة سهل تقضها ، كتب الأب حداد ، وكتب سلسلة (الحقيقة الصعبة) التي كتب على غلافها تأليف أبو موسى الحريري ، والمؤلف الحقيقي هو الأب ج. قزّي ، نحن نعلم من أين يستقيها ، وكتابه (قس ونبي) أسألك سؤالاً واحداً فينهار مضمونه كله ، القس هو ورقة بن نوفل ، وأين ورقة من الأحداث التي تمت بعد الهجرة النبوية الشريفة ؟ كان ميتاً ، فأين هو من بدر وأحد والخنديق والحديبية وفتح مكة وتبوك ؟..

وهنا انتهت الجلسة الأولى ، وختمها السيد روديغر بشكري على ماقدّمت من معلومات ، وخصوصاً تصويب رأيه حول ديدات ، ثم سألني عشرة أسئلة هي :

١ - أرجو معرفة أسماء عدد من أعلام الحوار في الوقت الحاضر ، مسلمين ومسيحيين ؟

٢ - مناهج المستشرقين في تناول مصادر المسلمين ؟

٣ - إلى أي حدّ تؤثر الحملات الصليبية على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

٤ - أسماء بعض المستشرقين الذين قدّموا الإسلام عقيدةً بشكل موضوعي ؟

٥ - ما الكتب التي تخدم المسلمين في الاطلاع على المسيحية ؟

٦ - الحاجز الأكبر بين المسلمين والمسيحيين ؟

٧ - ظاهرة التبشير المسيحي الغربي وأثرها على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

٨ - نقطة الانطلاق المناسبة للحوار الإسلامي - المسيحي ؟

٩ - مستقبل المسيحية في المنطقة ؟

١٠ - الهوية الإسلامية ضمن العروبة ؟

وسألت السيد روديغر ثمانية أسئلة هي :

١ - ماذا عن التثليث ؟ وكيف تفسّر وجوده في العقائد القديمة الوثنية السابقة

للمسيحية ؟

- ٢ - وماذا عن الصُّلب ؟ وكيف تفسّر وجود الصُّلب في العقائد الوثنيّة السّابقة للمسيحيّة ؟
- ٣ - وماذا عن الفداء وغفران خطايا البشر ؟
- ٤ - موثوقيّة الأنجيل ، عددها ، متى كُتبت ، التّناقض والاختلافات بينها ؟
- ٥ - دور بولس (شاول) في العقيدة المسيحيّة ؟
- ٦ - دور العقل ، ودور العلم والتّسليم دون حوار في بعض أسس العقيدة المسيحيّة ؟
- ٧ - ما موقفك من المكتشفات الأخيرة : لفائف مغاور قران عند البحر الميت ؟ وأنجيل (قنا) في صعيد مصر ؟
- ٨ - دور الكنيسة في التبشير في العالم الإسلامي ، وترك أوربة ملحدة في خواء روحي ؟



اللقاء الثاني :

حضر هذا اللقاء عدد من الزُّملاء الجُدد ، تعرّفوا على السيد روديفر براون لأوّل مرة ، فبدأت اللقاء بحديث عن لقائنا الأوّل ، ومادار بيني وبينه من حديث هام في السيّارة ، فقلت^(١) :

زارني المستشرق روديفر براون ، وعلمت منه أن رسالته^(٢) الحوار بين المسلمين والمسيحيّين ، وفهمت منه أنّه يبحث عن الحقيقة لتصويب المفاهيم الّتي بثّتها الكنيسة في أوربة حول الإسلام ، وقلت له : يطرح الاستشراق على رأس كلّ جيل ، من خلال وسائل إعلام واسعة الانتشار شبهاتٍ عن الإسلام ، وقلت له أيضاً : ولم يأتِ الاستشراق بمجديد منذ عشرات السّنين ، إنّه يكرّر ذاته .

(١) وهذا بداية شريط التّسجيل الثّاني .

(٢) كان السيد روديفر منشغلاً في إعداد رسالة لنيل درجة علميّة في جامعة ألمانيّة .

وأعجبني من السيد روديفر موقفه الإنساني وللوضوعي بشأن البوسنة والهرسك ، وقال : موقف الغرب موقف ظالم لا إنسانية فيه ، وفي ألمانيا توقع العرائض من قبل كبار العلماء والأساتذة والوجهاء ، تطالب الحكومة الألمانية بالتدخل لإتخاذ ما يمكن إتخاذ في البوسنة والهرسك .

وسرتني صراحته ، عندما قال ، الذين في أوربة في سلم الأولويات في الدرجة السابعة أو الثامنة... فقلت له : على الرغم من ذلك ، ينفق الغرب مئات مئات الملايين للتبشير في العالم الإسلامي ، مع أنها تبيع عدداً من كنائسها لخوائها من المصلين ، كما هي الحال في بريطانيا ، وهنا تبسم مسلم بريطاني اسمه مجتبي غياث ميرزا وأوماً برأسه مؤيداً لي ، ثم تابعت قائلاً : فمن باب أولى أن تهتم الكنيسة بداخلها قبل الانطلاق للتبشير في شعوب مؤمنة بالله خالقاً بارئاً رحماً قيوم السموات والأرض .

إن الاستشراق والتبشير والاستعمار حلقات في ساسلة واحدة ، وهذا الرأي قابل للحوار ، ورأي الآخر إذا تشكل عنده عن دراسة وقناعة وعلم ، وإن خالف رأينا نحترمه ، في الوقت الذي لا نحترم فيه المقلد ، حيث الضحالة والجهل ، ولو كان على رأينا .

وسألني السيد روديفر عن رأيي في الحوار ، وأعلمته أن الحوار غير مجدي ، ولا يمكن أن يتم بشكل سليم ، إلا إذا انطلقنا من قاعدة سليمة ، حيث اعتراف الطرف الآخر بنا ، فنحن نعتز بعقيدة بالشرائع الأخرى ، بدليل بقائها في مجتمعاتنا الإسلامية ، وعلى الرغم من الحرب الطويلة بيننا وبين العدو الصهيوني ، لم نهدم كنيساً ، ولم نمنع يهودياً من ممارسة شعائر دينه ، والمسيحي مكرم منذ الفتح حتى يومنا هذا^(١) ، وما زال حتى اليوم يصل إلى عمله الوظيفي الساعة العاشرة يوم الأحد ، وفي الوقت نفسه

(١) للتوسع في هذا البحث ينظر أحكام أهل الذمة لابن القيم .

يستفيد من دوام شهر رمضان المبارك ، فيتأخر ساعة صباحاً ، فهو يكسب بتكريمه أيام الآحاد طوال العام ، مع استفادته في رمضان المبارك .

الحوار المنتج ، كما بدأه البابا بولس السادس ، بدأ بالاعتراف بالإسلام ، اعترف بالآخر ، حينها نجلس معاً للحوار ، أمّا إذا عددتني لأملك ديناً سماوياً ، فأنا إن جلست معك ، لا أجلس بنديّة ومساواة ، أنا أعترف بك ، فاعترف بي وأنت المنادي للحوار ، في عقيدتي أن كتابك حُرّف وشوّه ، ولكن في عقيدتي أيضاً أن أعترف بك أنك من أهل الكتاب .

وأنا أقول : إنّ الحوار سيكون ضرورة في أواخر هذا القرن ، ومع مطلع القرن القادم ، لأنّ الحروب يجب أن تنتهي ، ويجب أن تصرف مئات المليارات من الدولارات على قوت الإنسان وصحّته ، بدل التسلّيح الذي لم يجلب أمناً أو سعادة للبشريّة ، وأذكر هنا (صموئيل بيكت) ، صاحب مسرحيّة (في انتظار غودوت) ، التي نال عليها جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٩ م ، قدّمها بعد انتهاء الحرب العالميّة الثانيّة ١٩٤٥ م ، بعد أن عاش الدمار ، وأشلاء ملايين القتلى ، مع ملايين الجرحى والمشوّهين ، وماذا ينبغي المستقبل ، وكانت مسرحيّة (في انتظار غودوت) حواراً بين اثنين يمثلان التشاؤم والقلق والضياع والخوف من المستقبل ، لقد فكّرا في الانتحار ، ولكنها أقلعا عنه أملاً بمجيء (غودوت) ، الخلّص ، للنقذ ، إن قناعتي - ولا ألزم الآخرين بها - أنه لا يمكن لأوربة التي تفتّش عن عقيدة فيها روح أن تجد عقيدة فيها هذه الرّوح المتوازنة مع المادّة ، فضلاً عن التّسامح والإنسانيّة والأخوة والعقل ... هذه العقيدة الإنسانيّة المتوازنة لن يجدها الغرب إلّا في الإسلام .

أنا قلت : هذه العقيدة التي تفتّش عنها أوربة ، إنسانيّة الأهداف والمرامي ، متوازنة ، لا تطغى فيها المادّة على الرّوح ، ولا تغفل الرّوح المادّة .

هذه العقيدة تخاطب العقل ، وليس فيها رموز أو أسرار ، وليس فيها أطع وأنت

أعمى ، بل فيها الرضا كل الرضا عن أولي النهى ، وأولي الألباب ، وأولي العقول الذين يتدبرون ويتفكرون ، وأنا أعتقد أن أوربة لن تجد ضالتها إلا في الإسلام .

وهناك بواذر :

رجا (روجيه) غارودي ، وكتابه : الإسلام دين المستقبل .
والدكتور مراد هوفمان سفير ألمانية في المغرب ، وكتابه : الإسلام كبديل .
والدكتور موريس بوكاي وكتابه : دراسات في الكتب المقدسة .
وجان دوانبورت وكتابه : اعتذار لمحمد والقرآن .
والكونت هنري دي كاستري وكتابه : الإسلام خواطر وسوانح ...

هذه الصيحات ، وهذه الدراسات الجادة ليست عبثاً ، إنها من شريحة متعلمة (أكاديمية) ، لها باعها الطويل في علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وهذه العقول ليست عادية ، مع احترامنا لكل الناس ، إنها تدل على منافذ الخلاص ، والإسلام السَّميح ، المُحاور ، الإنساني ، للتعريف بالآخرين دون مصادرة لآرائهم .

قال السيد روديفر بالأمس : لقد أثار أحمد ديدات ردود فعل في أوربة بما قدّم من مناظرات ، فشرحت له موقف ديدات ، فكان من النقاط البارزة في حوارنا بالأمس ، أنه يعذر ديدات ، وذكر للحضور قناعته بأنّ السيف لم يكن لفرض عقيدة ، وأنّ الدماء التي سَفِكَت في أوربة أغزر بكثير مما سَفِكَ في الفتح الإسلامي ، فقلت : السيف يعني الإكراه والدمار ، والفتح الإسلامي حضارة ، أينما وصل قُضِيَ على الجهل وانتشر العلم ، مع ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ لم نكره أحداً على الإسلام كما أكرهت أوربة شعوباً بأسرها ، والبديل عندنا الحوار ، فالمتكّن من عقيدته ، القانع بسلامتها ، لا يخاف الحوار حيث (المحك العلمي) ، فنحن ياسيد روديفر معك في بحثك ، ومع الحوار بشروطه ، والذي أريد إضافته اليوم قبل الإجابة عن أسئلتك أقول لك - وهذا شيء

جديد بالنسبة لك - عندكم في البدء كانت الكلمة ، وعندنا في البدء كان الحوار ، قبل أن يخلق الله آدم ، كان الحوار بين الله سبحانه وتعالى وملائكته .

ففي البدء كان الحوار ، وأريد منك أن تأخذ الآيات الكثيرة التي فيها حوار مع أهل الكتاب ، حتى مع الكافرين ، فالمسلم مأمور أن يحاور أخاه المسلم بطريقة حسنة ، ولكنه مأمور أن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، لا بالحسن ، بل بالتي هي أحسن .

وأنت وعدتني أن تكتب بموضوعية ، وتنشر هذه الحقائق ، بل انشر قناعاتك ، والشعب الأوربي كما نسمع يعشق الحقيقة ، وتقديم الحقيقة واجب إنساني علمي ، يقدم كما عرفته من أهله ، لا كما روّجت له الكنيسة .

الحوار أولاً ودائماً ، وفي البدء كان الحوار ، واذكر حوار أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام مع نفسه تعليماً لقومه ، ومع أبيه وأبناء قريته ، ومع سلطان البلد في عصره ، وحوار النبي الكريم مع قومه ، دليل أن مرد القناعات للعقل ، والحجة هي الأساس ، ولا يمكن فرض العقيدة بالعنف .

وأريد أن أسمع من السيد روديفر شيئاً عن آفاق الإسلام في أوربة ، وخصوصاً في بلده الألمانية ، بعد أن أثارت دار النشر (دير شبيكل) ضجة حول كتاب (الإسلام كبديل) ، كما أريد تعليقك على كلامي مصوباً ومصححاً ، فأنا أقول : كل ما يخالف الفطرة الإنسانية لا بد أن ينهار ، وأقول : العقيدة التي لا تحتكم إلى العقل ، ولا تتشكل عن قناعة فكرية ستنهار مع مطلع القرن القادم ، والمعطيات حسب قناعاتي بعضها ظاهر ، وبعضها لم يصلنا بعد ، فأوربة إن رفضت الإسلام تعصباً وحقداً وصلبيّة ، فإنها ستجد نفسها في أحضانه ضرورة وحاجة ملحة مع مطلع القرن القادم ، فالسويد عام ١٩٨٥ م جعل رئيس وزرائها (أولفا بالما) هذا العام للتعريف بالإسلام عقيدة

وحضارة وإنسانية ، لقد كانت السويد تفتش في الإسلام عن الجانب الروحي ، عن
الطمانينة ، عن سلامة المجتمع بسلامة اللبنة الأولى (الأسرة) .

أريد أن أسمع منك ...

روديفر : أولاً تعليقاً على كلامك : أنا معجب جداً ، بمنهجك العظيم ، وأتمنى أن
يكون كل المشتركين في الحوار بين الأديان وبين المجتمعات ينطلقون من القناعة نفسها ،
ومن منطلق الدكتور شوقي أبو خليل نفسه ، وأنا ليس عندي أي نقد ، أو أي شيء ،
أنا مئة بالمئة موافق على كلامك ومنهجك .

أما بالنسبة لمستقبل الإسلام في أوربة ، فأنا أظن حينما ننظر إلى قضية مراد
هوفمان نجد اتجاهين ، الأول : متكون بغير معرفة ، يهاجم الكتب التي ألّفت من قبل
مراد هوفمان ، والثاني : اتجاه يريد الحوار على الأسس التي ذكرتها الآن .

وعلى الصعيد العقلي ، أنا أظن فيما يتعلق بمستقبل الإسلام ، أنه سيواجه مع مرور
الأيام أبواباً مفتوحة أكثر ، وهذا رأيي ، وكلما تقدّمنا تاريخياً تقدّمنا إلى التسامح ، إلى
الانفتاح ، ولا أرى مستقبلاً مشرقاً للإسلام ، ولكن الدافع إلى هذا الاتجاه - على
ما أظن - هو فتح أبواب للحوار .

المشكلة هي أن المجتمع الغربي ليس لديه القناعة الثابتة المتينة مثل ما نجد في
الإسلام ، لهذا السبب ، الشخص الذي يواجه شيئاً قوياً بغير القوة ، يبحث عن
افتراءات ، ومزاعم باطلة ، ويريد أن يبطل الشيء الآخر بكل طاقاته ، يبحث عن
طرق ما ، حتى ولو كانت غير إنسانية أبداً ، هذه الظاهرة التي نجدها الآن في أوربة ،
في ألمانيا وإنكلترا ... الإسلام القديم الذي فهم من وجهة نظر صليبية ، دون معرفة
عميقة عن الإسلام ، أو صحيحة ، وأنا أضيف يجب علينا ، على المجتمع الغربي أن يتعرف
على الإسلام كما هو ، وكما يفهمه أهله ، ولهذا السبب أقول : طالما يدرس الإسلام من
قبل المدرسين الأساتذة المسيحيين ، لا نستطيع أن نعرف الإسلام كما هو ، بل إسلاماً

مشوِّهاً ، وهذا لا يفيدنا ، ولا يفيد الشعب المسيحي ، الشعب الغربي ، كيف نبني الحوار على الأسس الإنسانية ؟ عندما نكافح عدوًّا لا وجود له في الواقع .

نحن نحارب الإسلام ، وهذا رثماً يسبب الخجل ، لا بدَّ أن نواجه الإسلام كما هو ، لا بدَّ من مواجهة الحقيقة ، إذا كنَّا نودُّ حواراً صادقاً ، ولهذا السَّبب أُظنُّ على الاستشراق في ألمانيا عندما يدرس الإسلام - وهذا رأيي - توجد اتِّجاهات تدفع الاستشراق في ألمانيا إلى هذه القضية ، أي أن الإسلام يُدرَّس من قبل المسلمين .

المشكلة التي أراها ، مَنْ يدرِّس الإسلام ، السُّنة أم الشيعة ؟ وهذه قضية ليست كبيرة جداً ، أنا أستطيع أن أتجاوز هذه الفروقات ، هذه الاختلافات دون مشكلة ، المهم أن نتفق على منهج قويٍّ وسليم .

هذه إحدى النقاط المهمة ، أن الإسلام لا يُدرَّس من قِبَل المسيحيين ، مثلاً أنا عندما أدرِّس الإسلام في ألمانيا ، اللهم أنِّي حينما أجلس لأدرِّس الإسلام ، هل أعرف عن محمد رسول الله ، عن القرآن الكريم .. لا بدَّ أن أضع أصدقائي المسلمين ، وأقول من فضلك أتعذري ، وصوب لي ، لأنَّه ما الفائدة من كلِّ هذه الخطبة التي ألقينها تجاه الآخرين السَّائِلين ، وحينما أقدم الصورة التي لا توجد في الحقيقة ، أقول الإسلام باختصار من زاوية سلبية ، وهذا هو الإسلام كما هو ، إننا نحتاج إلى معرفة عميقة ، وأن نكون مستعدين لمواجهة الحقيقة ، لمواجهة الإسلام كما هو ، لا بدَّ أن أقول حينما أؤمن بالله ، أقوم بهذه الخطوة وأسلم ، ولا أريد أن أقول شيئاً من تلقاء نفسي ، ولا أبحث عن وسائل لمهاجمة هذا العدو ، ولكن أنا أظن أن البذور موجودة ، والخلايا جيِّدة ، وموجودة للقيام بالحوار .

إذا كنَّا ننطلق من نقاط الانطلاق التي ذكرها الدكتور شوقي أبو خليل ، وأظنُّ هذا رأيي ، أولاً : يجب أن يعرف بعضنا بعضاً كما نحن فعلاً ، لا كما نريد أن نرى الآخر ، نريد أن نرى الآخر لا يعرف شيئاً ، بعض الأشخاص يظنون أنَّ العربيَّ يركب

الجَمال ، كيف نبني حواراً عالمياً حينما نتوهم توهمات باطلة ، إنَّ الخبرات الَّتِي أخذتها من هنا في سورِيَّة ، تتيجتها أنَّ المسلم أكثر استعداداً للحوار من المسيحي نوعاً ما ، ولهذا السَّبب على الكنيسة والمسيحيَّة في الغرب أن تراجع نفسها ، وتعيد حساباتها ، وتختار الطَّرِيق السَّليم ، كلُّ هذه الفضائح الَّتِي ارتكبتها ، إذا راجعت هذه الفضائح ، وهذه الخطايا ، تقول : آن الأوان ، وقبل كلِّ شيء تتوب ، وتقول : نحن نرمم بيتنا أولاً ، ولا نفرض نفسنا على الآخرين ، عندها سنواجه إنسانية مقبولة .

وبعد أن انتهى السيد روديفر مما سبق ، قلت معلّقاً :

المستشرقة الَّتِي قدّمت لكتاب (الإسلام كبديل) ، وهي الأستاذة الدكتور أناماري شمل - وهي على رأي الدكتور مراد هوفمان - ترى أنَّ الإسلام الموجود في رؤوس الأوربيين هو الإسلام الَّذِي رسمته الكنيسة في عقولهم ، وليس الإسلام الصَّحيح ، وليس الإسلام كما هو ، الإسلام شيء ، وما وضعته الكنيسة الأوربيَّة في عقول الغربيين شيء آخر ، وأنا أرى أنَّ هذا خطوة جيّدة ، لقد وضعنا أيدينا على الخطأ ، لننطلق إلى التَّصويب ، إنَّ هذا شيء رائع .



اللقاء الثالث :

بدأ اللقاء الثالث بإجابة السيد روديفر براون عن سؤال الثالوث الأقدس ، فقال :
الثالوث الأقدس يقول : المسيح وُجِدَ في ناسوته .

فقلت : هل وُجِدَ السَّيِّد المسيح منذ الأزل مع الله ؟

روديفر : المسيح وُجِدَ مع الأزل .

- المسيح المصلوب متى وُجِدَ ؟ هل المسيح للولود من مريم أزلي ؟

روديفر : منذ ١٩٩٤ سنة ، كلمة ، كان فيه كلمة .

- الكلمة كُن فيكون ، أي بإرادة الله ، للمسيح المصلوب عمره ١٩٩٤ سنة ، فكيف صار واحداً من ثلاثة ؟

روديغر : الله كان الكلمة ، كان دائماً ناطقاً ، الله كان أزلياً ولكن في ذاته ، ثلاث ذاتيات منذ الأزل ، أنا لا أتكلّم عن مادّيات ، الجوهر كان دائماً واحداً ، لا نتحدّث عن الجواهر المخلوقة ، الجوهر يعني غير قابل للعرض ، أراد الله أن يُعرَف^(١) ، فأرسل شخصاً اسمه المسيح ، جعله المثال الناطق ، الذي يتكلّم ليس المذيع ، المتكلّم هو المسيح ، المسيح يسأل والمجيب هو الله .

- في الأناجيل الأربعة لا نجد فيها موطناً واحداً يقول فيه السيّد للمسيح : أنا الله .

روديغر : صحيح ، تلامذته قالوا .

- بل (شاول) هو الذي غيّر وبدّل ، لقد بقي التّوحيد حتّى مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م ، في اللاهوت المسيحي بحوث وافية كافية ، فيها آراء النسطورية ، والأبنيوتية ، والأريوسية .. هل كانت الأريوسية موحّدة ؟

روديغر : نعم موحّدة .

- مادام الأساس هو التّوحيد ، لماذا قضي عليه ، ووضعنا فلسفة خاصّة يصعب الاقتناع بها ؟ لماذا كل هذه الشّروحات ، عدّ إلى (قصة الحضارة) لول ديورانت مثلاً ، أو إلى نيتشه .. نيتشه غير ملحد ، إنّه ملحد بإله الكنيسة البشري فقط .

روديغر : كان مجنوناً .

- نيتشه مؤمن بالله ، وكافر بالمسيحية ، يقول نيتشه : « الله كما خلقه بولس ، هو إنكار لله ، وديانة كالمسيحية لا تمس الواقع في أيّة نقطة ، وتفتّت حالماً يدخل الواقع

(١) ويتساءل للمرء هنا : هل كان الله غير معروفٍ منذ آدم وحتى سنة ٣٠ م ؟ حيث تعميد السيد المسيح .

فيها من أيّ نقطة .. » ، ويستغرب ويسخر من القول : « الله على الصليب ! ؟ » ، ويقول أيضاً : « حارب الصليبيون شيئاً كان الأجدر بهم أن ينبطحوا بذلّ أمامه ، حضارة يمكن لقرننا التاسع عشر أن يعتقد أنّه فقير جداً ، ومتأخراً جداً بالمقارنة معها ^(١) .

روديغر : صحيح .

- أريد أن أغرس في ذهنك : لماذا بعد سنة ٣٢٥ م تغيرت المسيحية ؟ .

روديغر : هذا غير صحيح تماماً .

- لماذا عَقِدَت المجامع إذن ؟

روديغر : المجامع صحيحة .

- إنّها خالفت العقيدة في جوهرها ، في صلبها .

روديغر : بعد ثلاثة قرون بدأت هذه الهرطقة ، فكان لابدّ أن تقول الكنيسة

كلمتها ، وأنا أسألك : ماذا كان يجري في القرون الأولى في المسيحية ؟

- الجواب الفصيل عندي : كانت الوثنية تقم بالمسيحية على يد (شاول) ، وإذا

كان صدرك رحباً ، أوضّح لك ذلك بالتفصيل ، وهذا الموضوع أشرحه لك دون

الرجوع إلى كتاب لمؤلف عربي أو مسلم ، بل أشرحه لك من مصادر غربيّة ، ومع ذلك

أقدم لك كتابين لن أعتمدهما في إجابتي عن سؤالك : (يناييع المسيحية) لخوجة

كمال الدين ، و (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) لمحمد طاهر التّير ، شريطة أن

تقرأ باستيعاب ، وتناقش للمضون .

روديغر : أنا أتعلّم .

(١) أقوال نيتشه في كتابه (عدو المسيح) على التّوالي الفقرات : ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٠ .

- هذه اللقاءات في اعتقادي مفيدة لنا جميعاً ، من منطلق أن نتعرّف على العقيدة من أصحابها ، من الأتباع أنفسهم ، ونحن من الذين يحاورون يهدوء ، لا لجعلك مسلماً ، فالمسلمون اليوم مليار وأكثر ، فأنا من أصحاب نظريّة تقول : أن لنا أن نزن العقول ، ولا نعدّ الرؤوس ، لا يهمني العدد ، بل يهمني العقول الراجعة ، الفاهمة ، الواقعيّة ، يهمني النوعيّة .

روديغر : إِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ النَّصَارَى مُؤْمِنٌ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ۖ ﴾ [البقرة : ٦٢/٢] .
- ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، أي من آمن من هذه الطوائف إيماناً صادقاً ، فصدّق بالله ، لا بالوهيّة عيسى عليه السلام .

روديغر : القرآن لم يحارب مرّة واحدة في آياته الثالوث الأقدس ، حارب التثليثات الخاطئة .

- بل حارب التثليث وعدّه كفراً ، وهل تعلم أن التثليث موجود في العقائد الوثنية القديمة التي سبقت المسيحيّة ؟
روديغر : طبعاً أعرف .

- والمسيحيّة التي نزلت على عيسى عليه السّلام لا تثليث فيها ، والتثليث في المسيحيّة مقتبس دخیل من العقائد الوثنيّة القديمة .

روديغر : أنا أظنّ ، أننا نتسرّع حينما نقول : إِنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَحَارِبُ الْمَسِيحِيَّةَ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا .

- النَّبِيُّ ﷺ لم يحارب المسيحيّة ، بدليل وجود المسيحيّين بيننا ، المسلمون لا يحاربون أحداً لفرض عقيدتهم عليه .

روديغر : الزواج مثلاً ، لماذا لا يمنع القرآن زواج المسلم من مسيحية ؟ إنه يسمح بذلك .

- هذا له جواب .

روديغر : لأنها ليست مشركة .

- لا ، لأنها من أهل الكتاب .

روديغر : حاشا للنبي أن يسمح للمؤمنين المسلمين الزواج بمشركة .

- لأنَّ عندها رادعاً مهما كانت عقيدتها مشوهة ، يبقى عندها رادع في نفسها ، فلامانع من أن تكون زوجة ولو شاباً إيمانها ماشابه .

ياسيد روديغر ، لقد كان من المفروض على الكنيسة ، بدل الافتراءات والشبهات ، أن تطبع القرآن الكريم مع الإنجيل ، طبعوا التوراة ولم تذكر السيد المسيح وأمه الطاهرة البتول ولو مرة واحدة ، وأمّا القرآن الكريم ففيه السور الطوال عن المسيح وأمه .

قال رجا غارودي : « لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة ، حتى في الجامعات الغربية ، ورياً كان هذا مقصوداً مع الأسف » .

مع أن التسامح الديني كان مطلقاً في دور ازدهار الحضارة الإسلامية : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦/٢] .

وعلى الرغم من ذلك كله ، تذكر إذاعة لندن صباح يوم الأربعاء ١٩/١/١٩٩٤ م ، الساعة ٧,٤٠ بتوقيت دمشق ، كلاماً عن الدكتور كيلى ، يتحدث فيه عن حقوق الإنسان والتسامح بشأن السودان ، وكذلك يذيع تصريحاً للبارونة شوكر ، وذلك ضمن مناقشة الشؤون السودانية في مجلس العموم البريطاني ، مع أنَّ البابا عندما زار الخرطوم في الشهر الأول من العام الماضي (١٩٩٣ م) لم يتحدث كلمة واحدة عن حقوق

الإنسان ، ولا عن التسامح ، لأنَّ حقوق الإنسان مصونة ، والتَّسامح متوافر في أبعد مدى ، والمسيحيُّون لا يشكُّلون سوى ٧٪ في الجنوب ، ويريدون التَّحكُّم بسياسة الدَّولة ، وبمصر الأكثرية المسلمة ، أين الدِّيمقراطيَّة ؟ إذا عمَّنا أن كلَّ أقلِّيَّة لم يعجبها أمر تطالب بالانفصال أو تنقاد الأكثرية لرأيهم ، شيء مخجل حقاً .

أمَّا التَّسامح ، فعيب على أوربة أن تتحدَّث عنه ، لأنها لم تعرفه على مرَّ تاريخها في وقت من الأوقات .



اللقاء الرَّابع :

كان اللقاء الرَّابع يوم الأربعاء ١٩٩٤/١/٢٦ م ، ولقد صادف هذا التاريخ ١٤ شعبان ١٤١٤ هـ ، ليلة النِّصف من شهر شعبان ، فبدأتُ الجلسة بدعاء النِّصف من شعبان ثم قلت :

وعدت السيّد روديفر في لقاء الأسبوع الماضي أن أعالج موضوعاً واحداً فقط : كيف طرأت الوثنيَّة على الديانة المسيحيَّة الموحَّدة ؟ وقلت في حينه : إنَّني لن أعود إلى مصدر إسلامي ، أو مرجع لمؤلَّف مسلم ، كي لا يُقال في مثل هذا الموقف المثل للعروف : كلُّ فتاة بأيها معجبة ، فاجتناباً لأيِّ تحامل أو زيادة أو نقصان في مثل هذا الموضوع ، عدت إلى قصة الحضارة لول ديورانت ، الجزء الحادي عشر ، الصَّفحة ٢٠٢ وما بعدها ، الباب السَّادس والعشرين ، وعنوانه : عيسى أو يسوع [٤ ق.م - ٣٠ م] ، أنا لم أتِ بشيء من عندي ، وإذا أردتُ شرحاً لمُحت ، وإذا أردتُ تعليقاً سأقول ، سأذكر ذلك للأمانة العلميَّة ، وللتوثيق .

يبدأ الفصل الأوَّل من الباب السَّادس والعشرين بالسُّؤال التَّالي : هل وُجد المسيح حقاً ؟ أو أن قصَّة حياة مؤسِّس المسيحيَّة وثمره أحزان البشريَّة ، وخيالها ، وآمالها أسطورة من الأساطير ، شبيهة بخرافات كرشنا ، وأوزيريس ، وأدونيس ، ومثراس .. ؟

لقد كان (بولنجبرك) وللتفون حوله ، وهم جماعة ارتاع لأفكارها (قلتير)
نفسه ، يقولون في مجالسهم الخاصة : إنَّ المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق ،
وجهر (قلني Volney) بهذا الشك نفسه في كتابه خرائب الإمبراطورية الذي نشره في
عام ١٧٩١ م ، ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ م (بويلاند Wieland) العالم الألماني ، لم
يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السياسة أو الحرب ، بل سأله هل يؤمن بتاريخية
المسيح ؟

ولقد كان من أعظم ميادين نشاط العقل الإنساني في العصر الحديث وأبعدها أثراً
ميدان النقد الأعلى للكتاب المقدس ، التَّهْجُمُ الشَّدِيدُ على صحته وصدق روايته ، تقابله
جهود قويّة لإثبات صحة الأسس التاريخيّة للدين المسيحي .

(هرمان ريمارس) أستاذ اللغات الشرقيّة في جامعة (همبرغ) ، ترك بعد وفاته
عام ١٧٦٨ م مخطوطاً عن حياة المسيح يشتمل على ١٤٠٠ صفحة ، نُشِرَت فصول منه ،
يقول : إنَّ يسوع لا يمكن أن يُعَدَّ مؤسس المسيحيّة .. كان يفكر في تهية الناس
لاستقبال دمار العالم .

وفي عام ١٨٩٦ م أشار (هرذر) إلى ما بين مسيح متى ، ومرقس ، ولوقا ،
ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها .

ثم جاء (دافيد استروس) عام ١٨٣٦ م ، وقَدَّم كتابه عن حياة المسيح ، وهو
كتاب عظيم الأثر في التاريخ ، فرفض التوفيق بين المعجزات والعلل الطبيعيّة ،
وقال : إنَّ ما في الأنجيل من خوارق الطبيعة يجب أن يعد من الأساطير الخرافيّة ،
وإن حياة المسيح الحقيقيّة يجب أن تعاد كتابتها بعد أن تُحذف منها هذه العناصر أيّاً
كانت صورها .

وفي عام ١٨٣٦ م أيضاً هاجم (فردناند كرستيان بور) رسائل بولس ، وقال : إنها
كلّها مدسوسة عليه ، عدا رسائله إلى أهل غلاطية ، وكورنثوس ، ورومة .

وفي عام ١٨٤٠م بدأ (برونو بور) سلسلة من الكتب الجدليّة الحماسيّة ينبغي بها أن يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير .

وفي عام ١٨٦٣م أخرج (إيرنست رينان) كتاباً اسمه (حياة يسوع) ، جمع فيه نتائج النّقد الألماني ، وعرض مشكلة الأنجيل على العالم المثقّف كلّه .

وبلغت المدرسة الفلسفيّة صاحبة البحوث الدّينيّة ذروتها في أواخر القرن التّاسع عشر على يد الأب (لوازي Loisy) الذي حلّل نصوص العهد الجديد تحليلاً بلغ من الصّرامة حدّاً اضطرت معه الكنيسة الكاثوليكيّة إلى إصدار قرار بجرمانه ، هو وغيره من (المحدثين) .

وفي المدرسة الهولنديّة ، مدرسة (بيرسن) و (نابز) و (متناس) ، وبعد بحوث مضنية ، أنكرت حقيقة المسيح التّاريخيّة ، وفي ألمانية عرض (آرثر دروز) هذه النتيجة السّالبة عرضاً واضحاً محدّداً عام ١٩٠٦م .

وفي إنكلترة أدلى (سمث) و (ربرتن) بحجج من هذا النّوع ، أنكر فيها وجود المسيح .

إنّ أقدم إشارة غير مسيحيّة إلى وجود المسيح هي التي وردت في كتاب قدّمه اليهود ليوسفوس عام ٩٣م ، وللمسيحيّون يشككون في هذا الكتاب - أو هذه الرسالة - لوجود ثناء عظيم على المسيح ، واليهود يناصبون للمسيحيّة العداء ، ممّا بعث الرّيبة بهذه الرّسالة ، ولذلك يرفضها علماء المسيحيّة .

وأقدم إشارات إلى المسيح في أدب الوثنيّين ماورد في خطاب كتبه (بلني الأصغر) حوالي عام ١١٠م ، يستشير فيه (تراجان) عمّا يعامل به للمسيحيّين ، وبعد خمس سنين من ذلك الوقت وصف (ناستس) اضطهاد (نيرون) للمسيحيّين في رومة .

هذا ماكان من أمر المسيح نفسه ، أمّا الأنجيل فليس أمرها بهذه السّهولة ، ذلك

أن أربعة الأناجيل التي وصلت إلينا ، هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً ، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني ، واللفظ الدال على الإنجيل Godspel ، أي أخبار طيبة ، ترجمة للفظ اليوناني Euangelion ، الذي يبدأ به إنجيل مرقس ومعناه (أخبار سارة) ، هي أن المسيح قد جاء ، وأن ملكوت الله قريب المنال ، وأناجيل متى ومرقس ولوقا كتبت باللغة اليونانية الدارجة ، أكسبها حتى في صورتها الأصلية الفجة جمالاً فذاً ، زاده قوة في العالم الإنكليزي الترجمة العظيمة البعيدة كل البعد عن الدقة ، والتي وضعت للملك جيمس .

وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث ، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ٦٠ و ١٢٠ م ، ولعلها تعرضت بعد كتابتها على مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ، ولعلها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها .

ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ م إلا في كتابات (بيباس Papias) الذي كتب في عام ١٣٥ م يقول : إن يوحنا الأكبر - وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها - قال : إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس .

والإنجيل حسب نص القديس لوقا ، وهو النص الذي يعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول ، يعلن أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح ، والتوفيق بينها ، فهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس كما يقتبس من متى .

ولا يدعي الإنجيل الرابع أنه ترجمة ليسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله ، وخالق العالم ، ومنقذ البشرية ، وهو يناقض الأناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل ، وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح ، وتنزع الدراسات الحديثة إلى تحديد تاريخ الإنجيل الرابع (يوحنا) بأواخر القرن الأول .

وملاك القول أنَّ ثمة تناقضاً كثيراً بين الأناجيل بعضها من بعض ، وأن فيها إشارات تاريخية مشكوكاً في صحتها ، وكثيراً من القصص الباعثة على الرّيبة والشّبهة بما يروى عن آلهة الوثنيين ، ويبدو أن ماتنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرّضت لما تعرّض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ، ولما يرتكبه النّساخ من أخطاء ، أو (تصحيح) .

ويعمد المخترعون لللقّون إلى إخفاء كثير من الحادثات :

كتنافس الرّسل على للنازل العليا في ملكوت الله .

وفرارهم بعد القبض على يسوع .

وإنكار بطرس .

وعجز المسيح عن إتيان المعجزات في الجليل .

واعترافه بأنّه يجهل أمر المستقبل .

وما كان يمرّ به من لحظات يمتلئ قلبه فيها حقداً على أعدائه .

وصيحة اليأس التي رفع بها عقيرته وهو على الصّليب .

ويختتم ول ديورانت هذا الفصل بقوله : « إنّ الخطوط الرّئيسيّة في سيرة المسيح ، وأخلاقه ، وتعاليمه ، لتبقى بعد قرنين من النّقد الشّديد واضحة معقولة ، لتكون أروع ظاهرة في تاريخ الغربيين وأعظمها فتنة للألباب » ، [قصة الحضارة ١١/٢١١] .

نشأة عيسى : يحدد متى ولوقا ميلاد المسيح في الأيام التي كان فيها (هيرودس) ملكاً على فلسطين ، ولوقا يقول عن يسوع أنّه كان حوالي الثلاثين من عمره حين عمّده يوحنا في السّنة الخامسة عشرة من حكم (تيبيريوس) ، أي في عام ٢٨ - ٢٩ م ، وهذا يجعل ميلاد المسيح في عام ٢ - ١ ق.م .

واختلف في تاريخ ولادته : ١٧ نيسان (إبريل) ، أم ١٠ أيار (مايو) ؟ أم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ؟ أم ٦ كانون الثاني (يناير) ؟ وفي عام ٣٥٤ م احتفلت

الكنائس الغربيّة بمولده في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ظنّاً منها أنّه يوم الانقلاب الشتوي الذي تبدأ الأيّام بعده تطول - وهو عيد مثراس - أي مولد الشّمس التي لا تقهر ، واستمسكت الكنائس الشّرقية بتاريخ ٦ كانون الثاني (يناير) ، واتّهمت أخواتها الغربيّة بالوثنيّة ، وعبادة الشّمس ، وما اختتمّ القرن الرّابع حتّى اتّخذ ٢٥ كانون الأوّل (ديسمبر) عيداً للميلاد .

وُلِدَ المسيح - كما في متّى ولوقا - في بيت لحم ، ثمّ انتقلت أسرته إلى النّاصرة ، ولم يذكر لماذا هذا الانتقال .

وفي مرقس لا ذكر لبيت لحم ، ولا ذكر للمسيح إلّا باسم (يسوع النّاصري) ، ويقول النّاقدون إنّ متّى ولوقا قد اختارا بيت لحم ليقوّيا بذلك الادّعاء بأنّ يسوع هو المسيح ، وأنّه من نسل داود كما تتطلّب تلك النّبوءة اليهوديّة ، وذلك لأنّ أسرة داود كانت تقيم في بيت لحم ، ولكننا لا نجد ما يؤيّد هذا الظّن .

ولا يذكر بولس ويوحنا شيئاً عن مولده من عذراء ، وأمّا متّى ولوقا اللذان يذكرانه فيرجعان نسب يسوع إلى داود عن طريق يوسف ، بسلاسل أنساب متعارضة ، ويلوح أن الاعتقاد في مولد المسيح من عذراء قد نشأ في عصر متأخّر عن الاعتقاد بأنّه من نسل داود .

ولا يذكر أصحاب الأناجيل شيئاً - إلّا القليل خطأ - عن شباب المسيح .

[وتوضيحاً أقول هنا : بل لا نعرف شيئاً عن حياة المسيح وعمره ما بين ١٢ سنة إلى ٣٠ سنة ، فترة مجهولة تماماً ، لذلك يتكلّم المفكرون في الغرب عن السّنين الضّائعة من حياة المسيح !؟] .

عمد يوحنا للعمدان المسيح في نهر الأردن وعمره ٣٠ سنة ، ويروي مرقس ومتّى بعدها قصة سالوم ابنة هوردياس التي فتنت هيرودس برقصها أمامه حتّى عرض عليها

أن يقدم لها آية مكافأة تطلبها ، فطلبت رأس يوحنا بتحريض من أمها ، وإن الحاكم أجابها لطلبها ، وليس في الأناجيل شيء عن حبّ سالوم ليوحنا .

الرسالة : ولما سجنَ يوحنا أخذ عيسى يقوم بعمل العمدان ، ويخطب في الناس مبشراً بملكوت الله ، ولما عرّف أنّ يوحنا قد قُتل ، وأن أتباعه كانوا يبحثون عن زعيم جديد ، تحمّل يسوع العبء ، وما يستتبعه من خطر .

المعجزات : عزاها المسيح نفسه إلى (إيمان) من يشفيهم .

وابنة (بايروس) قال عنها المسيح بصراحة : إنّ البنت لم تمت ، بل كانت نائمة .

وظلّ المسيح زمناً طويلاً لا يرى في نفسه إلاّ أنه أحد اليهود ، ويؤمن بأفكار الأنبياء ، يرسل رسله إلى المدن اليهودية فقط : « إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا » ، « لم أرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » ، وقال للأبرص الذي شفاه من علته : « اذهب وأر نفسك للكاهن ، وقدم القرбан الذي أمر به موسى » ، « لا تظنوا أنّي جئت لأتقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأتقض بل لأكمل » .

ثم قبض (بيلاطس) على المسيح ، وبعد الصلب - كما يعتقد المسيحيون - : « أنّ المسيح ظهر في ذلك اليوم نفسه إلى تلميذَيْن من تلاميذه في الطريق الموصل إلى عمواس ، وتحدث إليهم ، وأكل معهم ... وعرفاه ، ثم اختفى عنها .

[لذلك في الأناجيل المكتشفة في قنا (في صعيد مصر) : كان شخص آخر هو الذي شرب المرارة والخل ، لم أكن أنا كان آخر ، (سيون) هو الذي حمل الصليب على كتفه ، كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه ، وكنت أنا في العلاء ، أضحك لجهلهم .

إنّ الذي رأيته سعيداً يضحك ، هو يسوع الحيّ ، لكن من يَدْخِلُون المسامير في

يديه وقدميه .. فهو البديل ، فقد وضعوا العار على الشَّبيه ، انظر إليه وانظر إليّ .
(مجلة المجلة العدد ٧١٢ ، تاريخ ١٩٩٣/١٠/٣) ، وقُدِّمتُ صورةً عن التحقيق الَّذي
تناول الأناجيل المكتشفة في قنا للسَّيد روديغر ، وفيه النَّصَّان السَّابقان .

الرُّسُل : [٣٠ - ٩٥ م] :

بطرس : نشأت للمسيحية من الإيحاء الغامض العجيب بحلول لللكوت ، واستمدت
دوافعها من شخصيَّة المسيح نفسه وتخيلاته ، كما استمدت قوَّتها من عقيدة البعث
والحساب ، والوعد بحياة الخلود ، واتَّخذت صورة العقائد الثَّابتة في لاهوت بولس ، ثم
نمت باستيعابها العقائد والطُّقوس الوثنيَّة

ولما كَثُر عدد المهتدين ، وكَثُر ما تحت أيدي الرُّسل من الأموال ، عَيَّنوا سبعة من
شمامسة الكنيسة للإشراف على شُؤون هذه الجماعة ، وظلَّ رؤساء اليهود فترة من الزَّمن
لا يعارضون قيام هذه الفئة لصغرها ، وانتفاء الأذى من وجودها ، فلما تضاعف عدد
النَّصارى ، استولى الرُّعب على قلب الكهنة ، فقبض على بطرس وغيره للمحاكمة ، وكان
شاؤل يساعد في الهجوم ، وانتقل من بيت إلى بيت في أورشليم ، يقبض على أتباع
الكنيسة ، ويزجهم في السَّجن .

ورحَّب المسيحيُّون بتدمير الهيكل على يد (تيطس) ، وأثَّقت نَار الحقد في قلوب
أتباع كلا الدِّينَيْن ، وأخذت المسيحية اليهوديَّة من ذلك الوقت يقل عدد أتباعها
وتضعف قوتها ، وتترك الدِّين الجديد للعقليَّة اليونانيَّة تشكُّله وتصبغه بصبغتها .

وكانت المسيحية حسب تعاليم المسيح وبطرس يهوديَّة ، ثمَّ أصبحت في تعاليم بولس
نصف يونانيَّة ، وأصبحت في المذهب الكاثوليكي نصف رومانيَّة ، ثمَّ عاد إليها العنصر
اليهودي والقوَّة اليهوديَّة حين دخلها المذهب البروتستنتي .

بولس : وُلِدَ واضح اللاهوت المسيحي في طَرَسُوس من أعمال كيليكيا ، حوالي
السَّنة العاشرة من التَّاريخ الميلادي ، ومن حقِّنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدِّينيَّة

والأخلاقية الرواقية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس ، وكان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية أتباع لعقائد كثيرة منها الخفي ، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ، ثم قام من قبره ، هذه العقائد الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس ، وأعدت بولس لدعوة اليونان ، بعد أن اعتقد أنه ملهم يوحى إليه أنه قادر على فعل المعجزات ، وبدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً عن اليهودية ، وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيح ، لقد تزعم الاضطهاد الأول للمسيحيين في أورشليم ، ولما سمع أن الذين الجديد أصبح له في دمشق أتباع كثيرون ، سار إليها ، فبغته أيرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتاً قائلاً له : شاول ، شاول ، لماذا تضطهدينني ؟ فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب (وفي الأصل الإنكليزي : فقال الصوت) : أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، انقلاب مفاجئ أساسي في طبيعة الرجل ، وسقطت قشور عن عينيه ، فأبصر وتناول الطعام ، وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت ، دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها : إن عيسى ابن الله .

ولما عاد إلى أورشليم عفا عنه بطرس ، ولكن كان معظم الرسل يرتابون فيه ، فأرسل إلى طرسوس ، وظل في مسقط رأسه ثماني سنين لا يعرف عنه التاريخ شيئاً .

والراجح أن بولس قام برحلته التبشيرية الثانية في عام ٥٠ م ، وسار إلى مقدونية . وسالونيك ، ثم إلى أثينا ، ثم إلى كورنثه ، ثم إلى أورشليم عام ٥٣ م . ثم بدأ رحلته الثالثة إلى أنطاكية وآسية الصغرى ، ثم إلى اليونان ، ومن هنا كتب رسالة إلى أهل غلاطية ، وأعلن فيها أن الناس لا ينجون لاستمساكهم بشريعة موسى ، بل بإيمانهم القوي بالمسيح المنقذ ابن الله ، ثم سافر إلى أورشليم عام ٥٧ م ، ثم أرسل إلى إيطاليا ليحاكم أمام القيصر (نيرون) ، وسمح له نيرون بإقامة جبرية ، وسمح لمن شاء زيارته ، وكان المسيحيون في رومة يفضلون المسيحية التي جاءت إليهم من أورشليم ، فقابلوا بولس بفتور ، فكتب من رومة رسائل طويلة إلى أتباعه البعيدين ، لم تلبث أن

دخلت في أخصّ خصائص اللاهوت المسيحي ، ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لانهج له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح ، أهمها : إن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم ، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته ، وهذه عادة يهودية كنعانية بابلية وثنية ، أي التضحية بطفل محبوب لاسترضاء السماء الغضبي ، إنها فكرة وثنية معروفة في مصر وآسية الصغرى وبلاد اليونان (أوزريس ، وأتيس ، وديونيشس) ماتوا ليفتدوا بموتهم بني الإنسان ، ولقب (سوتر) بالمتقذ والمنجّي (اليوثيريوس) تطلق على هذه الآلهة ، وكان لفظ (كريوس Kyrios) أي (الرب) الذي سمى به بولس المسيح ، هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية - السورية على (ديونيشس) الميت المقتدي .

وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت أن المسيح هو (حكمة الله) ، و (ابن الله الأول) ، بكر كل خليقة ، هو (الكلمة) الذي سينجي الناس كلهم بموته ، وكتب إلى أهل (فلي) : « ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح .. الرب القريب » .

وقتل بطرس في رومة سنة ٦٧ م .

ويتابع ديورانت قائلاً : إن للمسيحية لم تقض على الوثنية ، ذلك أن العقل اليوناني المتنصر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قروناً عدة صاحبة السلطان على السياسة أداة الآداب ، والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القدّاس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدّة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ، فجاءت من مصر بآراء الثالوث للقدّس ، ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب ، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك ، ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفي بالله ، ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة والأأدرية ، وطمس معالم العقيدة المسيحية .

ومن فرجيا جاءت عبادة الأم العظمى .

ومن سوربة أخت تمثلية بعث أوتيس .

وربا كانت تراقيا هي التي بعث للمسيحية بطقوس (ديونيشس) ، وموت الإله ونجاته .

ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام ، وعصور الأرض واللهيب الأخير الذي سحرقها ، وثنائية الشيطان والله والظلمة والنور ، فمن عهد الإنجيل الرابع يصبح المسيح نوراً « يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه » ، ولقد بلغ التشابه بين الطقوس (المراسية) والقربان المقدس في القداس حداً جعل الآباء المسيحيين يتهمون إبليس بأنه هو الذي ابتدعه ليضل به ضعاف العقول .

وقصارى القول إن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم .

قسطنطين والمسيحية : ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملت عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب .

احتال واستخدم مشاعر الإنسانية الدينية لنيل أغراضه الدنيوية .

لقد كانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية ، لذلك ظلّ يستخدم ألفاظاً توحيدية يستطيع أن يقبلها كل وثني ، وقام في خلال السنين الأولى من سلطانه المفرد في صهر وأناة بجميع المراسم التي يتطلبها منه منصب الكاهن الأكبر ، والتي تحتها عليه الطقوس التقليدية ، وحدد بناء الهياكل الوثنية ، وأمر بممارسة أساليب العرافة ، واستخدم في تدشين القسطنطينية شعائر وثنية ومسيحية معاً ، واستعمل رقى سحرية وثنائية لحماية المحاصيل وشفاء الأمراض .

غير أن سحباً كدّرت صفو ذلك اليوم الذي لا سحب فيه ، تلك هي انشقاق الأديرة :

- أتباع (دوناتس) الذين عارضوا أيّ نقص في احترام الشهداء ، وتطالب بإعادة تعميد من ينضمون إليها من أتباع الكنيسة الكاثوليكية .

- وأريوس الإسكندري الذي أنكر ألوهية المسيح ، « المسيح والأب ليسا من مادة واحدة » ، ولا يمكن للابن أن يكون متفقاً مع وجود الأب في الزمن .

ونتيجة هذه المشكلات أضحى الدين المسيحي موضوع السخرية الدنسة من الوثنيين .

ورأت الكنيسة أنه إذا لم يكن المسيح إلهاً ، فإن كيانه العقيدة المسيحية كلها يبدأ في التصدّع ، وإذا ما سمحت باختلاف الرأي في هذا الموضوع ، فإن فوضى العقائد قد تقضي على وحدة الكنيسة وسلطانها ، ومن ثمّ على مالها من قيمة بوصفها عوناً للدولة ، ولما انتشر الجدل في هذه المسألة ، واشتعلت نيران الخلاف في بلاد الشرق اليوناني ، اعتزم قسطنطين أن يقضي عليه بدعوة أول مجلس عام للكنيسة ، ولهذا عقد مجلساً من الأساقفة عام ٣٢٥م في نيقية ، حضره ٣١٨ يصحبهم رجال دين دونهم درجة ، وأرسل البابا سلفستر الأول بعض القساوسة لأن المرض حال بينه وبين حضور الاجتماع بنفسه .

واجتمع المجلس في بهو أحد القصور الإمبراطورية تحت رئاسة قسطنطين ، وافتتح هو المناقشات بدعوة الأساقفة جميعاً أن يعيدوا إلى الكنيسة وحدتها ، وشارك في المنافسات ، وأكد (أريوس) من جديد رأيه القائل بأن المسيح مخلوق ، لا يرقى إلى منزلة الأب .

وأوضح (أثناسيوس) رئيس الشمامسة البليغ : إذا لم يكن للمسيح والروح القدس كلاهما من مادة الأب ، فإن الشّرك لا بدّ أن ينتصر ، وقد سلّم بما في تصوير أشخاص

ثلاثة في صورة إله واحد من صعوبة ، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما فيه
الثالث من خفاء وغموض .

قرار المجمع : « نحن نؤمن بإله واحد ، وهو الأب القادر على كل شيء ، خالق
الأشياء كلها ما ظهر منها وما بطن ، وبسيد واحد هو المسيح ابن الله ، المولود .. غير
المخلوق من جوهر الأب نفسه ، وبأنه من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل نجاتنا نزل
وتجسّد وصار إنساناً ، وتعذب ، وقام مرّة ثانية في اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء ،
وسيعود ليحاسب الأحياء والأموات » ، وحكّم على من عارض وهم سبعة عشر أسقفاً ،
ثمّ نزل الرّم إلى خمسة ، ثمّ إلى اثنين مع آريوس باللعنة والحرمان ، ونفاهم الإمبراطور
من البلاد ، وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بإحراق كتب آريوس جميعها ، ويجعل
إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام .

وبذلك استبدل قسطنطين المسيحيّة بالوثنيّة ، وجعلها المظهر الدّيني ، والعضد
القوي للإمبراطوريّة الرّومانيّة ، وفي عام ٣٣٧م اشتد المرض على قسطنطين ، فاستدعى
قسّاً ليجري له مراسم التّعميد المقدّس .

والمسيحيّة هي التي أدّت إلى سقوط الإمبراطوريّة الرّومانيّة « الحضارة العظيمة
لا يقضى عليها من الخارج إلّا بعد أن تقضي هي على نفسها من الدّاخل ، وشاهد ذلك
أنا نجد الأسباب الجوهريّة لسقوط رومة في شعب رومة نفسه .. » ، [قصة الحضارة
٤٠٤/١١] .

المسيحيّة قضت على رومة عام ٤٧٦م عندما ناصبت الثقافة القديمة العداء ،
فحاربت العلم والفلسفة ، والأدب ، والفن ، وحوّلت أفكار النّاس عن واجبات هذا
العالم ووجهتهم إلى الاستعداد لاستقبال كارثة عالميّة ، وهو استعداد مضعف للعزيمة ،
وأغرّتهم بالجري وراء النّجاة الفرديّة عن طريق الزّهد والصّلاة ، بدل السّعي للنّجاة
الجماعيّة بالإخلاص للدّولة والتّفاني في الدّفاع .

ولم يضع مجمع نيقية ٣٢٥م حداً للنقاش الحاد الذي احتدم أواره بين أثناسيوس وأريوس ، بل ظلّ كثير من الأساقفة - كانوا هم الكثرة الغالبة في الشرق - يناصرون أريوس سرّاً وجهراً ، ولم يستنكف قسطنطين نفسه ، بعد أن قبل قرار المجمع وطرده أريوس من البلاد ، أن يدعوه إلى اجتماع شخصي معه ٣٣١م ، وأوصى بأن تُردّ إلى أريوس وأتباعه كنائسهم ، واحتج أثناسيوس على ذلك ، فاجتمع في (صور) مجلس من أساقفة الشرق ، وقرّر خلع من كرسي الإسكندرية عام ٣٣٥م ، وظلّ عامين طريداً في (غاله = فرنسة) ، أمّا أريوس فقد زار قسطنطين مرّة أخرى ، وأعلن قبوله للعقيدة التي قرّرها مجمع نيقية ، بعد أن أضاف إليها تحفظات دقيقة لا ينتظر من الإمبراطور أن يفهمها ، وآمن قسطنطين بأقواله ، وأمر الإسكندر بطرق القسطنطينية أن يقبله في العشاء الربّاني .

وعنى قسطنطيوس بن قسطنطين بشؤون الدّين ، واعتنق مذهب أريوس ، وطرده أثناسيوس من كرسي الإسكندرية مرّة ثانية عام ٣٣٩م ، وكان قد عاد إليه بعد موت قسطنطين ، وأخرج الكهنة الذين استسكوا بعقائد مجمع نيقية من كنائسهم ، وأتى على المسيحية نصف قرن من الزّمان لاح فيه أنّها ستؤمن بالتّوحيد وتتخلّى عن عقيدة ألوهية المسيح ، وظلّ أثناسيوس الذي فرّ من كرسيه يهيم على وجهه في البلاد الأجنبية حتّى عام ٣٧٣م ، لم تلن له قناة بعد أن ضعف البابا (ليبريوس) واستسلم ، وإليه يرجع معظم الفضل في استسك الكنيسة بعقيدة التّثليث ، وقامت فتنة في القسطنطينية ، سببها قسطنطيوس حينما أمر أن يستبدل بيولس مقدونيوس الأريوسي ، فهب جماعة من مؤيدي بولس يقاومون جند الإمبراطور ، وقتل في الاضطرابات التي أعقبت هذه المقاومة ثلاثة آلاف شخص ، وأكبر الظنّ أنّ الذين قُتلوا من المسيحيّين بأيدي المسيحيّين في هذين العامين (٣٤٢ و ٣٤٣م) ، يزيد عددهم على من قتلوا بسبب اضطهاد الوثنيّين للمسيحيّين في تاريخ رومة كلّها .

وقنسطنطيوس هو الذي أمر بإغلاق جميع الهياكل الوثنيّة في الدّولة ، ومنع جميع الطّقوس الوثنيّة ، وأنذر من يعصي أمره بقتله ، ومصادرة أملاكه .

ولكن يوليان عام ٣٦١م أعلن إلى العالم اعتناقه للوثنيّة ، وبعد موته - وهو في الثّانية والثلاثين من عمرة - حوّل خلفه جوثيان تأييده من الهياكل الوثنيّة إلى الكنيسة المسيحيّة .

ثمّ مرّت الكنيسة بفترة اضطراب ، عقائد وعقائد : اليونوميون ، الأنوميون ، الأبليناريون ، السبليّون ، المساليّون ، النوفاتيّون ، البرسليانيّون .. وفي شمالي إفريقيا أنكر (دوناتوس) - أسقف قرطاجة - مالمعشاء الرّبّاني الذي يقدّمه القساوسة من أثر في الخطيئة ، وانتشرت هذه العقيدة انتشاراً سريعاً في شمالي إفريقيا ، فرافقها ثورة اجتماعيّة ، وسرعان ما تألّفت عصابات (مسيحيّة - شيوعيّة) في آن واحد ، وسُمّيت باسم (الجوّابين) ، وأخذت تندّد بالفقر والاسترقاق .

وكان (بلاجيوس) في هذه الأثناء يثير قارات ثلاثاً بهجومه على عقيدة الخطيئة الأولى .

كما كان نسطوريوس يطلب الاستشهاد بما يجهر به من شكوك في أمّ المسيح ، وهو تلميذ (يثودور المبوستياني) الذي ابتدع النّقد الأعلى للكتاب المقدّس ، وقال : سفر أيّوب إن هو إلّا قصيدة مأخوذة بتعديل من مصادر وثنيّة ، وإنّ نشيد الإنشاد إن هو إلّا إحدى أغاني الفُرس ذات معنى شهواني صريح .. ووصل نسطوريوس إلى كرسي الأسقفية في القسطنطينية .

وألقى (سيريل) كبير أساقفة الإسكندريّة عام ٤٢٩م كلمة أعلن فيها أن مريم ليست أمّ الله الحق ، بل هي أمّ كلمة الله ، المشتملة على طبيعتي المسيح الإلهية والبشريّة معاً ، واستشاط البابا (سلسطين الأوّل) غضباً إثر رسالة تلقاها من (سيريل) ، فعقد مجلساً في رومة عام ٤٣٠م ، وطالب بأن يرجع نسطوريوس عن آرائه ، أو يعزل من

منصبه ، فلما رفض نسطوريوس ، عُزل وحُرم من الكنيسة للسيحية ، ونُفي إلى أنطاكية ، ومن ثمَّ إلى واحة في صحراء ليبيا ، ومات هناك حوالي عام ٤٥١ م ، وانتقل أتباعه من بعده إلى شرقي سورية ، وشادوا لهم كنائس ، وأنشؤوا مدرسة لتعليم مذهبهم في الرُّها ، ثمَّ في نصيبين ، ومنهم جماعات في بلخ وسمرقند ، وفي الهند والصين .

وأخر الشَّيع الطَّائفة الَّتِي أنشأها (أوتيكيس) رئيس دير قريب من القسطنطينية ، وكان يقول : إنَّ المسيح ليست له طبيعتان بشريَّة وإلهيَّة ، بل إنَّ له طبيعة واحدة هي الطَّبيعة الإلهيَّة ، فحُرم ، ثمَّ بُرئ في مجمع (إفسوس) عام ٤٤٩ م ، ثمَّ سخط عليه مجمع (خلقيدونية) عام ٤٥١ م .

وزاد الاضطراب وبلغ ذروته حين رفضت كثرة المسيحيين في سورية ومصر عقيدة الطَّبيعَتَيْن في شخص المسيح المفرد ، وظلَّ رهبان سورية يعلمون النَّاس عقائد اليعقوبيين ، فاليعقوبيَّة من ذلك الحين الدِّين القومي لمصر وإثيوبية ، ولها الغلبة في غربي سورية وأرمينية ، بينما انتشرت النسطوريَّة فيما بين النهرين وشرقي سورية .

ويختم وُل دُيُورانت [١٥٢/١٢] بقوله :

وهكذا حلَّت عبادة القديسين المخلصة الواثقة محلَّ شعائر الآلهة الوثنيَّة .

وبدل اسمائيل إيزيس وحورس ، باسمي مريم وعيسى .

وأصبح عيد اللوبركاليا وتطهير إيزيس عيد مولد المسيح .

واستبدلت بحفلات السَّاترناليا حفلات عيد الميلاد .

وبحفلات عيد الزُّهور حفلات عيد العنصرة .

وبعيد قديم للأموات عيد جميع القديسين .

وبيعث أتيس ، بعث المسيح .

وأعيد تكريس للذابح الوثنيَّة للأبطال للمسيحيين .

وأدخل في طقوس الكنيسة ما كان يغتبط به الناس في الشعائر القديمة من بخور ،
وأنوار ، وأزهار ، ومواكب ، وملابس ، وترانيم ، وتسامت العادة القديمة ، عادة ذبح
الضحية الحية ، فكانت هي التضحية الروحية في العشاء الرباني .

وهكذا : « يتبين الصبح لذي عينين » ، وأحبُّ أن أقول قبل أن أختم هذا
البحث : ما أوردته عن ول ديورانت لا أتبناه كله .

فالمسيح في عقيدتي لأشك في وجوده تاريخياً أبداً ، فمن صلب عقيدة كلِّ مسلم أن
المسيح وُجد ، وأن أمه طاهرة بتول ، حملت بكلمة الله (كن) فكان من غير واسطة
أب ولقاء ، و (روح منه) أي ذو روح مبتدأة من الله ، وهو أثر نفخة جبريل عليه
السَّلام في صدر مريم ، حيث حملت بتلك النفخة بعيسى .

جاء في القرآن الكريم : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم :
١٧/١٩] أي جبريل .

وجاء ﴿ فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا .. ﴾ [التحريم : ١٢/٦٦] روحاً من خلقنا
بلا واسطة أب .

وبحق آدم ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر :
٢٩/١٥] ، وجاء بحقه أيضاً : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي .. ﴾ ، وهكذا
ونحن أبناء آدم ، كلنا من روح الله تعالى .

واللقاء القادم سيكون عن معجزة الإسلام الخالدة ، القرآن الكريم .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

اللقاء الخامس :

أبدأ بقولي تمهيداً للإعجاز في القرآن الكريم : أنا أومن بإنجيل عيسى ، كما أومن بتوراة موسى ، ولكن أين إنجيل عيسى ، أنا لا أريد إنجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا .. ولا أريد التوراة التي كُتبت في السبي البابلي وبعده حيث الاقتباس الجلي من آداب بلاد الرافدين ، وبلاد الشام .

كلمة الله الموحى بها لا تتغير ولا تبدل مع مرور الزمن ، ولا يناقض بعضها بعضاً ، وما يذكر ، لو أحرقنا كل توراة ، وكل إنجيل ، وكل قرآن في العالم كله ، ولم نبق على نسخة واحدة منها ، ثم قلنا لأتباع الشرائع الثلاث : أعيدوا كتابة كتبكم ، القرآن الكريم هو الوحيد الذي لن تختلف نسخه ، لأنه يتلقى عن ظهر قلب - غيباً - من جيل إلى جيل ، إن القرآن الذي يكتب في أندونيسية ، والذي يكتب في المغرب ، واحد حيث التطابق التام .

أمّا الأناجيل ، والتوراة ، فليس هناك من يحفظها عن ظهر قلب ، لذلك لن يكون هنالك تطابق أبداً .

القرآن محفوظ في الصدور من جيل إلى جيل .

إنجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، على ما فيها من اختلاف وتناقض هذه أناجيل هؤلاء ، أين إنجيل السيد المسيح عليه السلام ؟

ونحن ، على الرغم من افتراءات الكنيسة وأكاذيبها بحق الإسلام والمسلمين ، سنبقى على حبنا وتقديرنا واحترامنا للسيد المسيح عليه السلام ، إنه في مكانة سامقة في أعماق النفس ، لأن ذلك جزء من عقيدتنا .

واليوم قنوات الإعجاز خمس : لغوية ، وعددية ، وعلمية ، وغيبية ، وتشريعية .

أبدأ بالإعجاز اللغوي ، وأنت ياسيد روديغر أصبحت تتقن اللغة العربية
وتتذوقها بشكل جيّد والحمد لله .

الإعجاز اللغوي :

يقول علماء العربية :

القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة في آياته وسوره كلّها ، وعلى اختلاف
المعاني التي جاءت في هذه السّور والآيات ، وهو معلوم في تاريخ الأدب العربي أن لكلّ
شاعر من شعراء العربية ضرباً من المعاني هو عليه أقدر ، وبيانته عنه أعلى ، ولهم في هذا
أقوال في طائفة من الشعراء جرى بعضها مجرى الأمثال ، وقالوا :

أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب .

والنابغة إذا رهب .

والأعشى إذا طرب .

وزهير إذا رغب .

وهكذا أنت في كلّ شاعر استغرقه ضرب من المعاني ، وامتازت عبارته عنه ضرباً
من الامتياز ، إلا كتاب الله .

قال تعالى في الترغيب : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السّجدة : ١٧/٣٢] .

وفي التّرهيب : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، مِّن وَّرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى
مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ
وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٥/١٤ - ١٧] .

البلاغة في الترغيب ، كالبلاغة في التّرهيب .

ومثال آخر : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّاسِهِمْ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق : ٢٨/٥٠ - ٣٠] ، هذا ترهيب ، بعده مباشرة ترغيب ﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣١/٥٠ - ٣٥] .

الأسلوب البلاغي لم يتغيّر ، والزجر والوعظ أيضاً ، بمستوى رفيع لا مثيل له ، لأمة تباهي ببلاغتها ، وتفخر بفصاحتها .

وللقرآن موسيقاه الخاصة به ، ونغمته المتميزة ، ووقعه الخاص ، مع أسلوب غريب في المطالع والمقاطع والفواصل ، والعرب - أصحاب اللغة - أدرى به .

ويتراءى لقارئه من خلال آياته ذات إلهية عادلة ، حكيمة ، جبارة ، خالقة ، بارئة ، مصوّرة ، لاتضعف في مواطن الرحمة .

والقرآن ليس بنثر ، كما أنه ليس بشعر ، إنه قرآن .

ليس نثراً لأنّ له قيوده الخاصة ، ولا توجد بغيره .

وليس شعراً لأنّه غير مقيد بقيود الشعر وتفعيلاته .

لذلك سلّمت العرب ببلاغته وفصاحته ، ويذكر هنا أنّه بعد انتهاء حروب الرّدة ، قدم وفد من بني حنيفة إلى المدينة المنورة ، فقال أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه لأفراد الوفد : أسمعونا شيئاً من قرآن مسيامة ، فقالوا : أوتعفينا يا خليفة رسول الله ؟ فقال : لا بدّ من ذلك ، فقالوا : كان يقول : يا ضِفْدَعُ بنتُ ضفدعين ، لحسن ما تنقنين ، لا الشّارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ، امكثي في الأرض حتّى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قریشاً قوم

يعتدون ، [الاكتفا ١٦/٢ ، الكامل في التاريخ ٢٤٤/٢ ، البداية والنهاية ٣٢٦/٦ ،
الطبري ٢٨٤/٣] .

وكان يقول : والبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قحاً ،
والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، والألقات لقماً ، إهالة
وسمناً ..

فاسترجع أبو بكر رضي الله عنه ، أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال :
ويحكم ، أي كلام هذا .

لقد استرجع أبو بكر رضي الله عنه ، إذن هنالك وفاة ، فمن مات ؟ لقد مات
ذوقهم الأدبي ، ومات فصاحتهم ، لذلك قال : « ويحكم أي كلام هذا ؟ ! » .

وبعد هذا كله ، أقدم لسيادتكم لحاتٍ من الإعجاز اللغوي :

١ - من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى أنه (غفور رحيم) ، وقد وردت هاتان
الصفتان في القرآن الكريم كثيراً على هذا الترتيب ، بتقديم كلمة (غفور) على كلمة
(رحيم) ، مثل :

﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة :
١٧٣/٢] .

﴿ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٢/٢] .

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر : ١٥/٤٩] .

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [الفرقان : ٧٠/٢٥] .

﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٨/١٦] .

إلا في سورة سبأ : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ

ومَا يَعْرِجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿﴾ ، فتقدّمت (الرَّحِيم) على كلمة (الغفور) خلافاً للمألوف في جميع السُّور الأخرى ، فما السُّر والحكمة في ذلك ؟

بدأت الآية (يعلم) ، وانتهت بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُور ﴾ ، فتقدّمت كلمة (الرَّحِيم) على كلمة (الغفور) لتقرن الرحمة بالعلم ، انسجاماً مع ربط الرحمة بالعلم ، وإلاّ انقلب (العلم) إلى وحشية وظلم وفساد وضياع : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً ﴾ [غافر : ٧/٤٠] ، ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٢/٧] ، وهكذا ربطت الآيات بين العلم والرحمة ، وإن لم يكن العلم رحمة قاد العلم العالم للتدمير لا للتعمير ، العلم بلا رحمة قنابل ، دمار ، خراب ، قتل جماعي^(١) .

لقد اقترن العلم في الإسلام بالرحمة .

٢ - كلمتا (الأموال) و (الأنفس) إذا اجتمعتا في آية واحدة ، تقدّمت (الأموال) على كلمة (الأنفس) :

﴿ لَتَبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٦/٣] .
﴿ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [الصف : ١١/٦١] .
﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ [النساء : ٩٥/٤] ،
فالإنسان يقدم ماله ويبذله رخيصة ليحمي نفسه ، فتقدّم ذكر المال .

أما في سورة التوبة ، فقد ورد : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ ، خلافاً للمألوف المعتاد في كتاب الله تعالى ، فما السُّر ؟

إنّ ثمره الجهاد في الآخرة هي الجنّة ، والنفوس هي التي ستدخل الجنّة وتتمتع بها لا الأموال ، لذا وردت كلمة الجنّة هنا كعرض يقدم للمجاهدين بعد أن قدّموا الأنفس

(١) للإعجاز اللغوي ، انظر : (قبس من الإعجاز) ، لفضيلة الأستاذ هشام عبد الرزاق المحصي .

والأموال في سبيل الله ، ﴿ بَأَنْ لَّهُمِ الْجَنَّةُ ﴾ ، فناسب أن تتقدّم كلمة (الأنفس) على كلمة (الأموال) ، لأنّ الأنفس أعلى من الأموال ، وهي التي ستنعم بالجنة الموعود بها في هذه الصّفقة الرّابحة بين الله وعباده ، التي وردت بلفظ ﴿ اشترى ﴾ ، والإنسان في البيع والشراء يحرص على الأفضل والأعلى والأربح ، فإذا جاد الإنسان بنفسه ، ولم يرض بها في سبيل الله ، استحق أن يفوز بسلعة الله الغالية وهي الجنة .

٣ - (الفاء) تفيد التّرتيب مع التّعقيب : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨/١٢] ، (فالفاء) هنا تشعرنا أنّه لا حارس ولا حاجب على باب يوسف ، فقد دخلوا عليه فور وصولهم ، وعرفهم فور دخولهم ، كلّ ذلك من مجرد إيراد حرف (الفاء) .

(ثمّ) تفيد التّرتيب مع التراخي ، أي مع امتداد الزمن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج : ٥/٢٢] ، فبين مرحلة النّطفة والعلقة أربعون يوماً ، وبين مرحلة العلقة والمضغة أربعون يوماً ، (ثمّ) دلّت على هذا (الترتيب) مع هذا (التراخي) في الزمن .

٤ - ﴿ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود : ٣٧/١١] ، والمؤمنون : [٢٧/٢٣] .

قال الكوفيّون : إن حرف الجر (في) تضمّن معنى (الباء) ، والمراد لا تخاطبني بحديث الذين ظلموا لأنّني قضيت فيهم بحكمي عليهم أن أهلكهم فأغرقهم جزاء لكفرهم وعنادهم .

وقال البصريّون : إنّ فعل تخاطبني قد تضمّن معنى تراجعني ، وفعل راجع يتطلب حرف الجر (في) ، والمراد : ولا تراجعني في الذين ظلموا ، فتطلب منّي العفو عنهم ، ولو كان ولدك منهم ، فقد حقّ القول عليهم أن يغرقوا لإصرارهم على الكفر والطغيان .

٥ - ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان : ٥٧٦] . وفي [المطففين : ٢٨/٨٢] : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ﴾ ، فعل يشرب يتضمن هنا يرتوي ويلتذ ، وهذه الأفعال تتطلب حرف الجر (الباء) ، فأخذت ما يناسبها ، والمراد يشربون مرتوين وملتذّين بها ، فليس المقصود مجرد الشرب ، بل المقصود التلذذ والارتواء دون أذى أو إرهاق .

٦ - ﴿ يَهْبُءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى : ٤٩/٤٢] .

كلمة إناث قبل كلمة الذكور جبراً لخاطر الإناث ، وليحبّب الوالدين بهن .

وقدّم الإناث على الذكور ، لأنّ العرب كانوا يستأون من الإناث ، وجاء الإسلام لينقذ الأنثى من هذا الموقف غير السليم ، فقدّم الإناث على الذكور ، فلاتشاؤم بهن ، إنهن هبة الله ، لقد قدّم الإناث في مجتمع كان يكره الإناث .

٧ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠/٤١] .

(تَتَنَزَّلُ) لا تنزل ، إن تشديد الزاي يدل على أنّ الملائكة تنزل على المؤمنين مرّة بعد مرّة .

وفي سورة [الحج : ٢٩/٢٢] : ﴿ وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ ، وليطوفوا ، لا يطوفوا ، فالتشديد في (وليطوفوا) يفيد أن المراد أكثر من شوط .

وفي سورة [المائدة : ٦٥] : ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ ، والتشديد في (فاطهّروا) دليل للمبالغة في التطهّر .

٨ - وفي سورة [التوبة : ٤٧/١] ، بحقّ المنافقين : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا

خبالاً ﴿ ١٠ 〉 ، لو خرجوا فيكم ، لا خرجوا معكم ، لأن (معكم) هنا تفيد التكريم بهذه المعية ، بينما المراد هنا أنهم مندسّون منافقون ، فجاء النص ﴿ لو خرجوا فيكم ﴾ ، فأعطت (فيكم) المعنى المراد والمناسب للمنافقين .

٩ - ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات : ٩/٤٩] .
طائفتان : مثني ، اقتتلوا : جمع ، بينهما : مثني ، فلم يرد (اقتتلتا) لتبقى الآية كلها مثني ، لماذا ؟

عند التحام الطائفتين تصبحا (جمعاً) من الأفراد المتقاتلين ، فجاءت (اقتتلوا) ، فإذا مالوا إلى الصلح وكفوا أيديهم ، عادوا طائفتين (مثني) .

١٠ - ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٥/٧ ، وهود : ٨٥/١١ ، الشعراء : ١٨٣/٢٦] . (أشياءهم) ، لا حقوقهم ، لأن حقوقهم تشمل الناحية المادية ، بينما (أشياءهم) تشمل الناحيتين المادية والمعنوية معاً .

١١ - تقول قاعدة في اللغة العربية : كلُّ صفة اختصت بها المرأة تذكر ولا تؤنث ، لذلك تقول : هذه امرأة حامل ، مريض ، حائض ، ثيب ..

بينما في سورة [الحج : ٢/٢٢] : ﴿ يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ ، لا كل مريض ، لم يرد هنا الصفة ، إنما أراد (الفعل) ، أي المرأة التي ثديها في فم طفلها التي تحنو عليه في حجرها ، هذه تذهل عن طفلها عند زلزلة الساعة .

١٢ - ﴿ وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ، وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٥/٤] .

(فيها) ، لا (منها) ، لأن منها تعني تأكلها وتقصها ، وبالتالي نهايتها ، أما (فيها) فتعني من ثديرها ، ومن ريعها وأرباحها .

الإعجاز اللغوي فيه الكثير الكثير ، نكتفي بما سبق ، لننتقل إلى إعجاز من نوع

آخر ، ولكننا نذكر بآيتين كريمتين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [يونس : ٢٨/١٠] ، وفي [الطور : ٢٣/٥٢ و ٢٤] : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين ﴾ .

لقد سكت العرب عن المعارضة ، وقد صكَّ التحدي أسماءهم بالحاح وشدة .

إنَّ القوم قد أدركوا مفارقة نظم القرآن الكريم لما أَلْفَوْه من وجوه نظمهم في بلاغاتهم ، وأحسُّوا بعجزهم التام عن الإتيان بمثله ، أو بسورة واحدة من مثله ، فسكتوا إيثاراً للسلامة :

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا - وَلَنْ تَفْعَلُوا - فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة : ٢٤/٢] .

الإعجاز العددي :

لقد نزل القرآن الكريم منجماً ، آياتٌ تتلوها آيات على مدى ثلاث وعشرين سنة ، فلم يكن بين يدي رسول الله ﷺ كاملاً مع بدء البعثة ، ليقوم - على أميته - بترتيب بعض الكلمات ، لتكون إعجازاً عددياً في قادمات القرون .

من الإعجاز العددي :

كلمة الدنيا في القرآن الكريم وردت ١١٥ مرة ، وبالرَّقم ذاته وردت كلمة الآخرة ١١٥ مرة أيضاً .

الملائكة ورد لفظها ٨٨ مرة ، وكذلك لفظ شياطين ٨٨ مرة .

الحياة ومشتقاتها ١٤٥ مرة ، وكذلك اللوت ومشتقاته ١٤٥ مرة .

الجنة وورد ذكرها ٧٧ مرة ، والنار ٧٧ مرة .

الحرُّ ٤ مرات ، والبرد ٤ مرات .

كلمة (يوم) مفردة : ٣٦٥ مرة بعدد أيام السنة الشمسية .

وكلمة (شهر) : ١٢ مرة بعدد أشهر السنة .
ولفظ (يوم) مثنى ومجموع : ٣٠ مرة بعدد أيام الشهر .
ولفظ (ساعة) مسبوقه بحرف : ٢٤ مرة بعدد ساعات اليوم .
كلمة (المرأة) مفردة ٢٤ مرة ، وكذلك (الرجل) مفردة ٢٤ مرة .
أقم أو أقيموا مقترنة بالصلاة ١٧ مرة ، وهي عدد الركعات اليومية المفروضة على كل مسلم .
أولوا العزم من الرسل خمسة هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ، وكلمة (عزم) وردت في كتاب الله المجيد خمس مرات ، بعدد الأنبياء أولي العزم .

ومن الإعجاز العددي التناسق العددي في ذكر أسماء أعضاء الإنسان وحواسه :
للإنسان جبهة واحدة ، وردت (جباههم) مرة واحدة في القرآن الكريم ،
[التوبة : ٣٥/١] .
وللإنسان (فم) واحد ، وردت كلمة (فاه) مفردة واحدة فقط في [الرعد :
١٤/١٣] .

والنُّعاس ورد مرتين : [الأنفال : ١١/٨] ، و [آل عمران : ١٥٤/٣] ، بعدد العينين ،
و (عينان) مثناة وردت مرتين فقط بعدد العينين ، وذلك في [الرحمن : ٥٠/٥٥] ،
و [الرحمن : ٦٦/٥٥] ، وكذلك (الدُّمَع) ورد مرتين فقط وذلك في [اللائدة : ٨٣/٥] ،
[التوبة : ٢١/٩] ، بتطابق مع العينين والنُّعاس .

الدُّمَاع ورد مرة واحدة [الأنبياء : ١٨/٢١] : ﴿ بل تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ .
اللحية ورد ذكرها مرة واحدة [طه : ١٤/٢٠] : ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي
وَلَا بِرَأْسِي ﴾ .

البلع (البلعوم) ورد مرة واحدة [هود : ٤٤/١١] : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي ﴾ .

(الشفتان) ، وردت مرة واحدة مثناه كما هي في الإنسان : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد : ١/١٠] .

الجيد (رقبة الإنسان) ، ورد ذكره مرة واحدة [السد : ٥/١١١] : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ ، وللإنسان جيد (رقبة) واحدة .

وللإنسان (عضدان) ، وكلمة عضد وردت مرتين [الكهف : ٥١/١٨] ، و [القصص : ٣٥/٢٨] .

و (كفاة) وردت مرتين مثناه [الرعد : ١٤/١٣] ، و [الكهف : ٤٢/١٨] ، ﴿ كَبَّاسُطٌ كَفِيهِ ﴾ ، ﴿ يَقْلِبُ كَفِيهِ ﴾ ، وللإنسان كفان ليس غير ، تطابق عجيب ، أن ترد (كفاه) مرتين ومثناه .

وللإنسان (قبضتان) ، وكلمة قبضة وردت مرتين [طه : ١٦٢/٢٠] ، و [الزمر : ٦٧/٣٩] .

وللإنسان (بدن) واحد ، وكلمة بدن وردت مرة واحدة في القرآن الكريم : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنجِيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً ﴾ [يونس : ١٢/١٠] .

ونوع آخر من الإعجاز العددي :

في مطلع سورة الرعد : ا ل م ر ، وبإحصاء هذه الحروف في سورة الرعد نجد أن :

ا وردت ٦٢٥ مرة .

ث ل وردت ٤٧٩ مرة .

ث م وردت ٢٤٠ مرة .

ث م ر وردت ١٣٥ مرة ، ترتيب تنازلي كما ورد في مطلع السورة الكريمة .

وفي سورة البقرة : ا ل م ، ويأحصاء هذه الحروف في السورة المذكورة نجد أيضاً
أن :

ا وردت ٤٥٩٢ مرة ..

ثم ل وردت ٣٢٠٤ مرة .

ثم م وردت ٢١٩٥ مرة ، ترتيب تنازلي ، ونجد هذا أيضاً في آل عمران ،
والعنكبوت ، والرّوم .

القرآن الكريم ، معجزة خالدة باقية ، تشهد بمصدره الإلهي ، لقد طلب العرب
المعجزات الخارقة ، والآيات المخالفة لقوانين الطبيعة : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ
مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٠/٢٩]
و ٥١] .

طلبوا المعجزات ، فكان ردُّ القرآن الكريم : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ .



اللقاء السادس :

سنتابع في لقائنا اليوم الحديث عن إعجاز القرآن الكريم . ونهّـد بالتّـالي : ليس
الهدف من الحوار الانتصار والفوز ، أو إدانة الآخر ، بل الهدف هو البحث عن
الحقيقة ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ، والتّعرّف على ما عند الآخر
بموضوعيّة ، دون تعصّب ، وبلا مواقف مسبقة ، وخلفيّة حاكمة .

إنّ مصادرة رأي الآخرين مرفوضة في عقيدتنا ، وندع الزّهرات كلّها تتفتّـح ،
وندع كلّ الشّرائع تطرح ما عندها ، ولكن بنطق وعقل وعلم ، فلا عقيدة سليمة
بغوامض وأسرار وخرافات ، ولا نهج صحيح بلا تحكيم عقل ، أو بخوف من الحوار .

وقبل البدء بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أذكر لسيادتكم أن الشّيخ أحمد

ديدات طلب من البابا عقد حوار بينها في بث مباشر ، وبعد تكرار الطلب وافق البابا جون بول الثاني على جلسة سرّية في مكتبه .

وسبب طلب هذا الحوار مع البابا ، ماشرته صحيفة الغارديان يوم ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ م ومفادها أن الفاتيكان شكّلت لجنة علميّة دينيّة برئاسة البابا لردّ اعتبار (غاليلو) ، وتصحيح موقف الكنيسة بشأن مضي عليه خمسمئة سنة ، واعتذرت الفاتيكان ، وصدر تقرير اللجنة يقول : (غاليلو) كان على صواب حينما قال : الأرض هي التي تدور حول الشمس ، لا العكس ، والكنيسة كانت على خطأ عندما رفضت هذه الحقيقة العلميّة ، وأجبرته على التراجع ، وإلا أعدمته .

وعلق ديدات على قرار اللجنة قائلاً : هذه حسنة ، ولكن هناك ما هو أكبر من هذا الأمر ، إن رجلاً اسمه محمد ، له أتباع تجاوزوا المليار مسلم ، لعلمم مخطئون في موقفكم منه ، تعالوا إلى حوار بيننا وبينكم لتتعرفوا على الحقيقة ، والسؤال الوحيد الذي سأطرحه : القرآن أم الإنجيل الذي بين أيدينا كتاب الله المنزل ؟!

وسأقدم لك يا سيّد روديغر صورة عن هذا الخبر كما أوردته صحيفة (المسلمون) مدعماً بصور الوثائق المتبادلة بين البابا وديدات .

الإعجاز العلمي :

١ - في سورة [يس : ٢٨/٣٦] : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ، آية (علميّة) ، ما فيها من صلب عقيدة المسلم ، يتعبّد بها بصلواته ، وهي حقيقة علميّة ، فالشمس تجري نحو نجم عملاق ، اسمه (ممسك الأعنة) بسرعة ثلاثين كيلومتراً في الثانية الواحدة ، مصحوبة بكواكبها ، وأقمار كواكبها .

٢ - وفي سورة [النور : ٤٠/٢٤] : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ .

إنَّ المركبة الفضائية المشتركة (السوفيتية - الأمريكية) اكتشفت أن أمواجاً هائلة في قاع المحيطات حيث الظلام الدامس ، وكانت أبحاث هذه المركبة وتقديم النتائج برئاسة الدكتور فاروق الباز .

ظلمات في قاع بحر عميق تتردد أمواجه ، من فوقه موج على السطح ، من فوقه سحب ..

٣ - في سورة [الحج : ٢٧/٢٢] ﴿ وَأَنْذِرْ فِي النَّاسِ فِي الْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

أولاً : كلمة (عميق) لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة ، في هذه الآية فقط .

ثانياً : كان من الممكن أن يكون بدلاً منها كلمة (بعيد) ، فلماذا اختار كلمة (عميق) التي لم ترد في القرآن الكريم إلا هنا ؟

العمق والعمق : البعد إلى أسفل ، كما في [اللسان : عمق] فأينما اتجه الإنسان في أسفاره على سطح الأرض ، رسم قوساً في مسيره ، هو انحناء الكرة الأرضية ، لذلك كان اختيار كلمة (عميق) التي تفي بالحقيقة العلمية ، ونعني بها كروية الأرض .

٤ - كلما ورد لفظ (القمر) ذكر من بعده أنه (نور) ، أمّا إذا ذكرت (الشمس) ذكر من بعدها أنها (سراج) ، مثل : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح : ١٧٧١] ، وهذه حقيقة علمية ، القمر عاكس لنور الشمس ، أمّا الشمس فهي متوقّدة بذاتها ، كالسراج ، ومعلوم أن هذا التوقّد ترافقه حرارة ، دقّة علمية : القمر نور ، والشمس سراج .

٥ - وفي [الذاريات : ٤٧/٥١] ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ، وهذه حقيقة علمية أيضاً ، الكون يتدد ، ويتوسّع كما هو معلوم في علم الفلك .

٦ - وفي سورة [الأنبياء : ٢٠/٨١] : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ . الرَّتْقُ في [اللسان] ضد الفتق ، الرَّتْقُ : إلحام والتَّام ، والفتق : فَتَقَه يَفْتُقُه وَيَفْتُقُه فَتَقًا : شَقَّه .

إنَّ كواكب المجموعة الشمسيَّة كانت ملتحمة ملتئمة ، ثُمَّ انفَتَق بعضها من بعض ، ثُمَّ تَبَرَّدت .

٧ - ﴿ يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [المزمل : ٥/٧٣] .
والتكوير لغة : لفُّ شيءٍ على آخر بشكل مستدير ، وهي استدارة الكرة الأرضيَّة .

٨ - ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الناريات : ٤٧/٥١] .
﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ : إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد أيضاً ، ففي ذرات كلِّ عنصر موجب وسالب ، مثل :

الهيليوم ٢ بروتون + (موجب) ، و ٢ بروتون - (سالب)

الكربون ٦ بروتون + ، و ٦ بروتون -

وأثقل للعادن اليورانيوم ٩٢ بروتون + ، و ٩٢ بروتون -

وفي قلب الذرة (نيوترونات) ، وفيها (نظير) النيوترون أيضاً .

٩ - وضرب القرآن الكريم مثلاً عن الوهن الذي هو الضَّعْف بيت العنكبوت لافي خيطه ، لأنَّ خيط العنكبوت أقوى من خيط مثيل له من الحديد ، يماثلُه من حيث الطول والقطر ، الضَّعْف (الوهن) في بيت العنكبوت ، حيث لا تعيش الأنثى مع الذكر ، وفي موسم التَّزاوج لو أدركته بعد التلقيح لقتلته وأكلته ، وبعد خروج الأولاد من بيوضها ، لو لم يهربوا لقتلتهم .

إن الوهن في البيت ، لافي الخيط .

١٠ - وكما هو معروف أن النبيّ عاش في بيئة صحراوية ، ولم يركب البحر مطلقاً ، وقومه (قريش) لم يتجروا في البحر ، لقد كانت تجارتهم برّاً إلى الشام وإلى اليمن .

وإن أثر البيئة في الإنسان - في كلامه ، في كتبه - لا يُنكر مطلقاً في عالم الأدب ، فشكسبير لم يصف البيئة العربية : أطلال ، صحراء ، نجوم ، قر .. ولبيد لم يصف البيئة البريطانية : ثلوج ، ضباب ، غابات ..

بعد هذا نقول : كلمة البحر (معرّفة) وردت في القرآن الكريم ٣٢ مرّة .

وكلمة البر (معرّفة) وردت في القرآن الكريم ١٢ مرّة يضاف إليها كلمة (يابساً) التي قابلت البحر في سورة طه ، ولم تتكرّر (يابساً) في القرآن الكريم .

الأرض إما مياه ، وإما بر (يابسة) ولا ثالث لهما .

البحر ٣٢ + البر ١٣ = ٤٥ .

الـ ٤٥ هي ١٠٠٪ .

البحر ٣٢ ماذا يشكل من المجموع = $\frac{100 \times 32}{45} = 71,11\%$ (بحار) .

الـ ٤٥ هي ١٠٠٪ .

البر ١٣ ماذا يشكل من المجموع = $\frac{100 \times 13}{45} = 28,88\%$ (البر = اليابسة) .

وهي النسبة التي ندرسها لطلابنا في مدارسنا : ٧١,١١٪ بحار ، و ٢٨,٨٨٪

يابسة .

إنّه إعجاز علمي جغرافي .

١١ - في كلّ سور القرآن الكريم ، قبل وبعد سورة يوسف ، إذا ذكر حاكم مصر ، يذكر (فرعون) ، إلا في سورة يوسف ما ذكر (فرعون) ، مع أنّ قصّة يوسف عليه السّلام جرت أحداثها في مصر ، ومع ذلك جاء في سورة يوسف حاكم مصر باسم (الملك) :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ [الآيه ٤٩] .
 ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَتُونِي بِهِ ﴾ [الآيه ٥٠] ، و ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ
 لِنَفْسِي ﴾ [الآيه ٥٤] ، ﴿ قَالُوا تَقْذُؤُا صَوَاعَ الْمَلِكِ ﴾ [الآيه ٧٢] ، فما السرُّ في هذا ؟

بقي هذا السرُّ المعجز حتَّى تمكَّن (شامبليون) سنة ١٨٢٢ م من قراءة الكتابة
 الهيروغليفية ، فاطَّلَعْنَا على تاريخ مصر مفصلاً ، فعلَّمْنَا أن يوسف عليه السَّلام لم يكن
 في شمالي مصر (منطقة الدلتا) في كنف الفراعنة الَّذِينَ انحسر حكمهم إلى الجنوب
 (منطقة الصَّعيد) ، بل كان في كنف (الملوك) الهيكسوس وخدمتهم ، فجاءت دقَّة
 العبارة معجزة تاريخية ، (ملك) لا (فرعون) .

١٢ - الإعجاز العلمي كثير كثير ، أختمه بهذه الآيات المباركات :

- ﴿ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضِيقًا حَرَجًا كَأَنَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥/٦] .
- ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨/٢٧] .
- ﴿ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف = ٥٤/٧] .
- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد : ٤١/١٣] .
- ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠/٣٦] ..

ففي الآية الأولى ﴿ يَصْعَدُ ﴾ في طبقات الجوّ ، يضيق صدره بسبب نقص كميات
 الهواء في الطبقات العليا ، ثم تلاشيها ، وفي الآية الثانية : الجبال تمرُّ كما يمر السَّحاب ،
 دلالة على حركة الأرض ، والآية-الثالثة : سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ٢٣٣٣
 كيلومتراً في الساعة الواحدة ، والآية الرابعة : التعرية ، حركة مستمرة بطيئة ، والآية
 الخامسة : الشمس والقمر والكواكب كلها سابجة في أفلاكها في هذا الكون الرَّحْب
 الفسيح ..

الإعجاز الغيبي :

١ - من أوائل السور المنزلة في مكة المكرمة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ .. ﴾ ، سمع أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) السورة ، وعاش بعد سماعه إياها عشر سنوات ، لو قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نفاقاً ورياءً بلسانه دون قلبه ، لشكك بالوحي وأبطله ، فالوحي لا يخطئ ولو مرة واحدة ، إنه معصوم عن الخطأ ، وبشكل مطلق ، فلو وقف أبو لهب في الحرم ، وقال : يا قريش ، مسلمها ووثنيها ، يقول محمد هذا القرآن الذي يتلوه علينا وحي من عند ربّه ، وهو يقول أيضاً من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة ، اشهدوا عليّ قولي : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأني موقف يسجله هنا أبو لهب !!

لو كان القرآن من عند محمد بن عبد الله ، لما قال أمراً غيبياً لا يدري ما سيكون شأنه في قادمات الأيام ، إنه من عند الله قطعاً ، وهو علام الغيوب ، لقد علم أن أبا لهب لن يقول الشهادة ولو رياءً ونفاقاً وكذباً ، ولن يخرج الدعوة ورسول الله أبداً .

٢ - منذ الأيام الأولى للإسلام والمسلمين ، كانوا متعاطفين مع أهل الكتاب ، مثلما كان المشركون متعاطفين مع عبدة النار ، لذلك فرح المشركون القرشيون بانتصار الفرس وهزيمة الروم ، وساء ذلك المسلمين ، وحينما أظهر المشركون شمتهم ، نزلت بدايات سورة الروم ، لاحظ ياسيد روديغ هذا التكريم لكم ، سورة باسم الروم الذين كانوا يمثلون أوربة كلّها آنذاك ، جاء في مطلعها : ﴿ غَلَبَتِ الرُّومُ ، فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ، يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [من الآية ٢ وحتى ٥] .

في هذه الآيات دلالة عظيمة لفتح القلوب لدراسة هذه العقيدة ، التي واكبت الأحداث ، فلانزواء ولا قوقعة ، والتي بشرت بنصر قريب للروم في بضعة سنين ،

والبضع من ثلاث إلى تسع ، وسيكون النصر ﴿ في أدنى الأرض ﴾ ، و (أدنى) لغة : أقرب ، وأخفض أيضاً كما في [اللسان] ، وتحقيق المعنيان ، أقرب إلى الحجاز وأخفض ، في أرض فلسطين ، أقرب ما يكون لمهد الدعوة الإسلامية (الحجاز) ، وأخفض بقعة على سطح الأرض (البحر الميت - ٣٩٤ م) .

٣ - في [آل عمران : ١٢٨] : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ .. ﴾ ، وقد غلبوا .

٤ - وفي [الأنفال : ٧/٨] : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ .. ﴾ ، وعِدَّة عجيب بالنصر في بدر الكبرى ، والمسلمون قلة من حيث العدد ، وما خرجوا لقتال ، ومع ذلك ذكر النصر قبل المعركة ، وكان كما أخبر رسول الله ، وقد نسب الوعد إلى الله تعالى .

٥ - ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا - وَلَنْ تَفْعَلُوا - فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ، [البقرة : ٢٣/٢ و ٢٤] ، ولن تفيد الاستمرارية في المستقبل ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ، فما فعلوا في الأمس ، ولن يفعلوا اليوم وغداً .

٦ - وفي سورة [القمر : ٤٥/٥٤] ، وهي من السور المكية : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ ﴾ ، على الرغم من الاضطهاد والتعذيب والتَّهْجِير في الفترة المكية ، جاءت هذه البُشْرَى ، وقد كانت محققة في بدر الكبرى .

٧ - ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، [الحجر : ٩/١٥] ، وهو محفوظ من التحريف والزيادة والتقصان ..

٨ - ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ بَاءُ بَعْدَ حِينَ ﴾ [ص : ٨٧/٢٨ و ٨٨] ، وسورة [ص] مكية ، وما هي إلا سنوات حتى صار للإسلام نبؤة العظيم في العالم ، وهو اليوم شاغل العالم من اليابان حتى الولايات المتحدة .

٩ - ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [التوبة : ٢٨٧] ، وقد أغناهم .

١٠ - وأخيراً في [النساء : ١٥٧/٤] في معرض الحديث عن السيّد المسيح عليه السلام : ﴿ .. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ ، وفي نهاية الآية ذاتها : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ ، والأنجيل القبطيّة المكتشفة في (نجع حمادي) تذكر بوضوح أنّ المسيح لم يُصلب ، وإنما صَلِبَ شبيه له ، وهذه الأنجيل غيّرت تاريخ السنوات الأولى للمسيحيّة . لأن بعضها كانجيل توماس مثلاً يرجع إلى منتصف القرن الميلادي الأول ، أي أنّه يسبق أوّل الأنجيل المعروفة بعشر سنوات على الأقل .

جاء في أحد هذه الأنجيل المكتشفة ، وهو إنجيل بطرس ، كما قدّمته منظمة اليونسكو ١٩٧٠ م ، وكما قدّمته لجنة تكوّنت في الولايات المتحدة لترجمة النصوص تحت رعاية (جيمس روبنسون) عالم الدّراسات اللاهوتيّة الأمريكي ، وتمّ الانتهاء من الترجمة الإنكليزيّة عام ١٩٧٥ م ، ثمّ تُرجمت بعد ذلك إلى الفرنسيّة والألمانية ، جاء في أحد هذه الأنجيل حرفياً (وهو إنجيل بطرس) : « يقول المخلّص : إنّ الذي رأيته سعيداً ويضحك هو يسوع الحيّ ، لكن مَنْ يدخلون المسامير في يديه وقدميه فهو البديل ، فقد وضعوا العار على الشّبيه ، انظر إليه ، وانظر لي » .

كما جاء في كتاب آخر يُسمى (كتاب سيت الأكبر) : « كان شخص آخر هو الذي شرب المِراة والخَل ، لم أكن أنا ، كان آخر ، سيمون هو الذي حمل الصّليب على كتفه ، كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشّوك على رأسه ، وكنت أنا في العلاء أضحك لجهلهم » ، [المجلّة العدد ٧١٢ ، الجمعة ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٣ م ، ص ٥٦ وما بعدها] .



الإعجاز التشريعي :

ونعني به النظرة للتناسقة المنسجمة للكون والحياة والإنسان ، في القرآن الكريم ،
ناهيك عن التشريع للعجز في الفرائض ، وفي المعاملات ، وفي بناء الفرد والأسرة
والمجتمع ، وفي العلاقات الدولية .

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الرُّوم : ٣٠ : ٢٠] .

﴿ إِنَّا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرُّعد : ١٢ : ٧] ، لقد أسلم أناس من شعوب
العالم كلها ، ولم يشعر واحد منهم أن هذا التشريع الناظم لحياته غريب عنه ، بل يشعر
الجميع أن هذا التشريع مُنَزَّلٌ إليه ، وهذا أمر طبيعي ، لأنَّه فطرة الله التي فطر الناس
عليها ، ولا تبديل لخلق الله .

(ألن بول) الباحثة الإنكليزية التي أشهرت إسلامها ، وتحولت إلى داعية ، أجرت
دراسة ميدانية على عشرين فتاة إنكليزية مسلمة ، خمس منهن اعتنقن الإسلام بسبب
المطالعة المتعمقة في القرآن الكريم ، والباقيات بسبب زواج من مسلم ، أو التأثير بعالم
مسلم .

روديفر : ما سمعته خلال الجلستين اليوم والأسبوع الماضي ، شيء عجيب دون
شك ، لم نسمع به من قبل .

فقلت مجيباً : وهل من مصلحة الكنيسة في أوربة إطلاعكم على هذا الإعجاز ، هذا
الإعجاز تسمعه من مسلم دارس باحث فقط ، الكنيسة عندكم مشغولة بالافتراءات
والتشويه وإثارة الشبهات حول الإسلام ونبئه الكريم ﷺ .



ومما يذكر أنَّ الشَّريطين اللَّذين ضما تسجيل الإعجاز اللُّغوي والعديدي والعلمي والتَّشريعي ، أخذنا من السَّيِّد روديغر ، فجاءني إلى مكتبي ، وبكلِّ أدب وتلطُّف قال لي : لا أكتمك ، إنَّ كلَّ شريط تسجيل سجلته كان يأخذه منِّي رجل دين في الكنيسة الَّتِي أتبعها ، وكان يعيد إليَّ الشَّريط الَّذي يأخذه في اليوم التَّالي ، ولكنه أخذ شريطي الإعجاز ولم يعدها إليَّ ، ثم قيل لي : إنه مسافر ولا ندري متى سيعود ، لذلك أرجو تسجيل الشَّريطين من مجموعتك ، فأنا حريص على إتمام مجموعتي .

سجَّلت للسَّيِّد روديغر الشَّريطين ، وحسَّنت ظنِّي بالَّذي أخذها منه ولم يعدها إليه ، وقلت : لعلَّه لم يتلفها كي لا تنتشر هذه الحقائق من الإعجاز ، وتمنَّيت أن يكون قد أخذها لينتفع بها ، وحرصاً عليها .



اللقاء السَّابع :

رحبَّت بالسَّيِّد روديغر في بداية اللقاء ، وقلت له : سأُنهي إجاباتي عن أسئلتك اليوم ، لأسمع منك إجاباتك عن أسئلتني في لقائنا القادم إن شاء الله .

١ - أعلام الحوار في الوقت الحاضر ، من قبل المسيحيين (صن مون) وهو مشبوه له علاقته الوثيقة بالصهيونية . ومن المسلمين الجادِّين الشيخ أحمد حسين ديدات .

٢ - مناهج المستشرقين في تناول مصادر المسلمين .

نشأ الاستشراق وترعرع في أحضان وزارات للمستعمرات ، هذا أمر معروف ، ورعته الكنيسة ووجهته ، فقم كبر تناول مصادرها بهدف إدانتنا ، وطمس حضارتنا ، وإبراز ما يشوهها مع التَّضخيم والتَّهويل .

من المستشرقين المنصفين في تناول مصادرنا ، ضمن المنهج العلمي الموضوعي :
يوهان رايسكه الألماني : [١٧١٦ - ١٧٧٤ م] الذي اتهم بالزندقة لمنهجه الإيجابي من
الإسلام .

ولورا فيشيا فاغليري الإيطالية ، مؤلفة كتاب : (دفاع عن الإسلام) .

وسلفستردى ساسي الفرنسي ، الذي يرجع إليه الفضل في جعل باريس مركزاً
للدراسات العربية .

وتوماس آرنولد البريطاني ، صاحب كتاب : (الدعوة إلى الإسلام) .

وزيغريد هونكه مؤلفة كتاب : (شمس العرب تسطع على الغرب) .

والدكتورة آنا ماري شمل التي قدّمت لكتاب الدكتور مراد هوفمان : (الإسلام
كبديل) .

ومن المستشرقين الذين ساروا على نهج الطعن والإدانة ، بكتابات حاقة موظفة ،
بعيداً عن المنهج العلمي في تناول مصادرنا ، على سبيل المثال : جولدتسيهر (المجري
اليهودي) ، وتيودور نولدكه ، وفينسنك ، وميور ، ولوي ماسنيون ، ولامانس ،
ودافيد صموئيل مرجليوث ، وهلمتن جيب ، ونيكسون ، وجوزيف شاخ ... منهجهم
أقوال وأحكام بلا سند من تاريخ ، أو حجة من عقل تغني عن البيان والردّ ، إنهم
يبيّتون فكرة مسبقة ، ثم يلوون أعناق النصوص إليها ، مع إسقاطات ، ومع ذلك
أقول : إن الشاذ والغريب والضعيف لا يصمد أمام النقد والتوثيق .

ومع ذلك ، من حق الاستشراق أن يقول ولو تخيلات ، ومن حقنا الطبيعي
تناول أقواله بالدراسة والنقد والردّ ، لأنّ السكوت عنها يعني التسليم الضمني بها .

٣ - إلى أيّ حدّ تؤثر الحملات الصليبيّة على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

ذكريات الوحشية والعنف في الحروب الصليبيّة مؤلة ، يخفف منها اعتذار في عام

١٩٩٥ بمناسبة مرور ٩٠٠ عام على بدء الحروب الصليبية ، كما اعتذر من (غاليلو) .
الحملات الصليبية حقد ، ولا يستقيم الحوار مع الحقد ، وهو يستقيم مع السّاحة
والحب .

والحملات الصليبية لم تنته بعد ، فتصريحات كبار السّاسة في أوربة عند استعمار
الجزائر ، وليبيا ، ومصر ، والسودان ، وفلسطين ، وسورية ... تفوح بالصليبية ،
وكانهم يريدونها صليبية إلى الأبد .

٤ - أسماء بعض المستشرقين الذين قدّموا الإسلام عقيدةً بشكل موضوعي ؟
ذكرت أسماء بعضهم قبل قليل ، وأذكر هنا أيضاً : كارادي ثو ، وكلود إتيان
سافاري ، وتوماس كارليل ، وتوينبي ، واللورد البريطاني (هيدلي) الذي أعلن
إسلامه في أواخر حياته .

٥ - ما الكتب التي تخدم المسلمين في الاطلاع على المسيحية ؟

من الكتب : (قصة الحضارة) لؤل ديورانت ، و (تاريخ العالم) للسير همرتن ،
و (تاريخ العصور الوسطى) ليفشر ، و (أسطورة تجسّد الإله في السيّد المسيح) الذي
أشرف على تحريره البروفيسور جون هيك ، أستاذ اللاهوت في جامعة برمنجهام .

ويتوّج كتاب (إظهار الحق) هذه الكتب كلّها .
ومن الكتب المبسّطة السهلة المتناول (محاضرات في النصرانية) للشيخ محمد أبو
زهرة .

كتب كثيرة ياسيد روديفر أختها بكتاب (العقائد الوثنية في العقائد النصرانية)
لمحمد طاهر التنير ، و (ينابيع المسيحية) لحوجه كمال الدين ، (دراسة الكتب المقدسة

في ضوء المعارف الحديثة) للدكتور موريس بوكاي ، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم ..

٦ - الحاجز الأكبر بين المسلمين والمسيحيين ؟

الحاجز الأكبر الحقد الذي تحمله الكنيسة في أوربة على الإسلام والمسلمين . وإيمانهم تسليماً - لا عقلاً - بالتثليث ، والصليب ، والفداء . فلا لقاء بين توحيد خالص نقي لله تعالى ، وبين الثالوث المقدس .

٧ - ظاهرة التبشير المسيحي الغربي ، وأثرها على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

لا بدّ هنا من تمهيد عن مؤتمرات التبشير التي عقدت في هذا القرن :

من أوّل المؤتمرات (مؤتمر القاهرة) سنة ١٩٠٦ م ، الذي عُقد في بيت المجاهد المسلم بيت أحمد عرابي ، بباب اللوق ، الذي نقاه الإنكليز إلى سيلان ، دعا إليه (صموئيل زويمر) ، وكان هدفه : نشر الإنجيل بين المسلمين .

مؤتمر أدنبره (باسكوتلانده) سنة ١٩١٠ م .

مؤتمر لكنو في الهند سنة ١٩١١ م برئاسة صموئيل زويمر ، الذي ضرب ميداليّة على وجهها الأوّل (تذكّار لكنو ١٩١١ م) ، وعلى وجهها الآخر : (اللهم يامن يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع ، انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلاميّة ، وألهمها الخلاص بيسوع المسيح » ، وأنا شخصياً لا أرى مخلصاً لأوربة إلا ترك المخلص ، والاستجابة لنداء التوحيد ، والعقل ، والإنسانيّة .

مؤتمر بيروت سنة ١٩١١ م أيضاً .

مؤتمر القدس سنة ١٩٢٤ م .

مؤتمر جاكرتا سنة ١٩٧٥ م ، حضره ٣٠٠٠ مبشر .

مؤتمر السويد سنة ١٩٨١ م .

وأخطر المؤتمرات (مؤتمر كولورادو) ، الذي انعقد في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٧٨ م تحت اسم : (مؤتمر أمريكة الشماليّة لتنصير المسلمين) ، حضره ١٥٠ مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التّنصيريّة في العالم ، دامت اجتماعاتهم أسبوعين وبشكل مغلق ، ووضع (استراتيجيّة) بقيت سرّيّة لخطورتها ، مع وضع ميزانيّة لخطّتهم مقدارها مليار دولار ، وجُمع المبلغ وأودع في مصرف في أمريكة ، وأنشأ المؤتمر معهداً باسم (معهد صموئيل زويمر) ، وذلك في شمالي كاليفورنيا ، واختير (دون ماكري) مديراً له ، والهدف الأوّل والأخير تنصير كل المسلمين .

ومن فقرات مؤتمر كولورادو التي تسرّبت : إيجاد أزمات معينة ، كي يعيش العالم الإسلامي خارج حالة التّوازن ، حيث الفقر ، والمرض ، والحروب .

وبناء عشرات المحطّات الإذاعيّة لتغطية الوطن العربي ، والعالم الإسلامي .
ومن الكلمات التي اعترفت بالعقبات في وجه التّنصير ، والتي قيلت في مؤتمر كولورادو :

- الحقائق العالميّة صدمت معتقد المسيحي .
- المسلمون يفهمون النّصرانيّة على حقيقتها .
- كيف يمكن للعقل السّليم أن يفهم الأقاليم الثلاثة ، الواحد في ثلاثة ، والثلاثة في واحد ؟
- الإسلام ليس حركة معادية للأديان .

- الإسلام هو أكثر النّظم الدّينيّة المتناسقة اجتماعيّاً وسياسيّاً ، مع البساطة والوضوح .

هذا .. وفي مدينة (بازل) بسويسرة ، عام ١٨٩٧ م ، وصل القس البروتستانتي (وليام هشر) إلى قاعة المؤتمر الصّهيوني بصحبة (هيرتزل) ، وخطب في المؤتمرين مطالباً بأن « استفيقوا يا أبناء إسرائيل ، فالربّ يدعوكم للعودة إلى وطنكم القديم في

فلسطين » ، لقد كان القس هشلر من أوائل الدعاة للصهيونية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وبعد ٨٨ عاماً ، وفي المدينة ذاتها (بازل) ، وفي القاعة نفسها ، انعقد في أواخر آب (أغسطس) ١٩٨٥ م أول مؤتمر صهيوني مسيحي دولي ، ضم أكثر من ٦٠٠ رجل دين ومفكر مسيحي ، وقد هتفوا بحياة (إسرائيل الكبرى) ، وصلّوا من أجل (عاصمتها الموحدة الأبدية) القدس .

ثم قرّروا الانتشار في الأرض ، تنظيمياً وحركة وفكراً ، لخدمة المشروع الصهيوني وحمايته وتكاملته .

والسفارة المسيحية الدولية التي نظمت مؤتمر بازل الأخير ، ولدت في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ م ، وأهدافها :

- ١ - الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي ، ودولة (إسرائيل) .
- ٢ - تذكير المسيحيين والكنائس وتشجيعها للصلاة من أجل القدس وأرض (إسرائيل) ، وتحريض المسيحيين لممارسة التأثير في بلادهم لصالح (إسرائيل) .
- ٣ - إنشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية في (إسرائيل) .

ولقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظّمته بقوله : « إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم » .

وعن نشاطها وأغانيها لصهيون ، هذه صورة لك ياسيد روديغر ، عن مقالة الدكتور يوسف الحسن في مجلة (العربي) ١٩٨٦ م .

تقول (واشنطن بوست) يوم ١٩٨٥/٨/٣١ م على لسان القس (ديفيد لويس) ، أحد أبرز القيادات الصهيونية المسيحية الأمريكية : « ستشهد الكنائس العالمية في المرحلة القادمة أعظم نقاش شهده العالم للمسيحي حول موقف الكنيسة من (إسرائيل) » .

ومن إعلان بازل الجديد :

١ - الضَّغطُ باتجاه مزيد من الاعتراف الدولي (بإسرائيل) كدولة لليهود ، وتكملة المشروع الصهيوني الممتد من الفرات إلى النيل ، تحقيقاً للنُّبوءات التَّوراتيَّة .

٢ - مطالبة جميع الدُّول والمؤسَّسات الدَّوليَّة الحكوميَّة والخاصَّة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الإسرائيليَّة ، وعلى الدُّول الصَّديقة الانسحاب من هذه التَّجمعات إذا ما طُردت منها (إسرائيل) .

٣ - مطالبة جميع الدُّول بالاعتراف بالقدس عاصمة موحَّدة أبدية (لإسرائيل) .

٤ - المطالبة بالامتناع عن تسليح العرب ، بما فيهم مصر .

٥ - إنشاء صندوق استثمار مسيحي دولي في (امستردام) ، لدعم الصِّناعات والسياحة في (إسرائيل) .

فما أثر التَّبشير المسيحي الغربي على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ياسيد روديغر ؟

وأَيُّ حوارٍ والعالم الثالث يموت جوعاً ، وأوربة تتلف آلاف الأطنان من المواد الغذائية ، وتتلف أمريكا آلاف آلاف الأطنان من القمح كي لا تنخفض الأسعار ، أين الإنسانيَّة ؟ وأين تعاليم المسيحيَّة ؟

فأية مشاعر نحمل ، والنَّاس يموتون جوعاً في إفريقية ، وجنوب شرقي آسيا إن لم يتنصَّروا ؟ حتَّى قيل في أندونيسية لمن يقوم بعمل دون قناعة به : تنصَّر من أجل حفنة أرز .

٨ - نقطة الانطلاق المناسبة للحوار الإسلامي - المسيحي ؟

نقطة الانطلاق المناسبة ، الاعتراف بالإسلام أولاً ديناً سماوياً ، ومع نبذ التَّعصُّب

والحق والعنف والمؤامرات والمكائد ... تترفع عن الشَّتائم ، فكلمة (أصولية) ترجمة دقيقة لكلمة Fundamentalism الإنكليزية ، وتعني : العودة إلى الماضي ، أو إلى الجذور والتَّشبُّث بها ، خاصة في مجال الفكر ، بل في كلِّ جوانب الحياة ، والأصوليون : فئة تتمسك بفكرة أو بمبادئ قديمة ، ويرفضون معه قبول ما يعارضهم من أفكار ومبادئ .

والأصولية الغربية تعود إلى حركة محافظة من البروتستانت في الولايات المتحدة ، ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وقامت مبادئها على أن الإنجيل معصوم من كلِّ خطأ ، وغير قابل للنقد ، وأن المسيح إله مولود من مريم العذراء ولادة عذرية ، وأنه قد ضحى بحياته تكفيراً عن ذنوب جميع الناس ، وأنه سيبعث مرة أخرى .

ومن دوافع ظهورها ما ظهر على الساحة النصرانية من دراسات تاريخية تحليلية نقدية للإنجيل ، وفي سنة ١٩٠٩م بدأت الحركة الأصولية بطباعة اثني عشر كتاباً تحت عنوان (الأصولية) ، وُزِع منها مع خروج الكتاب الثاني عشر ثلاثة ملايين نسخة في الولايات المتحدة وخارجها ، وفي هذا الوقت بدأت معاهد الإنجيل في لوس أنجلوس وشيكاغو في تدريس الأصولية من حيث مبادئها وعقائدها .

وفي ١٩٤٨م شكَّلت مجموعة أصولية دولية مركزها امستردام في هولندا ، اسمها : (المجلس الدولي للكنائس النصرانية) ، وهي مدعومة من قبل خمس وأربعين طائفة من ثماني عشرة دولة .

الأصولية : مصطلح كنسي مرادف للتَّزمت والعناد والتَّفوق والعدوانية ورفض التَّطوُّر ، فضلاً عن أنَّه مغرق في الارتباط بمكان وزمان معيَّن لا ينفك عنها ، ولا يمكن لهذا المصطلح ، وبهذا المفهوم أن ينطبق على المسلمين ، أو على فئة منهم .

« كونوا معاصرين شرط أن تكونوا أصيلين . فالمعاصرة لا تعني أبداً انقطاع الجذور ، كما أن استيعابها لا يعني التَّفريط بتراثنا الثقافي العظيم » .

اكتسب هذا اللفظ مزيداً من الإيحاءات السلبية عبر ربطه بأحداث وظواهر معينة داخل البلاد الإسلامية توصف بالتطرف والغلو والعنف ومصادرة رأي الآخر ، فهو وسيلة للتهجم على الإسلام ، ولا يقوم من يُطلق هذا اللفظ العمل إسلامياً ، أهو محظور أو مرخص به ، سياسي أم اجتهادي .

أمّا (شعب الله المختار) فادّعاء غير أصولي .

وتعبئة هواء القدس من قبل اليهود لبيعه في أوربة وأمريكة ليستنشق هناك من عبوات بلاستيكية أنيقة ، ليس أصولية^(١) .

نقطة الانطلاق احترام الناس ، مع العمل الصادق في نطاق أخوة إنسانية .

٩ - مستقبل المسيحية في المنطقة ؟!

مستقبلها كاضيها ، ما الجديد في أمرها ؟

١٠ - الهوية الإسلامية ضمن العروبة ؟

العروبة : جنس ، وعرق .

والإسلام : عقيدة ، وفكر .

أنت ياسيد روديفر جرمانى جنساً ، ومسيحي ديناً ومعتقداً ، فهل من تعارض أو تناقض ؟

العروبة علاقة انتماء إلى أمة بشطري تكوينها : الشعب والأرض .

(١) ومافعله الطبيب (باروخ كولد شتاين) ، السفاح الذي قتل أكثر من خمسين شهيداً في الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل ، صباح الجمعة ١٥ رمضان المبارك ١٤١٤ هـ الموافق ٢٥ شباط ١٩٩٤ م ، ليس أصولية ، وهو الذي ادعى - كما كتب لزوجته - أنه فعل فعلته الحقيرة باسم (إله إسرائيل) .

والإسلام علاقة انتاء إلى دين ، فلا يقوم لدينا سبب للخلط بين العروبة والإسلام .

وللإسلام والأمة العربية سمة خاصّة ، علاقة متميّزة ، في كنفها وُجد الإسلام ، وهي التي نشرته ، وبلغتها نزل ، لذلك لا يمكن تخيّل الأمة العربية دون حضارة الإسلام ، الذي نمت معه ، واكتملت أمة به ، والإسلام حمى الأمة العربية حين التجأت إليه .



اللقاء الثامن :

[يوم الأربعاء ٢٨ شعبان ١٤١٤ هـ ، الموافق ٩ شباط ١٩٩٤ م] .

رحبت بالسيد روديفر مع بداية الجلسة ، وقلت له : يسعدنا أن نسمع منك اليوم إجابات أسئلتني ، أملين أن يكون العلم والمنطق ، وتحكيم العقل والحجّة روادنا دوماً في حواراتنا ، لأنّ الإسلام دين يمجّد العقل ويجعله في درجة رفيعة ، ويرفض التسليم دون حجّة من علم ، أو برهان من عقل .

عند ذاك أخرج السيّد روديفر براون ثمانين صفحة من قياس صغير ، مكتوب عليها بأحرف لاتينية ، فقرأ لنا نصفها تماماً ، ولما كان هذا اللقاء قبل شهر رمضان المبارك بيومين فقط ، فقد أُجّلت اللقاءات إلى مابعد العيد ، ولكن الأعمال حالت دون لقاءات جديدة بعد عيد الفطر ، فقدّم لي السيد روديفر قبل سفره إلى ألمانيا :

- من صفحة ١ إلى صفحة ٤٠ بالعربية وبخط يده .
- ومن صفحة ٤٠ إلى صفحة ٨٠ بحروف لاتينية وبخط يده ، ولكنها ليست بالألمانية ، بل كتب الكلمة العربية بحروف لاتينية .
- وشريط بصوته ينطق بالعربية فيه ما في الصفحات من ٤٠ إلى ٨٠ .



روديفر براون : كما هو مكتوب ، ما لم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه ، فأعلنه الله لنا نحن بروحه ، لأن الروح تفحص كلّ شيء حتى أعماق الله ، لأنّ مَنْ مِنَ النَّاسِ يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه ، هكذا أيضاً أمور الله ، لا يعرفها أحد إلاّ روح الله ، ونحن لم نأخذ روح العالم ، بل الروح الذي من الله ، لنعرف الأشياء للهوية لنا من الله ، التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلّمها حكمة إنسانيّة ، بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيّات بالروحيّات ، [كورنثوس ١/٢ - ١٣] .

تمهيد : لا نستطيع أن نفصل الثالوث الأقدس عن شخصيّة يسوع المسيح ، هو نفسه الذي أوقفنا بكلّ الجلاء أمام هذه الحقيقة التي تفوق مداركنا المحدودة ، والتي لا تدرك ، ولا بأيّ طريقة أخرى إلاّ بالمقابلة الشخصيّة مع يسوع ، المسيح نفسه .

قضيّة الثالوث الأقدس لا تتمتع في حياة المؤمن بنفس الأهميّة مثل الصليب ، لأنّها قضيّة لاهوتيّة بحتة ، والمؤمن العادي لا يهتم بشرحها ، لأنّها تمثّل له سرّ إيمانه الذي - مع أنّه - لا يستطيع أن يشرحه ، إلاّ أنّه يختبره في حياته مع الله بكلّ الجلاء ، وبكلّ البديهيّة .

محدودية العقل : يتشّى إنسان على شاطئ البحر ، ويرى طفلاً يحفر حفرة ، ويستقي ماءً من المحيط لكي يملأ الحفرة في الرمال ، يسأل الرجل : ماذا تفعل ؟ يقول الطفل : أريد أن أقبل مياه المحيط إلى هذه الحفرة .

الثالوث الأقدس ليس سرّاً على المعرفة بشكل تام ، ولكن هو سرٌّ على الإحاطة به ، لذلك لا أجرب أن أحيط الثالوث الأقدس بعقلي المحدود ، بل أشير إلى بعض المؤشرات التي أعطانا الله إياها في الكتاب المقدّس .

ننطلق من السؤال الذي طرحه يسوع نفسه [متى ١٣/١٦] : « مَنْ يَقُولُ النَّاسُ

إني أنا ابن الإنسان ، هذا السؤال لا بد من الجواب عليه أولاً استناداً إلى الوثيقتين الأقدم^(١) : التوراة والإنجيل .

يسوع نفسه قال [يوحنا ٣٩/٥] : فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهي التي تشهد لي ولا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة .

هذا هو الكلام الذي كلمتم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير .

آيات كتابية : (٢)

[تكوين ١/١ - ٣] : « في البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه ، وقال الله ليكن نور فكان نور » .

الله في العبرية : Elohim (إلهيم) في صيغة الجمع ، ألوهية جامعة .

١ - الجمع التنظيمي في العبرية غير معروف Pluralis Mayestatis .

٢ - لأحد من الملوك (فرائين) حكام القدماء استعمل في الحديث عن نفسه جمع التعظيم [تكوين ٤١/٤١ ، دانيال ٦/٤] .

٣ - النظرية أن الإسرائيليين القدماء آمنوا أولاً بألهة عديدة (إلهيم) ، وهكذا دخلت هذه العبارة إلى التوراة ، لا تؤكد من قبل النقد العلمي الجذري (نظرية علمانية) .

الآية الثانية : روح الله .

الآية الثالثة : قال : « كلمة الله » .

(١) هذا لفظ السيد روديفر ، وصواب العبارة : استناداً إلى الوثيقتين القديمتين : التوراة والإنجيل .

(٢) يعني بها السيد استشهادات من العهد القديم (التوراة) ، وستردها (شهادة العهد الجديد) مستقلة بعد صفحات .

الكلمة والروح مشتركان في عملية الخلق ، نرى هنا ولو وراء الستار ، أول إشارة إلى ذات الله .

يتكلم الله في صيغة الجمع « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » ، « هلمّا ننزل ونبلبل ألسنتهم » ، [برج بابل] .

من نسل يعقوب : « يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب .. » [عدد ١٧/٢٤] .

من سبط يهوذا : « لا يزول قضيب من يهوذا ومُشترِع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب » [تكوين ١٠/٤٩] .

من جنس يسي : « ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله » [إشعياء ١/١١] .

من بيت داود : « هاأيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر » [إرميا ٥/٢٣] .

مولود في بيت لحم : « أمّا أنت يا بيت لحم أفراثة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » [ميخا ٢/٥] .

معلن من بشير : « صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب ، قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا » [إشعياء ٤٠/٣] .

مولود من عذراء : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ، هل العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمّانوئيل » - الذي تفسيره الله معنا - [إشعياء ١٤/٧] .

ألوهية المسيح :

« لأن كل سلاح المتسلح في الوغى وكل رداء مدحرج في الدماء يكون للحريق

مأكلاً للنَّار ، لأنَّه يولد لنا ولد ونُعطي ابناً وتكون الرِّياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السَّلام » [إشعياء ٥/٩ و ٦] .

بداية في جليل : « ولكن لا يكون ظلامٌ للتي عليها ضيق .. طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم ، الشَّعب السَّالك في الظُّلَّة أبصرَ نوراً عظيماً ، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نُورٌ » [إشعياء ٩/١ و ٢] .

ممسوح من الرُّوح القدس : « ويَحُلُّ عليه روح الرُّبِّ روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوَّة روح المعرفة وخفاة الرُّبِّ » [إشعياء ١١/٢] .

مُرافق من معجزات : « حينئذٍ تفتَّح عيون العمي وأذان الصُّم تفتَّح ، حينئذٍ يقفُّ الأعرج كالأيِّل ويترنَّم لسان الأخرس لأنَّه قد انفجرت في البرِّيَّة مياهٌ وأنهارٌ في القفر » [إشعياء ٣٥/٥] .

[مزامير ٧٨/٢] ، و [متى ١٣/٣٤] تكلم بأمثال : « قدَّمَ لهم مثلاً آخر قائلاً : يشبه ملكوت السَّموات إنساناً زرع زرعاً جيِّداً في حقله ، وفيما النَّاس نيام جاء عدوُّه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى ، فلما طلع النَّبات وصنع ثمرأ حينئذٍ ظهر الزَّوان أيضاً .. » .

المجيء إلى الهيكل : « هأنذا أرسل ملاكي فيهيئُ الطَّريقَ أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيِّد الَّذي تطلبونه^(١) وملاك العهد الَّذي تسرون به هو ذا يأتي قال ربُّ الجنود » [ملاخي ١/٣] .

سقوط آدم :

« فأخرجه الرُّبُّ الإله من جنة عدن ليعمل الأرض الَّتِي أَخَذَ منها » .

(١) هذا هو النص حرفياً ، بينما أورده السيِّد روديفر : ويأتي بغتة إلى هيكله السيِّد الرُّب .

﴿ فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦/٢] .

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ [البقرة : ٢٨/٢] ، ألا يعني ذلك الجنس البشري كله ؟

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٢/٧] .

تقرأ في التوراة بعد السقوط : « صنع الربُّ الإله لآدم وامرأته أقصةً من جلدٍ وألبسهما » ، [تكوين ٢٠/٣] .

تقدّم الذبيحة الأولى لكي تغطي عار آدم وحواء .
إشارة أن لتصفية الخطيئة وجب أن يُذبح حيوان بريء .
لماذا لم تقبل ذبيحة كايين ؟ لأنّه قدّم ذبيحة غير دمويّة .
لماذا قبلت ذبيحة هابيل ؟ لأنّه أدرك أنّه لا يوجد غفران إلاّ بالدم .

المسيح : مولود من نسل المرأة : « وأضعُ عداوةً بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، هو يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ » [تكوين ١٥/٣] .

« وظهر له الربُّ عند بلوطات مَمْرَا وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض ، وقال يا سيّد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك » [تكوين ١/١٨ - ٤] .

« وقالوا له أين سارة امرأتك ، فقال هاهي في الخيمة ، فقال إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابنٌ » ، [تكوين ١/١٨ و ١٠] .

نرى الثلاثة والتوحيد في الوقت نفسه^(١) .

الثلاثة : « مَنْ صعد إلى السَّموات ونزل؟ مَنْ جمع الرِّيح في حَفَنتيه ؟ مَنْ صَرَّ المياه في ثُوبٍ ؟ مَنْ ثَبَّت جميع أطراف الأرض ؟ ما اسمه ؟ واسم ابنه إن عَرَفْت ؟ » [أمثال ٤/٣٠] .

تنبؤات عن المسيح : « ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض » [تكوين ١٨/٢٢] .

من نسل إسحق : « لَأَنَّهُ يَاسِحق يُدْعَى لَكَ نسلٌ » [تكوين ١٢/٢١] .

راكب على حمار : « ابتهجي جداً يا بنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم ، هو ذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمارٍ وعلى جحش ابن أتان » [زكريا ٩/٩] .

لليهود عثرة : « الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية » [مزمير ٢٢/١١٨] .

يتألم من أجل معاصي البشر : « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلواً ، وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا .. » [إشعياء ٥٣/٤] .

يُطعَن أمام أنظار النَّاس : « وأفيض على بيت داود على سَكَّان أورشليم روح النُّعمة والتَّضَرُّعات فينظرون إلى الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيدٍ له ويكونون في مرارةٍ عليه كمن هو في مرارةٍ على بكره » [زكريا ١٢/١٠] .

(١) استغربت واستغرب الجالسون هذه النتيجة ، قاطعت السيد روديفر وقلت له : لي تعليق على ماسردي ، وعلى ما استنتجت ، وسأسجل في نهاية ما ستقدم كل تعليقاتي .

تنبؤات تُمَّت في يوم واحد :

- يُخَان لثلاثين درهم فضي [زكريا ١٢/١١] .
- يصمت أمام متهميه [إشعياء ٥٣/٧] .
- ثقوب في يديه ورجليه [مزامير ١٧/٢٢] .
- مصلوب إلى جانب لصين [إشعياء ٥٣/١٢] .
- تقسيم ثيابه والاقتراع عليها [مزامير ١٧/٢٢] .
- صرخة الوحشة [مزامير ٢/٢٢] .
- يحفظ جميع عظامه ، واحدًا منها لا ينكسر [مزامير ٢٠/٣٤] .
- جَنَّبَهُ المطعون [زكريا ١٠/١٢] .
- قلبه المكسور [مزامير ١٤/٢٢ و ١٥] .

شهادة العهد الجديد :

« الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ، فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا » ، [رسالة يوحنا الرسول الأولى ١/١ و ٢] .

حسب قول المسيح : « طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه ، لأنني أقول لكم إن أنبياء كثيرين وملوكًا أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » [لوقا ٢٣/١٠ و ٢٤] . .

الشهادة الأولى : سمعان أمام الهيكل والطفل يسوع « الآن تُطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام ، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددتَه قدام وجه جميع الشعوب » [لوقا ٢٩/٢ و ٣٠ و ٣١]^(١) .

(١) وذكر السيد روديفر أن هذه الفقرة باليونانية أوضح ، وكتبها لنا باليونانية ، وتعني : « أبصرتا مخلصك » .

« أنا أنا الربُّ وليس غيري مُخلَّصٌ » [إشعياء ٤٣/١١]^(١) .

« أنا والآبُ واحدٌ » [يوحنا ١٠/٣٠] ، وباليوناني Neutrum (محايد) لا ذكور (!) ، لا يتكلَّم إذن عن شخصٍ واحدٍ بل عن ذاتٍ واحدة ، أو طبيعةٍ واحدةٍ (ذكوري ← صيغة) (!)

« أبوكم إبراهيم تهلَّل بأن يرى يومي فرأى وفرح » [يوحنا ٨/٥٦] .

« الحقُّ الحقُّ أقولُ لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ » [يوحنا ٨/٥٨] ، باليمين المضاعف ، أو بالقسم الأقوى يطالب المسيح اسم الله المطلق غير الزماني ، واليهود عرفوا تماماً ماذا يقصد هنا ، إنَّه يجعل نفسه الله (إلهاً) .

وبدلاً من أن يعيد الأنبياء ، وأن يقول الربُّ يقول ، أو هكذا يقول الربُّ ، يقول يسوع : « الحقُّ الحقُّ أقول لكم .. » ، أو : « فإني أقول لكم إنكم .. » [متى ٢٠/٥] .

وهو مشرَّع بقوة^(٢) : « السَّماءُ والأرض تزولان ولكنَّ كلامي لا يزول » [مرقس ١٣/٣١] ، كلامه أزلي أبدي ، فهو بذلك ليس بشراً عادياً .

« لا تضطرب قلوبكم ، أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي » [يوحنا ١٤/١] ، يجعل نفسه موضع الإيمان .

ويقبل العبادة والسجود له : « واسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله » [متى ٢٣/١٤] ، « قال لها يسوع لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى أبي ، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إنني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » [يوحنا ٢٠/١٧] ، « قال لهم

(١) عاد السيد روديغر هنا إلى العهد القديم (التوراة) .

(٢) في الأصل بخط السيد روديغر : يطالب قوة التشريع .

وأنتم من تقولون إنني أنا ، فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحيّ .
[متى ١٥/١٦ و ١٦] .. وإلى آخره .

يقول (أبي) لا الله : لم يقل مرّة واحدة : « أبونا » عندما تكلم مع تلاميذه ، بل
قال : أبي أم أبوكم ؟

واليهود أيضاً نادوا الله أباً ، ولكن استعملوا الكلمة Abkinn ، صيغة المخاطبة التي
تتوجّه إلى إله رحيم رؤوف غفور ، الصيغة التي استعملها يسوع لا تحتوي أي رجاء أو
التماس الغفران أو للمغفرة ، كلمة لعلاقة وثيقة كل الوثوق مع الأب ، وجدير بالاعتبار :
داود لم يقل أب ، بل : كما الآب يترأف [مزامير ١٣/١١٣]^(١) .

اليهود عرفوا فوراً ماذا يعني أو يقصد [يوحنا ١٨/٥] : « فمن أجل هذا كان
اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنّه لم ينقض السبب فقط ، بل قال أيضاً إنّ الله أبوه
معادلاً نفسه بالله » .

مطالبات غير مباشرة : [مرقس ٥/٢] : « فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج
يابني مغفور لك خطاياك » ، و [لوقا ٤٨/٧] : « ثم قال لها مغفور لك
خطاياك » .

وفي [يوحنا ٦/١٤] لم يقل أنا أعرف الحياة ، بل أنا الحياة نفسها ، « قال له
يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي » ، وفي [متى
٢٧/١١] : « كل شيء قد دُفع إليّ من أبي^(٢) وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب ، ولا أحد
يعرف الآب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » .

(١) « كما الآب يترأف » ليست في [مزامير ١٣/١١٣] ، فالزمور ١١٣ ثنائي فقرات فقط ، في الزمور ١٣/٩٠ :
« راجع يارب ، حتّى متى ، وترأف على عبيدك » ، وليس في المزامير كلّها (ترأف) إلا هنا ١٣/٩٠ .

(٢) هذه الجملة لم يذكرها السيد روديفر ، أضفتها أثناء ضبط الفقرات وتوثيقها .

وفي الحقيقة إن شهادة المسيح لنفسه ما كانت لتقوم لولا أنه (إله) ، وليس مجرد إنسان ، لأن الله وحده هو الذي يشهد لنفسه .

الثالوث في العهد الجديد (رموز) :

- عند الميلاد : الآب الذي أرسل الملك جبرائيل ، « هذا يكون عظيماً وابن العليّ يُدعى [ويعطيه الربُّ إله كرسى داود أبيه ، ويعلك على بيت يعقوب إلى الأبد]^(١) ولا يكون للملكه نهاية » [لوقا ٣٢/١] .

الابن المولود ، الروح القدس الفاعل ، « الروح القدس يحلُّ عليك وقوة العلي تظلمك » [لوقا ٣٥/١] .

عند المعمودية : قال الآب : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ » [متى ١٧/٣] .

الابن في ماء الأردن .

الروح القدس يستقر على رأس الابن مثل حمامة .. [متى ١٦/٣ ، ومرقس ١٠/١] .

ويسوع نفسه يقول : « إن كنتم تحبُّونني فاحفظوا وصاياي^(٢) ، وأنا - أي الابن^(٣) - أطلب من الآب - الأقنوم الآخر^(٣) - - فيعطيك معزياً آخر - روح الحق ، الأقنوم الثالث^(٣) - ليكن معكم إلى الأبد » [يوحنا ١٤/١٥ و ١٦] .

« وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » [متى ١٨/٢٨] ، لم يقل (بأسماء) ، بل مفرد (باسم) .

(١) ما بين القوسين لم يورده السيد روديفر .

(٢) لم يذكر السيد روديفر هذه الجملة « .. فاحفظوا وصاياي » لأنها تنصُّ على حفظ وصايا لآباده .

(٣) ما بين معترضتين من إضافات السيد روديفر .

البركة الرّسوليّة : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الرّوح القدس مع جميعكم » ، [رسالة بولس الرّسول الثّانية إلى أهل كورنثوس ١٤/١٣] .
« فإنّ الذين يشهدون في السّماء هم ثلاثة الآب والكلمة والرّوح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد » [رسالة يوحنا الرّسول الأولى ٧/٥] .

الرّم ٣ (ثلاثة) :

« اقتض هذا الهيكل وفي ثلاثة أيّام أقيمه » ، (يسوع) .
طفولة المسيح : « وبعد ثلاثة أيّام وجدوا في الهيكل في وسط ... » .
بطرس : جحده ثلاث مرّات .
يسوع : سأله ثلاث مرّات : « هل تحبني » .
بلاطس : سأل ثلاث مرّات « أي شيء عمل هذا ؟ » .
الصّلب تمّ في السّاعة الثّالثة « وبعد ثلاث ساعات كانت ظلمة على كلّ الأرض »^(١) .

صفات إلهيّة :

السُّلطان « دَفَعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ » [متّى ١٨/٢٨] .
والوجود في كلّ مكان : « وليس أحدٌ صعد إلى السّماء إلّا الذي نزل من السّماء ابن الإنسان الذي هو في السّماء » [يوحنا ١٣/٣] ، « لأنّه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » [متّى ٢٠/١٨] ، « وها أنا معكم كلّ الأيّام إلى انقضاء الدّهر » [متّى ٢٠/٢٨] .

(١) الرّم ٣ (ثلاثة) أورد السيد روديغر فقراتها دون توثيق .

واضع النّاموس ومكّله : « قد سمعتم أنّه قيل للقدمات لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأمّا أنا فأقول لكم إنّ كلّ من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم .. » [متى ٢١/٥] .

عالم بأسرار القلوب : « فشر يسوع بأفكارهم » [لوقا ٢٢/٥] ، « لكنّ يسوع لم يأتهم على نفسه لأنّه كان يعرف الجميع » ، [يوحنا ٢٤/٢] .

سلطان على عناصر الطبيعة : « فخرّ العبد وسجد له قائلاً يا سيّد تمهل عليّ فأوفيك الجميع » [متى ٢٦/١٨]^(١) .

سلطان على الشّياطين : « ولما صار المساء قدّموا إليه مجانين كثيرين ، فأخرج الأرواح بكلمة وجميع للرضى شفاهم » [متى ١٦/٨] .

سلطان على الموت : « ثمّ تقدّم ولس النعش فوق الحاملون ، فقال : أيّها الشابّ لك أقول قم » [لوقا ١٤/٧] .

عالم بكل شيء : « الآن نعلم أنّك عالم بكلّ شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد ، لهذا نؤمن أنّك من الله خرجت » [يوحنا ٢٠/١٦] .

شهادة القرآن الكريم :

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أنّي قد جئتكم بآية من ربكم أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمّة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم^(٢) إنّ في ذلك لآية لكم إنّ كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران : ٤٧٣] .

(١) لا يصلح النصّ الذي اقتبسه شاهداً لما قال وأراد .

(٢) وهنا كتب السيد روديفر [بدون إذن الله] ، مع أنها كلّها معطوفة على خلق الطير بإذن الله .

ولكن الأهم (بدون خطيئة) : « مَنْ مِنْكُمْ يُكْتَبُ عَلَى خَطِيئَةٍ ؟ » [يوحنا ٤٦/٨] .

شهادة القرآن الكريم والكتاب المقدس :

على سبيل المثال : ديدات يرفض الفضائح والخطايا المذكورة في العهد القديم عن الأنبياء ورجال الله ، وأنا أسأل : هل من الممكن أن نرفض كتاباً ككلام الله لمجرد أنه يُظهر الناس حتى أحسن الناس في أسوأ حالاتهم ؟

أذكر هنا أن هدف الكتاب المقدس مجد الله ، وليس المجد الزائف للإنسان .

تساوى جميع القصص التي أشار ديدات إليها معاً في شرّها ، ولكنه اختار بعناية أن لا يذكرها ، لماذا ؟ لأنّ القرآن أيضاً يذكرها في سورة [ص : ٢٤/٣٨ و ٢٥] : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاءُ فَاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ، ونسأل هنا : ماهي الفتنة - فتنة داود - التي تاب عنها^(١) ؟

لابدّ لنا من الرجوع إلى التّوراة [صموئيل الثاني ٧/١٢ - ٩] : « .. قد قتلت أوريا الحثّيّ بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة » ، وبعد أن أناب داود قال في [مزامير ١٠/٥١ - ١٢] : « .. رُدّ لي بهجة خلاصك » .

شهادة القرآن الكريم واضحة كل الوضوح .

كلّ الأنبياء خطاة^(٢) ، لماذا هذا الخروج من الوضع البشري ، في [آل عمران : ٣٦/٣] ﴿ .. وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ، تفسير

(١) في التفسير الكبير للإمام الرازي ١٨٩٧/٢٦ ، وفي تفسير أبي حيان الأندلسي البحر المحيط ٣٩٣/٧ ، وفي صفوة التفاسير ٥٥/٣ الفتنة التي تاب عنها الظنّ بتسوّري المحراب من غير إذن ، فلما اتّضح له أنها جاءت لحكم في قضية استغفر من ذلك الظنّ وخرّ ساجداً لله عزّ وجلّ .

(٢) حاشاهم صلاة الله عليهم وسلامه .

الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ : ما من بشرٍ يولد إلا ويمسه الشَّيْطَانُ فيستهل صارخاً من مسَّة الشَّيْطَانِ
إِلَّا الْمَسِيحَ وَأُمَّهُ .

وفي [الأنعام ١١٢/٦] : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا .. ﴾ ، وفي [مريم : ١٧/١٩] : ﴿ قَالَ إِنَّا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ، وفي [الأنبياء : ٩١/٤١] : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَنَنفَخُنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَ [مريم : ٢١/١٩] : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلِيِّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

هنا أسأل : هل يصطفى بشرٌ بكلِّ هذه الميزات بجانب كونه كلمة الله وروحاً منه ، وتكون مهمته محصورة فقط ؟ « ولكن يعطيكم السيّد نفسه آية ، هل العذراء تحبل وتلد ابناً .. » [إشعياء ١٤/٧] .

وفي [آل عمران : ٤٥/٣] : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ، يقول الرازي في التفسير الكبير : « معنى كلمة المسيح أنه مُسِيحٌ من الأوزار والآثام ، ومنه أنه كان ممسوحاً برحم طاهر مبارك .. صوناً له من مسِّ الشَّيْطَانِ » .

وفي البخاري : « كلُّ ابن آدم يطعنه الشَّيْطَانُ في جنبه بأصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم » .

﴿ وجيهاً في الدُّنْيَا ﴾ ، يقول الرازي : معناها مبرراً من العيوب بسبب كثرة صوابه وعلو درجته عند الله تعالى ، في الدُّنْيَا « يُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُ وَيُحْيِي الْمَوْتَى » ، وفي الآخرة « بسبب يجعله شفيع أُمته ويقبل شفاعته (شفاعاته) فيهم » ، كلمة (شفيع) ، من يستطيع أن يشفع إلا الله نفسه ، الله لا يقبل الشَّفَاعَةَ من شخصٍ أدنى منه ؟ (هو نفسه) يشفع فينا^(١) .

(١) بل الشَّفَاعَةُ لعظيم من دونه ، رجاء العفو منه وللغفرة ، كما أنَّ الشَّفَاعَةَ يَأْذَنُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

كلمة الله ، روح منه :

لقبان انفرد بهما المسيح^(١) عن سائر الأنبياء كلهم ﴿ ألقاها إلى مريم ﴾ ، هل نستطيع أن نستنتج أن الكلمة إذن موجودة قبل أن تلقى إلى مريم ؟ لا أحد سيقول إن الله كان أخرس قبل خلق العالم ، حاشا لله ، كان ناطقاً عاقلاً منذ الأزل ، أسأل : هذا النطق ، وهذا الروح من ذات الله ؟

إن أجبت لا ، نستنتج أنه يوجد شريك مع الله ، حاشا لله .

وإن كان روح الله وكلمته مخلوقين ، لأزليين منذ الأزل ، أسأل : ألا يناقض هذا الكلام اعتقادنا أن الله هو الكائن الأزلي الحي الناطق ؟!

استعراض تاريخ الفكر المسيحي :

ما هو جواب آباء الكنيسة عن السؤال : من تقولون إنني أنا ؟

تهيد : تعليق على (قصة الحضارة) لول ديورانت : يقول : إن طريقتنا المعتادة في كتابة التاريخ مجزأ أقساماً منفصلة بعضها عن بعض ، وإن التاريخ يجب أن يكتب عن كل هذه الجوانب مجتمعة .

أقدر هدفه تقديراً خاصاً عندما يقول : « سيدهشنا أن نعلم كم اكتشافاً ضرورياً لحياتنا اليومية .. ومالنا من فلسفة ودين مرده إلى مصر والشرق » .

وأقدر إنصافه عندما يعلق قائلاً : « إن التعصب الإقليمي .. لم يعد مجرد غلطة علمية ، بل ربما كان إخفاقاً ذريعاً في تصوير الواقع ، وتقصاً فاضحاً في ذكائه » .

بالرغم من ذلك كله ، أشك أن تأليف هذا الكتاب الذي يسمي ول ديورانت نفسه مغامرة يستطيع أن يلبي كل المتطلبات العلمية التي تفرض عادة على مختص بموضوع واحد .

(١) كلا ، آدم من روح الله ، ولنا تعليق مفصل بعد الانتهاء من تقديم كل ما كتبه أو قاله السيد روديفر .

نحن نعرف أن ول ديورانت استهدف تبسيط التاريخ والفلسفة^(١) ، وأراد أن يؤلف كتاباً موضوعاً لمستوى مستمعي محاضراته التي ألقاها في أمريكا ، والتي كان معظم مستمعيها من العمال والنساء^(٢) الذين يطلبون أن تكون المادة التاريخية واضحة كل الوضوح ، في مثل هذه الحال ، لابد من الوقوع إلى بعض الأخطاء أولي أتكم بلسان ول ديورانت « إلى الأخطاء الكثيرة التي ليس عنها يحصى في هذا المشروع » ، خاصة في مجالات معقدة كتاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى^(٣) .

إنه من اللافت للنظر أننا نجد هذه الأعمال الجبارة ، مثل قصة الحضارة ، أو قصة الفلسفة في أغلب الوقت بين الأمريكيين .

مجلد (المسيح والقيصر) كُتب سنة ١٩٤٤ م ، في الوقت الذي كان فيه - خاصة في أمريكا - كثيرون من المفكرين متأثرون بمؤلفات القرن التاسع عشر اللاهوتيّة ، مثل : Raimarius ، Venturini ، Schleiermacher ، Baur ، وبشكل خاص Daniel Friedrich Straub ١٨٣٥ م ، و Renan ١٨٤٩ م الذي كتب كتابه عن (حياة المسيح) هنا في سوريّة ، واستناداً إلى أن العلم يتجدد الآن كل خمس سنوات^(٤) ، أراه من المحتمل أنه توجد مصادر أدق وأكثر علماً في نطاق موضوعنا .

(١) إن صحّ هذا ، التبسيط فإنه لا يعني تقديم الخطأ ، ومجانبة الحقيقة ، ومع ذلك في مقدّمة المجلد الأول من (قصة الحضارة) أسماء من راجع وصوّب من ذوي الاختصاص ، وجاء حرفياً : « سننتهز هذه الفرصة لندخل كلّ ما عساه تتلقاه من تصحيحات يقدمها النقاد والأخصائيون والقراء » ، ثم أورد قولاً نصّه : « لو كنت لأنتظر الكمال لما فرغت من كتابي إلى الأبد » .

(٢) لاندري من أين جاء بها السيد رودينغر ، وعلى الرغم من ذلك من العمال والنساء مثقفون أكثر من كثيرين ممن يدعون الثقافة .

(٣) من أين جاء التعقيد ؟ من التحوّل إلى التثليث في ألغازه وأسراره .

(٤) العلم يتجدد ويتقدّم .. ولكن العقائد في أركانها ثابتة راسخة ، ومع ذلك رفضت الكنيسة الأناجيل المكتشفة حديثاً .

بينما وجّه الإنجيليون متى ومرقس ولوقا أناجيلهم إلى اليهود الأميين (Gentrys) والرّومان ، ووجّه يوحنا كتابه إلى الأوساط المسيحيّة نفسها وبدأ يناظر تيارات غير كتابيّة بشكل خاص^(١) .

الغنوصيون : آمنوا أنّ الله لا يمكن له أن يأتي إلى المادّة (أن يصير إنساناً) ، لأن المادّة شرّ .

المسيح إله أصغر .

مناظرة الكنيسة مع اليهود : رأوا في ألوهيّة المسيح تجديفاً ضد الله ، إلا أنّ الرّسل لم يحاولوا أبداً ولا مرّة واحدة أن يرفعوا يسوع الإنسان إلى درجة الألوهيّة ، بل أعلنوا أنّ (يهو) نفسه ، الله في سلطانه ومجده صار لحماً ودماً (إنساناً) .

الخطر الذي كانت الكنيسة تواجهه لم يكن رفض ألوهيّة المسيح ، بل العكس ، إنهم كانوا - أي الوثنيون - قد اعتادوا على عبادة يسوع كواحد من الآلهة الذين تعبدوا لهم ، (لم يكن إنساناً حقيقياً)^(٢) .

في ضمن نطاق الكنيسة كان يوجد اتّجاهان :

- ١ - إلى جانب الاتّجاه الأرثوذكسي (ذي رأي مستقيم) .
- ٢ - الاتّجاه الذي رأى في يسوع الإنسان الذي اختاره الله ، وأسكن فيه روحه ، وانتصر هذا الإنسان على التجارب ، وثبّته الله بقوة ، وجعله سيّداً وربّاً ، مذهب التّبني (أو للمسيح التّبني) .

المشكلة هنا ، الإنسان الذي أصبح إلهاً .

(١) كلام خطير جداً ، إنّه اعتراف بأنّ الأنجيل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا (وجّه كتابه) ، النصّ الإلهي ثابت موجه للناس كافة .

(٢) أنا أنقل هنا ما كتبه السيّد روديفر حرفياً .

أغناطيوس [٣٥ - ١٠٧ م] : أسقف أنطاكية ، الكنيسة التي أسسها بطرس الذي علّم أغناطيوس سبع رسائل أهمها : (رسالة إلى رومة) ، حيث التشديد على حقيقة أن المسيح صار إنساناً حقيقياً ، كافح ضد الغنوصية التي أنكرت ناسوت المسيح ، واستطاع أن يتكلم عن ناسوت المسيح ولاهوته ، دون أن يمزجها مزيجاً كلياً .

الاتحاد الذي تمّ في المسيح بين اللوغوس والسركس Sarx (اللحم) ، قبلاً اللاهوت والناسوت كانا متحدّين ، وعلى صلة مستمرة الواحد مع الآخر ، [رسالة سميرنا ٢/٤] .

« المسيح يعطي للؤمن حياة جديدة ، فهو يلاشي الحياة القديمة ، ويخلق في الإنسان عالماً جديداً » . [أفسس ٤/٤]^(١) .

بوليكربس Polycarpe : [٦٩ - ١٥٦ م] أسقف أزمير ، تعرّف على يوحنا وأغناطيوس ، رسالة إلى الفيلبيين : « يسوع المسيح جاء في الجسد » .

غرينايوس^(٢) Grenauss : [١٣٠ - ١٩٥ م] أسقف ليون (في فرنسة) ، معروف كرجل المصالحة في الخصومة بين فيكتور من رومة ، والكنيسة في آسية .

كتابان في اللغة اللاتينية :

١ - مشكلة الغنوصية .

٢ - شرح التعليم الرسولي ، تكلم فيه عن الثالوث ، عن سقوط الإنسان ، عن التجسّد والفداء .

يحتج بشدة ضد أولئك اللاهوتيين الذين يقدمون شروحات مطوّلة ومفصّلة حول أصل الابن ومصدره ووجوده ، كما لو كانوا حاضرين في يوم ميلاده ، يقول : لا يمكن

(١) لم أجد النص في [أفسس ٤/٤] .

(٢) هكذا كتبها السيّد روديفر .

وضعها لأنها تفوق كل وصف ، « لا أحد يعرف سر ميلاد ابن الله إلا الآب والابن » ،
[Adv. Haar 11/28] .

التعليم الغنوصي :

أ - المسيح هو واحد من العوالم (Eous) أو الآلهة التي خرجت من الإله الأسمى .
ب - المسيح هو مجرد من الطبيعة البشرية الخاضعة لقوة الطبيعة .

أريناوس يقول : « بل على العكس في المسيح ، اللوغوس^(١) صار مثلنا لكي
يصيرنا مثله ، ولكن في صيرورته مثلنا لم يفقد لاهوته ، بل ظل هو نفس المسيح
الواحد » ، [Adv. Haar 19/3] .

« فإن الله الذي سكن في الجسد لم يلاش ما في الجسد الذي سكن فيه من الصفات
المختصة به ، كذلك الجسد الذي كان الله فيه ساكناً لم يلاش هذا اللاهوت ، فهناك
أفعال وتصرفات في شخص المسيح لا يمكن أن تنسبها لله » .

جارتوس Jartiu الشهيد [١٠٠ - ١٦٥ م] : من أبوين وثنيين ، التحق بمدرسة
رواقية ، ودرس فلسفة الأكاديميين والفيثوغوريين ، تعمّد سنة ١٣٠ م ولم يترك لباس
الفلاسفة ، وافتتح مدرسة في رومة ، أحد تلاميذه ترتليان .

ثلاثة كتب الأهم^(٢) : (حوار مع طريفون اليهودي) ، (ثم في أفسس لمدة
يومين) ، حاول تبرير عبارة للمسيح كإله^(٣) : « هو القنطرة التي أقيمت على الهاوية
الفاصلة بين الله والإنسان » ، « انبثاق الابن من الآب لا يعني أن اللوغوس جرّد الآب

(١) اللوغوس : Logos : العقل ، المبدأ العقلاني ، المسيح ، كلمة الله ، وهي الكون (في الفلسفة اليونانية
القديمة) .

(٢) ننقل ما كتبه السيّد روديغر حرفياً .

(٣) كتب السيد روديغر هنا : (الجزء الثاني) بشكل هامشي .

من لاهوته أو نزعه عنه » ، « فالكلمة الملفوظة لا تجرّد الإنسان الذي نطق بها من جوهره كإنسان كما لا تفقد الشمس قوّتها من خلال شعاعها ، [حوار ٦١/٢ و ١٢٨/٤] .
« لا يمكن قطع أو فصل الشمس على الأرض من الشمس التي في السماء » ،
[Grillmeier 131] .

ترتليان Tertullian [١٦٠ - نحو ٢٢٠ م] : ١٩٢ م تجدد ، ذهب إلى رومة ، محامي مشهور ، له أكثر من ٢٥ عملاً (كتاباً) محفوظاً ، أهمها في موضوعنا : Contre Prateavs ، ضد الموداليّة Patrepatronism أو Madalism ، يقول : إن الآب نفسه نزل إلى أحشاء مريم ، الآب نفسه هو المسيح ، ويستعمل في هذا الكتاب للمرّة الأولى المصطلح (الثالوث الأقدس) سنة ١٩٥ م .

« هذه الوحدة مؤسّسة على التّمييز وليس على الانقسام ، أي إنه يجب التّمييز بين الآب والابن والروح القدس دون فصلها الواحد عن الآخر » ، [Adv. Prat] .

تعاليم بركسياس : المسيح هو الله الآب ، فالمسيح ما هو إلّا مظهر من مظاهر الله ، « هذا الإله الواحد ظهر في يسوع المسيح في هيئة إنسان » ، « هذا الآب هو الذي تألم » ^(١) ، [Adv. Prat] .

ترتليانس ^(٢) : « هذه الوحدة هي وحدة الأقانيم » ، ويتكلّم عن الأقنوم : « خروج الابن من الآب يشبه تماماً خروج شعاع الشمس من الشمس » كما الفرع هو ابن الجذع ... ، [Adv. Prat. 8] .

« إنّ الابن من نفس جوهر الآب ، وخارج منه » ، [Apologia 21/2] .

(١) الآب أي (الله) تألم على الصليب ، استغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) ترتليانس : هو ترتليان نفسه .

أُكِّد بشدّة على الحقيقة أنّ هؤلاء الثلاثة من جوهر واحد ، « كلُّ ما يوجد في هذه الوحدة المثلثة هو الانسجام والتّوافق والمحبة » .

يدعو طبيعة العلاقة بين الجسد واللّوغوس (حالة مزدوجة) : Double Statuv ، [Prat. 11] .

وفي هذا الاتحاد الإلهي البشري ، اللّوغوس يسوع احتفظت كلُّ طبيعته بميزاتها الخاصّة بها » [Prat. 27] .

« طبيعتان ، طبيعة إلهيّة وطبيعة بشريّة متّحدتان بلا اختلاط كل أو امتزاج » ، [Adv. Prat. 27] .

« بما أن المسيح كانت له روح مثل أرواحنا ، وكان يتألّم مثلنا ، فقد صرّح على الصّليب من شدّة ما عاناه في الصّليب » ، [De Resont Carne 40] .

بولس السّميساطي [أسقف أنطاكية ٢٦٠ - ٢٧٢ م] : كان كاتباً سياسياً ماهراً ، واحتلّ مكانة عالية في مملكة زنوبيا التي عُرِفَت بميلها الخاص لليهود ، والتي استهدفت الانفصال عن رومة ، رأت في بولس أداةً سياسيّة فساعدته بنفوذها على ارتقاء كرسي الأسقفية في أنطاكية ، وتمتّع بسلطة روحيّة وعالمية ، وفي نفس الوقت أشرف على خزانة الملكة زنوبية وكان مستشاراً لها .

تعاليمه بعد ارتقائه [كرسي الأسقفية في أنطاكية] :

اللّوغوس : قوّة غير شخصية ، وليس أقنوماً ، مميّزاً عن الله .

في يوم المعموديّة اتّحد الله مع هذا اللّوغوس بأيّ شكل ما ؟! وهكذا رفع اللّوغوس كمكافأة له ، وأعطاه اسماً فوق كل اسم .

« هذه الأقانيم ماهي إلّا طرق قد انتحلها الله ليظهر نفسه في العالم » .

مشكلة : هذا يؤدي تلقائياً إلى وجود ابنين لله .
بولس لم يشتهر باعتقاده فقط ، بل بسوء السلوك أيضاً .

مجمع أنطاكية : ٢٦٨ م ، حضره ٧٠ - ٨٠ مندوباً ، وطرح عليه (ماركيون) أسأله واستطاع بذلك أن يبين أخطاءه اللاهوتية ، فحكّم عليه ، إلا أنه بقي بدعم من زنوية على كرسي الأسقفية إلى موتها ، فأهى أوريليان Aurelian سلطته .

لوكيانس Luccian : أسس المدرسة الأنطاكية بعد ٢٦٠ م ، ودرّس فيها تعاليم بولس السّيساطي تماماً ، ولوكيانس نفسه المصدر والينبوع الوحيد لآريوس ، حتى سمى آريوس نفسه : (آريوس اللوكيانوسي) ، وآريوس درّس تعاليم لوكيانس ، إذن : تعاليم آريوس ليست من مصر ، بل وُلدت في أنطاكية ، وظهرت بعد ذلك في الإسكندرية^(١) .

كلام عن تاريخ الفكر المسيحي :

نأتي إلى آريوس ، من ليبيا ، كان خطيباً رائعاً وشاعراً مشهوراً ، ألف الكثير من الترانيم المسيحية ، وجذب كثيراً من الناس إليه بأسلوب وعظه ، درس في أنطاكية عند توتيانوس ، ثم انتقل إلى الإسكندرية وكافح هناك ضد تعاليم سيريوس ، الذي كافحت ضده أيضاً كنيسة الإسكندرية ، أي الكنيسة المصرية الأرثوذكسية ، وجعل بوجه عام الكثيرين أتباعه في كفاحه القوي ضد سيريوس ، ولكن بدأ بعد ذلك يهاجم عقيدة أثرية الابن وانبثاق جوهره من الآب ، إذن إن هذا الاعتقاد يؤدي إلى (السلبية) تعاليم الطبيعة الواحدة .

أولاً : وجود الابن سبق خلق العالم ، مع ذلك فهو ليس أزلياً .
ثانياً : الآب قرّر بأن الابن يسلك في طريق الصّراخ ، ولهذا فقد منحه مجداً إلهياً .

(١) هنا تنتهي الصفحات التي كتبها السيد روديفر بخط يده بالعربية ، لنبدأ بشريط سجّله بصوته .

الإسكندر - أسقف الإسكندرية - ناقش أريوس ، وحينما لم يرد هذا أن يتراجع عن اعتقاده ، عقد الإسكندر مجعاً في ٣٢٠ م ، بحضور مئة أسقف ، ومن أولئك الأساقفة لم يتبع أحد رأي أريوس إلا الأسقف تيوباس وزكينوس ، فصل أريوس من خدمته سنة ٣٢٠ م ، وحينما صدر هذا الحكم ، لم يجد أريوس في الإسكندرية إلا حفنة من الناس الذين اعتنقوا تعاليمه .

شرح أريوس لأوسيب أوتيانوس موقفه ، ونصح له أن يقابل أسقف نيقوميديا ، ويرسل رسائل إلى الأساقفة ، وأوسيب نفسه كتب رسائل كثيرة ، ودعا إلى جمع جديد لتدارس هذا الأمر ، أشرف على هذا الجمع صديق أريوس ، أسقف نيقوميديا [يوسبيوس] ، وفوق ذلك كانت العلاقات بينه وبين الكنيسة المصرية سيئة ، هذان الأمران لا يسمح لنا أن نهملهما في مسألة أريوس .

لعب على كل حال الإسكندر والكنيسة المصرية دوراً هاماً ، اللذان رفضا حكم الجمع [الذي أعاد أريوس إلى الكنيسة] ، ولذلك انفصل أريوس وأتباعه عن الكنيسة ، ثم استقرّ أريوس في نيقوميديا وكتب كتاباً ، وهنا تقول : اتسعت شقة الخلاف ، وحاول كلا الجانبين أن يجذب إليه العدد الأكبر عن طريق الرسائل والخطابات أو الشروح ، وبعد معركة كريستوبلس ٣٢٣ - ٣٢٤ م وصلت المملكة الرومانية إلى حالة من السلام ، وفي مثل هذه الحال بدأت التوترات في الكنيسة أن تهدد وحدة الإمبراطورية ، حيث الأحزاب تكافح بعضها ضد بعض ، فخاف قسطنطين على وحدة الإمبراطورية ، واستشعر الأسقف هوستيوس ، واتفق قسطنطين أن يكتب إلى كل واحد من الحزبين رسالة شخصية ، وسافر هوستيوس واجتمع بالحزبين ، وحصل على صورة شاملة ، وفي هذا الحين وُلِد الاقتراح لعقد مجمع مسكوني ، مجمع نيقاوي سنة ٣٢٥ م .

أثناسيوس يقول إن عدد الأساقفة ٣١٨ ، وهرنك يقول ٢٥٠ - ٣٠٠ ، والأغلبية

من الشرق ، ومن الغرب ٤ أو ٥ فقط ، واحد من إسبانية ، وآخر من فرنسة ، واثنان من رومة .

نرى في المجمع النيقاوي ونجد ثلاثة أحزاب ، الحزب المصري وهو أغلبية برئاسة الإسكندر ، ثم الحزب الآريوسي وهو أقلية ولكنه متحمس ومعه أسقف نيقوميديا ، والحزب المحايد ، يعني حزب أوريجينس .

ناقش المجتمعون تعاليم آريوس ، فاتهم المجمع آريوس بالهرطقة ، واقترح القانون الإيماني ، إلا أن المجمع رفض بقرار الإجماع هذا القانون ، قانون الإيمان ، وتغير الوضع في ذلك الحين ، أي رفض المجمع إدانة تعاليم آريوس ، أي المحتوى في ذلك القانون ، وبعضهم يظن أن أثناسيوس لم يحضر ، وأن الأساقفة وحدهم اتخذوا القرارات ، حسب بعض المراجع ، وبعضهم الآخر يقول أثناسيوس لعب دوراً في الخلفية حسب [بونيفاس ٤٣/٢ - ٤٥] .

لقدرة العلم على الانتصار ، انضمت أغلبية الحزب الآريوسي إلى الحزب الأوريجيني المحايد .

أوسيب قرّر أن يتكلم الكلمة الأخيرة ، ويطرح قانون الإيمان الذي نال قبول كل المشتركين في المجمع تقريباً ، إلا أنه ظهرت بعض المناقشة مع الحزب المصري ، حول بعض الأخطاء اللاهوتية التي تضمنها ذلك القانون ، هنا أتى الحزب المصري وعلى رأسه أثناسيوس وتفتح هذا القانون ، ولكن لم يقدم قانوناً جديداً ، بل قدم تنقيحاً لاهوتياً للقانون الذي اقترحه أوسيب .

قام الآريوسيون ضد مصطلح أن الابن مساوٍ بالآب في الجوهر ، وزعموا أن لا وجود لهذا المصطلح في الكتاب المقدس ، صحيح أنه غير موجود في الكتاب المقدس ، بغض النظر عن [رسالة بولس إلى أهل فيلبّي ٦/٢] : « الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله » .

لا نجد له لفظياً ، ولكنه محتوى معنوياً .

ونص القانون هو من يظن أنه كان زمن لم يوجد فيه ابن ، وأنه لم يكن له وجود قبل أن وُلِدَ ، أو ابن الله مخلوق ، أو قابل للتغيير أو متغير فهم خارج الكنيسة الجامعة الأصولية .

مشاركوا المجمع وافقوا على هذا النص ، حتى الآريوسيون أنفسهم ، باستثناء اسقفين مصريين تينس وسيكولس ، وحكم على تعاليم آريوس ، وخوفاً على وحدة الامبراطورية التي سعى إليها قسطنطين ، أمر بإحراق أعمال آريوس ، ولكن المشكلة لم تحل بشكل نهائي ، وظلت نبوة سمعان الشيخ نافذة المفعول ، حسب [لوقا ٣٤/٢] : « وباركها سمعان وقال لمريم أمه إن هذا قد وُضِعَ لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامة تقاوم » .

تعاليم آريوس : رأى آريوس أن الآب عظيم بعيد كل البعد عن البشر ، والله الذي أراد الاقتراب من الخلق ، خلق الكلمة يسوع الذي أصبح عن طريق مشابراته وسعيه نحو الكمال إلهاً ، بدرجة اللاهوت بالتبني ، وأمن آريوس أن الابن في أسمى مكان ، ووصل إلى أعلى درجات الارتفاع ، « لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب مجد الله الآب » ، [رسالة بولس إلى أهل فيلبّي ١٠/٢ و ١١] ، إلا أن كل هذه ماهي إلا هبة أوعطية من الله الآب إلى الابن ، لأنه هكذا مسرة الله .

ولقد وصل آريوس إلى درجة القول بأنه يمكن أن تقول إن الابن هو الله ، أو إله .

ويبدو كأنه يوجد تناقض ، في الحقيقة لا يوجد تناقض ، في تعاليم آريوس ، ربما هنا تكمن المشكلة ، يمكن أن تقول إن الابن هو الإله حسب آريوس ، ولكن ليس لأنه عظيم وسام ، وإلى منذ الأزل ولأنه نفسه مصدر كل سمو ، وعظيم وسلطان ، لأن الآب الذي خلقه وجعله بكر كل الخليقة قد منحه هذه العظمة والسلطان ، الابن يصير ابناً

شرعياً ووارثاً له ، ولكنه يختلف عن الآب في الجوهر ، « سمعتم أنني قلت لكم أنا أنهب ثم آتي إليكم ، لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون لأنني قلت أمضي إلى الآب ، لأن أبي أعظم مني » [يوحنا ١٤/٢٨] .

الخطأ الذي وقع فيه آريوس ، والذي وقع فيه الكثيرون هو أنه عدّ الآيات التي تتكلم عن يسوع الابن ، كما لو كانت تتكلم عن شخص الابن كلياً وجزئياً ، ولقد غاب عنه أن هذا الإنسان الذي تألم هو نفسه الذي يقول عنه يوحنا « في البدء كان الكلمة » .

الآيات التي سُمّي الابن فيها بأسماء الله كثيرة وعديدة ، وذكرنا بعضها .
الطبيب والمؤرخ (لوقا) يكتب في كتابه [أعمال الرسل ٢٠/٢٨] : « احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » .

« وعن الملائكة يقول : الصانع ملائكته رياحاً ، وخدامه لهيب نار ، وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » ، [رسالة إلى العبرانيين ٨/١] .

« ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح ، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » ، [رسالة يوحنا الأولى ٥/٢٠] .

الله بعدما أن كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة بابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء ، والذي به أيضاً عمل العالمين الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما سمح بنفسه تكفيراً لخطايانا ، جلس في يمين العظمة في الأعالي .

بما لاشك فيه أن ابن الإنسان يسوع المسيح الناسوت ، محدود العلم ، وينمو ويكبر كما ينمو أي طفل آخر حسب [لوقا ٢/٥٢] : « وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة

والقامة ، والنَّعمة عند الله والنَّاس » ، « وأما ذلك اليوم وتلك السَّاعة فلا يعلم بها أحدٌ ولا الملائكة الذين في السَّماء ولا الابن إلاَّ الآب » [مرقس ١٣/٣٢] .

ولم يكن مجرَّد يسوع النَّاصري ، بل كان الكلمة للتجسُّد في الوقت نفسه ، التي من ذات الله ، والتي هي الله نفسه ، وهذا هو السرُّ العظيم الذي يقاوم كل إدراك ، وهنا يبدأ الإيمان ، وكلُّ ما رآه آريوس هو الجسد ، والجسد فقط .

يقول يسوع : « كلُّ شيء قد دفع إليَّ من أبي ، وليس أحدٌ يعرف الابن إلاَّ الآب ، ولا أحدٌ يعرف الآب إلاَّ الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » [متى ١١/٢٧] .

« طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إنَّ لحماً ودماً لم يعلن لك لكنَّ أبي الذي في السَّموات » [متى ١٦/١٧] ، وتوجد آية أخرى لأعرف مكانها في الكتاب المقدَّس : « لا أحد يأتي إن لم يسجنه أو يعذبه الآب »^(١) .

وللإيضاح يُزعم أننا ننسب لله ولادة تنازليَّة ، وحاشا لله ، ليست هذه النبوة نبوة جسدية ، بل نبوة روحانيَّة فعليَّة ذاتيَّة .

يقال : العقل يلد الأفكار ، فهل معنى هذا أن العقل تزوَّج ؟ والولادة من الثالوث الأقدس لا يوجد فيها انفصال ، الابن يخرج من الآب دون أن ينفصل عنه ، ويخرج منه ويظل فيه ، وكما الفكرة تخرج من العقل ، وما زالت فيه ، كذلك الكلمة ، الكلمة كابن الأصفياء ، ابن الشِّفاء ، ويقال أيضاً ابن مصر ، وابن النيل ، ولكن لا أحد يقول إن معنى هذا أن مصر تزوَّجت ، أو أن النيل تزوَّج ، وفي الحديث : « الأغنياء وكلائي ، والفقراء عيالي » ، وهل يقصد الحديث هنا ويعني علاقة جسدِيَّة ، طبعاً لا ، وإنَّما قال آريوس الابن مخلوق لأنَّه لم يفهم أن الابن المقصود به عقل العقل ، كما

(١) لم نعثَر عليها في فهرس الكتاب المقدَّس ، في [يوحنا ٥٦٨] : « قلت لكم إنَّه لا يقدر أحدٌ أن يأتي إليَّ إن لم يُعطَ من أبي » .

وصف الغزالي الأتقنوم الثاني في كتابه [الرُّدُّ الجليل ٤٣]^(١) : « ذات عاقلة لذاته » ، فإن الله كان فترة من الزمن وهو الخالق غير عاقل ، أودون عقل عاقل ، وحاشا الله ، وروح القدس هو حياة الله ، كيف إذن يكون الله حياً قبل خلق هذه الروح ، لا يمكن الفصل بين الشمس وبهاء نورها ، وكما يبقى لهب النار الذي ينور أولاً ، وثانياً يعطي حرارة ، يبقى دائماً لهباً واحداً .

أبو بكر محمد بن الطَّيِّب الباقلائي ، قال : إذا انعمنا النظر في قول النَّصَّاري إن الله جوهر واحد في ثلاثة أقانيم ، لا نجد بيننا وبينهم اختلافاً كبيراً إلا في اللفظ ، [شمس القواعد ٥]^(٢) .

الشيخ محي الدين بن عربي في [فصوص الحكم ٣٥/٢]^(٣) يقول : « الكلمة هي الله متجلياً ، وهي عين الذات الإلهية لا غيرها » ، وفي سورة [البقرة : ٢١٥/٢] ذكر ابن السَّيِّل ، الذي سَمَّى بهذا الاسم لمشيئه المستمر غير المنقطع ، وكذلك (ابن الله) ملازم الأب بشكل دائم .

والإمام مالك يقول في تفسير الآية الخامسة من [سورة طه] : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ : الاستواء غير معقول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة^(٤) .

-
- (١) كتاب الغزالي (الرُّدُّ الجليل على من غير التَّوراة والإنجيل) .
(٢) لم نجد كتاباً للباقلائي بهذا العنوان ، لقد أورد سيد صقر في مقبلة تحقيق (إعجاز القرآن) تسعة وخمسين كتاباً للقاضي الباقلائي ، ليس بينها هذا العنوان ، ولم نجد الكتاب للباقلائي ولا لغيره لا في كشف الظنون ، ولا في الذيل عليه .
(٣) لم يذكر الطبعة للتحقق من النص ، ومع ذلك عدت إلى كتاب (شرح فصوص الحكم) طبعة ١٩٨٥ م ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، فوجدت ص ٢٣٣ : « فهو كلمة الله ، وهو روح الله ، وهو عبد الله » ، وفي ص ٢٣٤ : « فالموجودات كلها كلمات الله التي لا تنفد ، فإنها عن كن ، و (كن) كلمة الله .

- (٤) وصواب هذا : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » ، والضمير عائد إلى الكيف .

وكم حريّ السؤال عن صلاة الله الأَقْنومِيَّة في ذاته ؟ من يحوّل الكلام عن الذات والأقانيم إلى عمليَّة حسابيَّة لا يفهم شيئاً عن هذا الأمر ، ولا توجد عمليَّات حسابيَّة عن الله ، وفق ذلك لا تقول واحد + واحد + واحد ، بل واحد في واحد في واحد ، ويسوع قال إن فيّ الأب ، والأب فيّ^(١) .

استأنف الحزب الآريوسي نشاطه من جديد ، مستغلاً كل الوسائل للوصول إلى نشر تعاليمه ، ويرجع السبب إلى نفوذ (هيلينا) أم الإمبراطور ، وإلى أخت قسطنطين وحاشيتها ، لأنَّهم كانوا آريوسيين ، أقنعت (هيلينا) قسطنطين أن آريوس وأتباعه لا يستحقُّون هذا الحكم القاسي .

كما بدأ أسقف نيقوميديا يهاجم تعاليم المجمع النيقاوي بشكل غير مباشر ، وكان لديه تأثير قوى على الحاشية الإمبراطوريَّة ، وبدأ يستغل بعض الأشخاص المهمِّين ، وخاصة أخت قسطنطين لإثبات براءة آريوس ، وإعادته إلى منصبه ، وأصدر بعض الأساقفة الأصدقاء نصّاً جديداً لقانون الإيمان ، الذي يدل ظاهره على الأرثوذكسيَّة ، وأمر القيصري إعادة آريوس إلى الكنيسة .

إسكندر ، أسقف الإسكندريَّة كان قد رحل إلى عالم الأبدية ، وخلفه أثناسيوس الذي رُسم أسقفاً في سنة ٣٢٨ م ، وكان محبوباً عند الشعب ، ولكنه وجد حفنة من الكهنة من زمن الإسكندر ، الذين لم يوافقوا على رسالته ، وعلى رأسهم ملاتيوس ، ووفق ذلك ، تدخلت عناصر أجنبيَّة في المقاومة ضد الأسقف الجديد .

وأوسيب من نيقوميديا ، رأى في أثناسيوس خصماً قوياً يجب التخلُّص منه ، وظنَّ أنَّ ارتقاء أثناسيوس لعرش أسقفية الإسكندريَّة يعني القضاء العاجل والمؤكد على

(١) لانوحيد ، ويبقى التثليث ثلاثة : واحد داخل واحد داخل واحد ..

الآريوسية ، لذلك أثار الفتنة ، وكوّن الأحزاب ، وأشعل النار بين أثناسيوس وبين بعض الكهنة المصريين عن طريق اتهامات مختلفة ، مثل :

١ - قَرَضُ أثناسيوس الضرائب على المؤمنين .

٢ - وأن أثناسيوس قتل أرسينوس .

ولكنه دُعي إلى القيصر وأظهر براءته ، وهذا يعني فشل هذه المحاولة ، وعُقد جمع صور ٣٣٥ م ، لدراسة أمر آريوس ، وأتى أثناسيوس بحشمه وبيوصفه أسقفاً ، ولكنه مَنع من الدُخول بحجة أن الوفد المصري غير مدعو للاشتراك في أعمال الجمع .

وحرص الجمع في الواقع أن يتهم أثناسيوس بقتل أرسينوس ، مع أن أثناسيوس أرسل نفسه إلى الجمع لكي يبرهن على براءته ، ولكن الجمع واصل اختراع الاتهامات ضد أثناسيوس ، حتّى ذهب هذا إلى القيصر ليرفع دعوته إليه ، فاستغل الجمع هذه الفرصة ، وحكم عليه أثناء غيابه ، وأعادوا آريوس إلى منصبه .

طلب القيصر وفداً من صور ، أوسيب وخمسة آخرين ، وهم الذين قالوا إن أثناسيوس هدد بعدم تصدير القمح من الإسكندرية إلى القسطنطينية ، الأمر الذي أغاظ الإمبراطور ، وفوق ذلك عرف أن هذا الرجل يحاول فصل السلطة الروحية عن السلطة العالمية ، ولذلك صدّق ما قيل ، ووافق قسطنطين على حكم جمع صور ، وخلع أثناسيوس ونفاه ، وأعاد أتيوس إلى مكانه ، هذا يعني انتصار آريوس والآريوسية ، ونُصّب ككاهن في القدس ، لأن الكنيسة المصرية رفضت القرار ، وهناك بقي إلى موته سنة ٣٣١ م ، ومات بمرض (الدّيزانطرية) ، وبعد خمس سنوات مات قسطنطين أيضاً ، وتولّى قسطنطين الثاني حكم الغرب ، وأصدر القرار بإعادة كل الأساقفة المنفيين .

جاء في [إتناس ٢٥] أن قسطنطين الثاني كان صاحب المصادرة ، فأحدث إثارة شغب واضطرابات في الأجزاء التي كان يحكمها إخوة قسطنطينوس في الشرق .

وبعد عودة أثناسيوس مباشرة بدأ أوسيب نيقوميديا من جديد في تدبير المؤامرات ضد أثناسيوس ، وعلى رأس المعارضين أوسيب نيقوميديا ، فكتب رسائل إلى الأساقفة ، وإلى رومة ، يدّعي فيها أن الشعب المصري لا يرغب في عودة أثناسيوس مرة أخرى .

واتهم أثناسيوس مرة أخرى بمنع توزيع القمح ، وأساقفة مصريون اجتمعوا في السنة نفسها وأظهروا تأييدهم الكامل لأثناسيوس وابتهاجهم بعودته .

كانت ردّة الفعل في رومة ، الدّعوة لعقد مجمع مسكوني في رومة ذاتها ، إلا أن الآريوسيين رفضوا هذا الاقتراح ، وقالوا : إن القضية قضية شرقيّة سبق أن صدر بشأنها حكم من مجمع شرقي ، وفي مثل هذا الشكل استمرت الخصومة خمس مرات .

كان أثناسيوس في المنفى ، والجريمة الوحيدة التي ارتكبها هي دفاعه عن أزيّة الابن ، مثلاً ست سنوات ، من سنة ٣٥٥ م إلى ٣٦١ م ، في المنفى الرابع ، ولقد عين الإمبراطور أحد موظفي المالّة أسقفاً بدل أثناسيوس ، مما سبب هجر الشعب للكنيسة التي كان يصلي فيها الأسقف الجديد ، مما أغاظ الأسقف ، فطلب من الشرطة (البوليس) إحضار الذين ذهبوا إلى الصحارى والمقابر للقيام بالصلاة فيها ، وحاصرت الشرطة الكنيسة والمقابر ، وقبضت على مئات من الناس ، وألقي بهم في السجون .

وتؤكد المصادر أن أثناسيوس أثناء إقامته في الإسكندرية بين فترات في المنفى ، وفي الصحراء ، كان دائماً يميل إلى مدّ يد المصالحة إلى الآريوسيين ، وأثناسيوس نفسه لم يرَ اليوم الذي عقد فيه المجمع المسكوني في القسطنطينية سنة ٣٨١ م ، [توفي] قبل ذلك سنة ٣٧٣ م ، وهذا المجمع - مجمع القسطنطينية - قبل القانون النيقاوي ، وأضاف بعض الإضافات حول روح القدس ، روح القدس الرب المنبثق من الآب .

وهذا الاستعراض من التاريخ الكنسي في القرون الأولى ، يظهر لنا أن القول بأنّ الثالوث المقدّس مفروض على المسيحية قسراً ، بعيد عن الحقائق التاريخية الموجودة في المصادر الموجودة بين أيدينا .

طفولة المسيح :

عن قضية طفولة المسيح ، الإنجيليون يسدلون ستاراً حول طفولة المسيح ، يكاد يكون ستاراً كثيفاً ، ومتى لا يتكلم عن طفولة يسوع ، بل يصف الجو الذي وُلِدَ فيه هذا الطفل ، ولوقا مثلاً يذكر حادثة الختان وتطهير الأم ، ثم يقول : « وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه » [لوقا ٤٠/٢] ، وفي [لوقا ٥١/٢ و ٥٢] : « ثم نزل معها وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لها ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها ، وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » .

واليهود قالوا عنه : « أليس هذا ابن النجار ، أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا .. » [متى ١٣/٥٥] ، وفي [الرسالة إلى العبرانيين ١٧/٢] : « من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب » .

ولقد اندهش الكثير من الكتاب من صمت العهد الجديد عن الإفضاء بمزيد عن حياة يسوع ، ونسأل هنا كيف كان يعمل ويتصرف ؟ هل كان يذهب إلى المدرسة .. إلخ ؟ ولكن هم الرسل والإنجيليين أن يجيبوا عن هذه الأسئلة والأمور التي تهم علم النفس والاجتماع .. إلخ ، ولا تشغل عند كتاب العهد الجديد إلا حيزاً صغيراً جداً جداً على الهامش ، بل كان هدفهم أن يشرحوا لنا أن يسوع الناصري الذي وُلِدَ من مريم العذراء ، ويسوع المسيح المنتظر الذي يخلص العالم من خطاياهم ، وهدف الأناجيل تبين حقيقة روحية هامة منذ القرن الثاني الميلادي إلى القرن الخامس ظهرت عدّة أناجيل ورسائل نسبها للمؤلفون إلى بعض التلاميذ والرسل لكي يسهل توزيعها وانتشارها ، وتسمى الكتب الأبكر وفيّة ، أو الأناجيل للزيفة ، التي حاولت من الخيال أن تملأ الفراغ الذي تركته الأناجيل .

وهذه القصص أصبحت تسلية للمسافرين ، ولأغراض تجارية وسياسية ، وكانوا يقصّون بعضها في هذه السفرات الطويلة ، مع قصص تصف لنا طفولة المسيح ، فالمعجزات كانت تصحبه أينما حلت أخبار أصدقائه عن الأسرار ، والأساطير تكوّن أساطير .. إلخ ، وانتشرت وزادت بين الناس ، فالإنجيليون فضلوا على العكس ، الصمت بشأن هذه القضية الثانوية ، وهذه القصص نُسبت إلى التلاميذ والرسل ، حتى تستطيع عن طريق هذه العناوين أن تدخل إلى الكنيسة فتقرأ وتدرس وتقبل كأنجيل قانونية رسولية ، كأنجيل توما ، وإنجيل يعقوب ، وإنجيل المصريين ، وإنجيل يوسف النجار ، والإنجيل العربي ، وإنجيل بطرس ، وإنجيل يوحنا .. إلخ ، ومن الجدير بالذكر أنّ تعاليم الغنوصية تسيطر على كثير من هذه الأناجيل ، وكما هو معروف أنّ تعاليم الغنوصية تنكر ناسوت المسيح ، لذلك فهي لا ترى إنساناً حقيقياً ، بل هيئة إنسان كان يأكل ويشرب وينام ، متظاهراً ذات هيئة بشرية غير حقيقية ، ولقد شبّهوا جسد يسوع بالنور أو شعاع الشمس ، فإنّ النور أو شعاع الشمس يمكن لها أن يخرقاً لوحاً من الزجاج دون أن يكسر هذه اللوحة ، وهذا ما حدث لمريم العذراء التي احتفظت بعذريتها ، وهذا ما حدث ليسوع في حادثة موته ، فالمسيح لا يمكن أن يموت ، لأنه غير قابل في حال من الأحوال للآلام ، فقد رفض الغنوصيون المسمون (بالعارفين) عقيدة الصلب ، لأنها لا تتفق مع لاهوت المسيح ، ولكي يفشروا هذه القضية يقتبس الكثيرون منهم قصة سمعان القيرواني [لوقا ٢٣/٢٦ و ٢٧] : « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروائياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع ، وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كنّ يلطمن أيضاً وينحن عليه » ، ولكن ليس من الإنجيل بل من الأناجيل المزيفة التي تجعل من سمعان القيرواني الشخص الذي أخذ مظهر يسوع الناصري وهيئته .

وتقرأ في إنجيل يوحنا للزيف : لست أنا يسوع المعلق على الصليب ، ولكن

الإنجيليين كان همهم أن يقدّموا أن يسوع هو المسيح ، هم غير باحثين عن يسوع حسب الجسد كما هو مذكور في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس [١٦/٢٥]^(١) .

إنن نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد ، وإن كنّا عرفنا المسيح حسب الجسد ، لكن لا نعرفه بعد ، وما سبق أن قلناه لا يعني بأيّ حال من الأحوال عدم البحث والتنقيب في التاريخ ، وما في العلوم المختلفة ، عما يقوله التاريخ والعلوم عن يسوع .

وهذه الكتب على الرّغم من أخطائها الكبيرة مفيدة لفهم التيارات المختلفة التي كانت تواجهها الكنيسة في القرون الأولى .

ولتوضيح مشكلة وصف الطفولة في الأناجيل ، عندما نجتمع لكي نتكلّم عن أمور دينيّة أو تاريخيّة لا نتكلّم عن أسعار الخضر والفواكه ، لأنّها لا تهمننا ، وأيضاً الله يتكلّم بما ينفعني ، أو بما ينفع الناس ، ويأخذ الأهم ، هو أظهر لنا في العهد القديم بكل وضوح أن لا أحد طبّق الناموس الإلهي تطبيقاً كاملاً لأن فطرتنا غير مسلمة ، غرائزنا وشهواتنا تجذبنا ، تسحبنا دوماً إلى الأسفل ، إلى مخالفة الناموس ، والمسيح صابر ، وقال : « لا تظنّوا أنّي جئت لأتقّض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأتقّض بل لأكمل » [متى ١٧/٥] ، يعني ليطبّق الناموس الإلهي تطبيقاً كاملاً ، يعني من البداية إلى النهاية ، ولذلك لا يهمننا ما شرب ، وكيف نام ، بل نسأل الله رسم قانون طبيعي ، وإذا جاء بالجسد ، فمن المفروض عليه أن يلتزم به ، ويهمننا في هذا المجال هل جابه كطفل وقته حسب الناموس ، وقدّم في الهيكل حسب الناموس ، ثم كبر كطفل عادي ، خضع لوالديه ، يعني طبّق الناموس هنا أيضاً ، ولا نريد أن نعرف أكثر .

(١) الإشارة هنا خطأ ، ونظنها : الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس [١٠/٤] : « حاملين في الجسد كل حين إماتة الربّ يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا ، [١١] لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت » .

ولم يأت ليتظاهر بل جاء ليقوم بمهمة ، لم تفهم ماريا ، أولم تدرك ماريا ذلك عندما وجدته في الهيكل ، عندما كان في السنة الثانية عشرة ، أي الخضوع تحت الناموس ليكمل ، ولا نسأل ماذا فعل بين سنة ١٢ وسنة ٣٠ ، يكفي أننا أنه اشتغل نجاراً ، وعمل بيديه حسب الناموس ، حسب التوراة : ستأكل خبزك بعمل يديك .

ولا يوجد في الأناجيل أي وصف عن طفولة المسيح وشبابه ، إلا ما يهمني لخلاصنا ، فعندما أذهب إلى مكتب كي أحصل على إذن للسفر ، لا يهمني ماذا يفعل الموظف في وقت فراغه ، أبيع الخضراوات لا ، بل يهمني هنا عنده تذكرة أم لا ، إذن أم لا ، وهل يستطيع أن يعطيني إذنًا للسفر أم لا .

وهكذا الإنجيل لا يذكر ثانويات ، بل يطرق إخلاء الذات ، يسوع قال : « إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني » [متى ٢٤/١٦] ، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يطلب منا ذلك ، لأنه نفسه طبق ما قاله وأنكر نفسه ، وأخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس ، وإذا وُجد في الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب .

وهنا نصل إلى سؤال : ما معنى الآية المذكورة مراراً : « إيلي إيلي لما شبقني ، أي إلهي إلهي لماذا تركتني » [متى ٢٧/٤٦] ؟ من الهم أن نكون واعين إلى أن عملية النيابة التي قام بها المسيح لم تكن عملية تمثيلية ، الغرض من هذا الموت هو أن يأخذ يسوع مكاننا كخطاة أمام الآب ، أي أن يصبح هو نفسه الذي لم يعرف خطيئة ، لأجلنا رفع على الصليب ، فأخذ المسيح مركز الإنسان الخاطيء المتمرد للبتعد عن الله ، وبالتالي الإنسان المرفوض من الله ، وعندما احتل للمسيح مكان هذا الإنسان الخاطيء المرفوض ، وشرب الكأس إلى نهايته ، وذاق مرارته وعلقمه القاسيين ، صرخ بصوت عظيم : « إيلي إيلي لما شبقني » .

والغرض من الآلام التي اجتازها المسيح هو المصالحة ، أي إنَّ الله كان في المسيح مصالِحاً العالم نفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة .

وتحمّل المسيح آلاماً جسديّة كالشهداء الذين تألّموا بطريقة أكثر وحشيّة ، وذاقوا العذاب لفترة أطول ، بل تحمل غضب الآب عليه ، فقد كان جواب الآب ليسوع المعلق على الصليب ، ففي آي الله كما يذكر الكتاب : « المسيح افتدانا من لعنة النّاموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنّه مكتوب ملعون كلّ مَنْ عُلّق على خشبة » ، [رسالة بولس الرّسول إلى أهل غلاطيّة ١٣/٣] ، وبمعنى أصح ، لقد حوّل الله الآب وجهه عن هذا البديل ، حتّى يتجرّع الكأس حتّى نهايتها ، وبذلك صرخ : « إيلي إيلي لما شبقطني » .

ولا تنسَ أن يسوع صرخ هذه الصّرخة في السّاعة التّاسعة ، ثلاث ساعات بعد أن بدأت ظلمة شديدة تسود على الأرض ، هذه الظلمة ، وهذه الصّرخة تعلن لنا الحقيقة المرّة المظلمة ، وهي غضب الله الذي انصبّ على يسوع كمثّل للبشريّة الخاطئة ، المحكوم عليها بالموت ، ولذلك يسلمه للموت حتّى ينتصر الموت عليه ، ولكن شكراً لله أن القصة لم تنتهِ هنا ، كما قال يسوع : « انقَضُوا هذا الهيكل ، وفي ثلاثة أيّام أُقيمه » [يوحنا ١٩/٢] ، أشار في هذا الكلام إلى موته وإلى قيامته ، وهنا نسأل ماهي الآية التي جاء بها يسوع ليثبت مطالبته ويؤكد من خلاصها أنّه هو يسوع المنتظر ؟ الكلمة المتجسّدة ، كثيراً ما أغاظ اليهود بقيامه بآماله لا تليق إلا بالله ، مثلاً دخوله إلى الهيكل ، وغفران الخطيئة .. إلخ .

وسألوه : أيّ آية تريّنا ؟

ونحن نعرف أن يسوع قام بمعجزات كبيرة حتّى إحياء الموتى ، وكلُّ هذه العجائب لم تجعلهم يؤمنون به ، لأنّ أنبياء قبله أيضاً أقاموا الموتى ، مثل (إيليا) ، ونتيجة لهذا الضّغط من قبل اليهود ، قال لهم : « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلاّ آية يُونان النّبي » [متّى ١٢/٣٩] ، ماهي هذه الآية الجديدة التي سوف يعطيهم

إياها ليثبت لهم أنه أعظم من موسى ، هل هناك عمل خارق يقدر الإنسان أن يقوم به أعظم من إقامة ميت وإعادته إلى الحياة ثانية ؟

هنا احتمال واحد فقط ، وهو أن يقيم نفسه بعد موته ، وكما قيل في [يوحنا ١٨/١٠] : « ليس أحد يأخذها^(١) مني بل أضعها أنا من ذاتي ، لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً ، هذه الوصية قبلتها من أبي » .

وعندما سئل يسوع بعد دخوله إلى الهيكل : من خولك أن تدخل هيكل الله الحي وتتصرف كأنك سيده ؟ أضاف إلى نبوته - أي نبوة يونان - شيئاً جديداً ، أنه تحدّى اليهود لينقضوا الهيكل ، الهيكل المملوء بمجد الله ، ولكن هنا يشير إلى نفسه ، وكأنه يقول : انقضوني ، أنا الذي فيّ يحيى كلُّ الملك [رسالة كولوسي ١/٢] : « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » .

كانه يقول : أميتوني ، وعندما أقيم نفسي من الموت بعد ثلاثة أيام سأقدم لكم كل دليل تطلبونه على أنني ربُّ هذا الهيكل ، وبقيامته أقر أنه فعلاً هو كلمة الله المتجسدة ، أو بعبارة أخرى انتصر على الموت ، وهذا الانتصار لا يعني انتصاره هو فقط على الموت ، بل انتصارنا نحن أيضاً عليه ، وحتى تقول : أين شوكتك ياموت ؟ أين غلبتك ياهاوية [الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٥٥/١٥] .

وعلى الرغم من الآلام التي اجتازها السيّد ، ومن قيامته ، هو المصالحة ، « أي إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة » ، [الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥/١٩] .

والأخ المسلم يسأل أو يتساءل : أين كلمة المصالحة هنا ؟ أين هنا يد المصالحة ؟ وهذه الكلمة صحيح أولاً وأخيراً موجهة إلينا ، وتعني لنا أيضاً أن نعترف بالإسلام ديناً

(١) أي الحياة ، كما فسر السيد روديفر .

عالمياً ، موجّهاً للبشريّة كلّها ، وتخدم دين المسلم وقرآنه الكريم ، وتقول : لك دين ولي دين ، كما قال الشاعر خليل جرحس خليل :

دور العبادة مسجدٌ وكنيسةٌ	ولها الهلال مع الصليب جنودٌ
والنّاسُ إمّا رافعون أكفّهم	جمعاً، وإمّا زكّع وسجودٌ
ومنائر بجوارها وماذنٌ	يعلو الأذان بها ويسمو الجودُ
وأخي أنا وأنا أخي قرآنه	حُسنٌ وإنجيلي هدى وسعودُ
متعاضدانِ محبة ومودة	متآخيان وعهدنا مَعهودُ

والشاعر الحكيم المصري يقول :

الله يجمعنا (١)	فلا يفرّقنا في الأرض إنسانُ
غدا الصليبُ هلالاً في توحّدنا	وجمّع القومَ إنجيلٌ وقرآنُ
أواصر الدّم والتّاريخ تجمعنا	فكلنا في رحاب الحبّ إخوانُ (٢)



(١) أثبتنا في البيت ما ذكره السيّد روديفر بلفظه ، وكأنّه عنده بيت على حياله ، غير منتبه إلى أن ما ذكره لا يقوم له وزن الشعر .

(٢) انتهى كلّ ما قدّمه السيّد روديفر بخطّه وبصوته .

خاتمة

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّةٌ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ. انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ .

[المائدة : ٧٥/٥]

وبعد ..

فإن من حقِّي أن أقدم رأيي فيما قدَّمه السيّد روديغر براون ، والسبب أنّه سمع مني
أولاً ، ثمّ علّق وناقش وردّ ، ثمّ قدّم ماقدّم - كتابةً أو صوتاً - ولم تتيح لنا ظروفه أن
نلتقي لمتابعة الحوار ، فقد كان يستعد للسفر إلى ألمانيا ، وواقعاً غادر السيّد روديغر
سورية أواخر نيسان ١٩٩٤ م ، وكان على صلة معي في أواخر إقامته ، يزورني في
مكتبي ، وأبدى كلّ تقدير واحترام ، وواعد أن نبقي على صلة ، برسائل وإن قلت .

شكرته على متابعته في تحصيله ، وعلى سعة صدره ، وعلى تقديره واحترامه ،
وذكرته بوعده منذ اللقاء الأول ، بأنّ يقدم الإسلام للناس كما هو عند أبنائه ، لا كما
تقدّمه الكنيسة الأوربيّة مشوّهاً بافتراءاتها وأكاذيبها .

ولن أذكر في تعلّيقى كلّ شيء ، سأذكر الهام جداً فقط ، وذلك عن قصد ، ألا
وهو أن يعقد القارئ مقارنة بين ماقدّمت وبين ماقدّم ، ليصل إلى النتيجة التي يراها
حسب محاكمته وثقافته ، ولن أفرض رأياً ، فأنا ضد فرض الآراء - كما بينت خلال
صفحات هذا الكتاب - ولكنني مع القناعة للكونة من بحث ودراسة موضوعيّين ،
بعيداً عن التعصّب والحقد والكابرة .

من النقاط البارزة التي يمكن التنبيه إليها ، قول السيد روديغر :

- « لأن الروح تفحص كل شيء حتى أعماق الله » ، كلام غير صحيح ، وغير مقبول ، فالإنسان لم يعرف أمر روحه التي بين جنبيه ، فكيف يعرف (أعماق الله) ؟ !
- وركز السيد روديفر على أن أمر الثالوث الأقدس « تفوق مداركنا المحدودة » ، « لأنها تمثل له سر إيمانه الذي لا يستطيع أن يشرحه » ، « وهو سر على الإحاطة به ، لذلك لا أجرب أن أحيط الثالوث الأقدس بعقلي المحدود » ..

إن محدودية العقل واردة حينما يريد المرء الحديث عن كنه الذات الإلهية ، لاعتدادنايتها ، وحينما نتكلم عن أبعاد أعماق الكون أو أطرافه ، ومسافاتها بملايين ملايين السنين الضوئية .. أما في معرفة دينه ، وشرح عقيدته فقيمة الوضوح ، لأن العقل ليس بمعزل عن اعتقادي ، وهذا ما عتبت به السيد روديفر عند انتهاء جلسة الأربعاء ١٩٩٤/٢/٩ م ، قلت له : أنا أحدثك عن العقل والفكر وتحكيم المنطق ، وطرح إجاباتي بشكل عملي منطقي ضمن قناة العقل ، حتى الإسراء والمعراج إن لم يقبله العقل رفضته ، إن محمداً ﷺ لم يسر بنفسه ، الله هو الذي أسرى به ، وجعل الإسراء حادثة أرضية يقوم الدليل والبرهان عليها ، لتثبت للمعراج ، وقلت له : يا سيد روديفر ، حفيدي عمره يوم أو يومان ، قام من سريره ، وأخذ مفتاح سيارتي ، وقادها ، وقام بنزلة على قمة جبل قاسيون ، هل تصدق كلامي هذا ؟ طبعاً لا ، ولأنا أصدقه ، ولكن لو قلت لك : أنا أخذت حفيدي من سريره ، وأنا وضعته في السيارة ، وأنا قدتها متنزهاً معه على قمة جبل قاسيون ، ثم عدت به إلى سريره ، هل تصدق هذا الكلام ؟ طبعاً نصدقه ، فهو عقلائي تماماً ، والله للمثل الأعلى سبحانه وتعالى ، لم يسر محمد ﷺ بنفسه ، بل الله أسرى به ، وجعل الإسراء - كحادثة أرضية يمكن البرهان عليها - دليلاً على المعراج ، لذلك طلبت قریش وصف بيت المقدس لأنها تعرفه ، وتعرف أن محمداً ﷺ ما رآه في حياته ، وسألته عن غيرها ، ولم تسأله عن سدرة المنتهى ، لأنه من رآها كي يقول : إن الوصف صحيح ، فمن عظمة الحادثة أنها قُسمت إلى حادثة أرضية قام البرهان العقلي عليها ، وحادثة سماوية سبقتها معجزة إلهية سلّمت

قريش بها بعد أسئلتها ، وإلا كان للمعراج ممكناً من مكة المكرمة مباشرة ، بلا إسرائ إلى بيت المقدس .

ياسيد رود يغر أنا أحدثك عن العقل ، وتبدأ إجاباتك بعزل العقل : تفوق مداركنا ، سرّاً لا يمكن شرحه ، وعقلي محدود ..!

- وقال : « الله في العبرية Elohim إلهيم في صيغة الجمع ، ألوهية جامعة » .

قال المختصون لدى مراجعتهم وسؤالهم عن (إلهيم) :

إيلوها جمعها إيلوهيم ، صيغة مطوّلة من (إيل) بالآرامية elah ، وبالعربية ilah ، وتظهر التسمية (إيلوها) أربعين مرة في سفر أيّوب ، وهي نادراً جداً ما تشير إلى إله وثني ، مع ذلك في [الخروج ١٢/١٢] : إن إيلوهيم (آلهة المصريين) ، وقد ترد بمعنى إله وثني مفرد [قضاة ٢٤/١١] ، بل يمكن أن نصادف (إيلوهيم) تسمية لآلهة وثنية [١ مل ٥/١١] .

إيلوهيم : تسمية كنعانية الأصل ، ذات معنى يدل على الجمع ، أخذها عنهم العبرانيون الأوائل ، واستخدموها بالمعنى الإفرادي ، لقد كان في الشرق الأدنى القديم في النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد ، اتّجاه مؤكّد شبه توحيد ، وكان يمكن لكل إله أن ينتحل صفات الإله الآخر ، وهكذا يمكن أن يدعى إله مفرد elohai (آلهي) ، أو adonai (أربابي) ، ولم يشعر العبرانيون الأوائل بأيّ حرج في الإشارة إلى إلههم الوحيد بهذه الأسماء .

واستخدمت (إيلوهيم) في التّوراة أيضاً لوصف أشخاص غير إلهيين ، وفي [١ ص ١٢/٢٨] تعني إيلوهيم (شبحاً) ، وفي [زكريا ٨/١٢] استخدمت لوصف بيت داود .

يُوحّد أحياناً بين (يهوه) و (إيلوهيم) في صيغة (يهوه إيلوهيم) ، ويظهر مصطلح (إيلوهيم) ٢٦٠٠ مرة تقريباً في التّوراة ، لكن حتّى عندما تشير كلمة

(إيلوهيم) إلى إله إسرائيل فإنه يمكن التعامل معها بصيغة الجمع [تك ١٣/٢٠] ، لكن الإشارات بصيغة الجمع استخدمها الكتبة التوراتيون كأسماء للآلهة التي أَدانوا عبادة الإسرائيليين لها ، وهو ما نجده في صيغة (إيلوهيم أحريم) أي آلهة أخرى ، [خروج ٣/٢٠ ، تثنية ٧/٥] ، أو (إيلوهيم حدشيم) أي آلهة جديدة ، [قضاة ٨/٥] ، ونلاحظ هنا أنَّ الكتاب التوراتيين استخدموا للعين الفردي لكلمة (ألوهيم) في تسمية الآلهة المحرمة مثل عشتار ، ملكوم ، كاموش [٢ مل ٥/١١ ، ٣٣/١١] .

ولأنَّ (إيلوهيم) مقابلة لـ (أناشيم) ناس [قضاة ١٣/٩] ، فهي يمكن أن تتضمن أيضاً درجات بين النوعين : الإلهي والبشري ، وبين تلك الدرجات نجد الأرواح [١ مل ١٣/٢٨ ، ١ ش ١٩/١٨] ؛ والآلهة الصَّغيرة [تك ١٥/٤٨ و ١٦] .

ويمكن استخدام مصطلح (إيلوهيم) في تعابير وصفية ، وذلك بمعنى العظمة ، والقوة وما شابه ذلك ، مثلاً : روح إيلوهيم ، أي ريح عظيمة [تك ٢/١] ، نسيم إيلوهيم : أمير كبير [تك ٦/٢٣] ، نفتولي إيلوهيم : صراعات عنيفة [تك ٨/٣٠] .

فكيف فهم السيّد روديغر Elohim ألوهية جامعة ، ليستدل بذلك على التثليث وتعدد الإله ؟!

- ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ [البقرة : ٢٨/٢] ، ألا يعني ذلك الجنس البشري كلّهُ ؟

لا ، الخطاب لآدم وحواء وإبليس ، ويوضح ذلك ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ ، أي الشيطان عدو لكم ، [صفوة التفاسير ٥١/١] .

- « نرى الثلاثة والتوحيد في الوقت نفسه » .

وكلُّ ما سبق هذه العبارة من استشهادات لا يدل على صحّة هذه النتيجة مطلقاً .

- واستشهد السيد روديفر بتفسير الرازي لعنى كلمة (المسيح) ، فأورد قولاً مشوشاً مبتوراً .

جاء في (التفسير الكبير) للإمام الفخر الرازي [٤٩/٨ - ٥٠] في تفسير قوله تعالى : ﴿ المسيح عيسى ابن مريم ﴾ ، المسيح هل هو اسم مشتق أو موضوع ؟
الجواب فيه قولان : الأول : قال أبو عبيد الليث : أصله بالعبرانية مشيحا ، فعربته العرب وغيروا لفظه .

القول الثاني : إنه غير مشتق ، وعليه الاكثرون .

قال ابن عباس : إنما سمي عيسى عليه السلام مسيحاً ، لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ من مرضه .

قال أحمد بن يحيى : سمي مسيحاً لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها ، ومنه مساحة أقسام الأرض .

إنه كان مسيحاً لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى .
إنه مسح من الأوزار والآثام .

سُمي مسيحاً لأنه ما كان في قدمه خص ، فكان ممسوح القدمين .
سُمي مسيحاً لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك ، يُمسَحُ به الأنبياء ، ولا يُمسَحُ به غيرهم ، ثم قالوا : وهذا الدهن يجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة أن كل ما مَسَحَ به وقت الولادة فإنه يكون نبياً .

سُمي مسيحاً لأن جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له من مَسِّ الشيطان .

سُمي مسيحاً لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن .

قال أبو عمرو بن العلاء : المسيح : الملك .

قال النخعي : للمسيح الصدية ، والله أعلم .

هذا ما أورده الإمام الفخر الرازي في تفسيره (التفسير الكبير) حرقياً ، لا ما أورده السيد روديفر

- وقال السيد روديفر : « كلمة الله » ، و « روح منه » ، لقبان انفرد بهما المسيح .

لا ، لم انفرد بهما السيد المسيح .

لأن (كلمة الله) كانت : (كن) ، أي كن من غير واسطة أب أو نطفة ، و (كن) وردت عدة مرات في كتاب الله المجيد :

- ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٧/٢] .

- ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٧/٣] .

وبشأن آدم عليه السلام : ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران :

٥٩/٣] .

- ﴿ إِنَّا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠/١٦] .

- ﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [مريم : ٢٥/١٩] .

- ﴿ إِنَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٧٢/٣٦] .

- ﴿ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [غافر : ٦٧/٤٠] .

إن (كلمة الله) : كن كانت بحق السيد المسيح ، وبحق آدم ، وبحق : ﴿ إِنَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا .. ﴾ .

و ﴿ روح منه ﴾ أي ذو روح مبتدأة من الله ، وهو أثر نفخة جبريل عليه السلام في صدر مريم ، حيث حملت بتلك النفخة ليعيش .

و (من روح الله) ، و (روحنا) ، و (من روحي) جاءت في آيات عديدة :

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧/١٩] ، أي فأرسلنا إليها جبريل عليه السَّلام .

- ﴿ فَتَنَفَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ٩١/٢١] ، كناية عن وضع سرٍّ من أسرار الله تعالى في بطنها كان به وجود جنينها عيسى وحياته ، ﴿ مِنْ رُوحِنَا ﴾ ، أي من جهة روحنا جبريل ، الذي نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى .

- ﴿ فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢/٦٦] ، أي فنفخنا فيه روحاً من خلقنا بلا وساطة أب .

وبحق آدم : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩/١٥] .

وبحق آدم أيضاً : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [ص : ٧٢/٢٨] .

وهكذا (كلمة الله) ، و (روح منه) لقبان لم ينفرد بهما المسيح ، ومع ذلك فلنقرأ الآية بشكل كامل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء : ١٧١/٤] .

فلنتمعن بـ :

- ١ - ﴿ لَا تَغْلُوا ﴾ .. لا تجاوزوا الحدَّ ، ولا تفرطوا فيه .
 - ٢ - ﴿ إِنَّا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ، رسول الله ، والرُّسل كُثُر ، هو أحدهم .
- ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ، فآمنوا بالله ، لا بالمسيح ، آمنوا بالله وَرُسُلَهُ وهنا المسيح ضمناً في رُسُلِ الله .

٤ - ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ ، رفض للتثليث .

٥ - ﴿ انتهوا خيراً لكم إنا الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض .. ﴾ ، فبعد الأمر بالانتهاء عن القول ثلاثة ، تأكيد على التوحيد ، وتذكير بملك الله العظيم .

وهكذا .. الآية ذاتها ناطقة بالتوحيد ، مؤكدة عليه ، رافضة التثليث ، « التأم جرح والأساة غيب » .

- وقال السيد روديفر : « الإنجيليون يسدلون ستاراً كثيفاً » .

ونتساءل : لِمَ هذا الاتفاق للسبق ؟ هل هو مصادفة ؟ أم لأسباب أخرى فرضت هذا الستار الكثيف ؟

وقال السيد روديفر : حياة يسوع من ١٢ إلى ٣٠ من عمره « قضية ثانوية » .

عجيب غريب أن تكون ١٨ سنة من حياة يسوع « قضية ثانوية » ، فلا تعليق على كون حياة أقنوم من ثلاثة أقانيم - في عقيدة روديفر - ثانوية .

- وقال السيد روديفر : « عندما نجتمع لأمر دينية أو تاريخية لا نتكلم عن أسعار الخضر والفواكه لأنها لا تهمنا » .

صحيح هذا القول ، ولكن عندما نجتمع لبحث أسعار الخضر والفواكه ، العكس صحيح ، لا نتكلم عن أمور دينية أو تاريخية لأنها لا تهمنا .

حياة يسوع ٣٣ سنة ، ضاع منها مع سِنِي الطفولة ثماني عشرة سنة أخرى ، هذا غير مهم ، « لا يهمنا كيف شرب ونام » ، بل يهمنا لشرب مثله ونام مثله ، إنه القدوة لأتباعه ، « ولا نريد أن نعرف أكثر » ، لماذا ؟ بل نريد أن نعرف كل لحظة في حياته ، وهو الذي وُلِدَ بمعجزة .

- « إيلي إيلي لما شبقطني » ، على الرغم من تفسير السيد روديفر ، نتساءل : ألا يعلم السيد المسيح ما يفعل به ، وما الهدف ؟ فلو عرف المعنى الذي قدّمه السيد روديفر لما سأل .

وإن غاب عنه المعنى ، أين الألوهية !

- ومثال بائع تذكرة السفر ، لا تنطبق أيضاً على حياة يسوع ، فأنا - حقاً - لا تهمني من حياة بائع التذكرة إلا التذكرة ، ولا ألقاه إلا مرات محدودة في كل حياتي ، وذلك عند السفر ، ولكن تهمني حياة يسوع كلها وبتفاصيلها الدقيقة ، في كل ساعة في حياتي لأقتدي بها وأعمل كما عمل ، فهو القدوة والأسوة .

كيف تصرف في كل موقف ، كي أتصرف - في حياتي - كما تصرف .

لقد استشهد السيّد روديفر بالتّوراة والإنجيل ، ولكنه لم يتطرق إلى موثوقيتها ، ومتى كتبت ، وأوجه الخلاف والتناقض بينها .

وهكذا .. لم يجب عن :

- كيف نفّس وجود التثليث في العقائد الوثنيّة القديمة ، ووجوده في المسيحيّة !
- وكيف نفّس وجود الصلب أيضاً في العقائد الوثنيّة القديمة ، ووجوده في المسيحيّة !

- ولماذا لم يفد خطايا البشريّة - وهو الرّب - دون صرخات وآلام ..!
- ولم يتوقف عند دور العقل والعلم قبالة الرّموز والأسرار ، وقبولها تسليماً دون حوار ، ممّا سبب انتشار الإلحاد في أوربة ، حتّى لم يبق سوى ٥% ممن يزورون الكنائس في الآحاد .

- ولم يتطرق إلى مكتشفات مغاور قران ، مكتشفات البحر الميت ، ولا إلى مكتشفات قنّا (نجع حمادي) .

إن بساطة الإسلام ، ووضوح مبادئه ، جعلته الأقدر على كسب الأتباع ، وهو الأول بين عقائد العالم في مخاطبة العقل ، ومواكبة العلم .

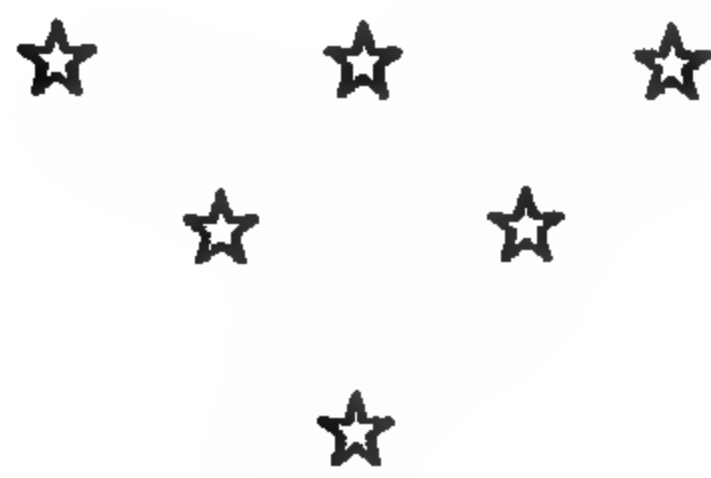
وإن الذي قدّمته خاضع للحوار ، ولا أقول هو الإسلام ، بل أقول : إن الذي قدّمته ، ما فهمته أنا من الإسلام ، ولا أحمل الإسلام فهمي الخاطئ إن أخطأت أو سهوت .

كما وإنني لا أقول إن ما قدّمه السيّد روديفر براون هو الرّد المسيحي الكنسي عن أسئلتي ، بل إنه ما فهمه عن دينه .

لذلك .. وليبقى الحوار دائماً - بشروطه وآدابه - بين المسلمين ضمن الجماعة الإسلامية الواحدة ، وضمن الجماعات فيما بينها ، وبين السّنة والشّيعة للتّواصل ووحدة الصّف ، وبين المسلمين والعلمانيّين ، وبين المسلمين والمسيحيّين بهدف البحث عن الحقّ لاتباعه ، والخضوع إليه دون مواربة أو تعصب .

قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ، وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ، اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الحج : ٦٨/٢٢ - ٦٩] .

والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخراً .



المصادر والمراجع

- آفاق المستقبل ، جاك أتاني ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
- أسرار الفاتيكان (قضية ليدل) ، ليوبولد ليدل ، ترجمة تحسين حجازي ، دار التضامن ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .
- أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح ، أشرف على التحرير البروفيسور جون هيك ، تعريب د . نبيل صبحي ، دار القلم - الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .
- الإسلام كبديل ، د . مراد هوفمان ، مؤسسة باقاريا للنشر والإعلام والخدمات مع مجلة النور الكويتية ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .
- إظهار الحق ، رحمة الله خليل الرحمن الكيرنوي الهندي العثماني ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ١٩٨٩ ، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد عبد القادر خليل مكّاوي .
- أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- الدعوة إلى الإسلام ، السير توماس آرنولد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ م .
- أعيان الشيعة ، العلامة محسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ١٩٨٣ م .
- البداية والنهاية ، الحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٤ م .
- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية) د . يوسف الحسن مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠ م .

- تاريخ أوربة في العصور الوسطى ، هـ . أ . ل فيشر ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة (بلا تاريخ) .
- تاريخ الرُّسل والملوك ، ابن جرير الطبري دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب ١٩٦٠ م .
- تاريخ العالم ، السير جون همرتون ، مكتبة النهضة المصرية .
- التفسير الكبير ، الفخر الرازي محمد بن عمر التيمي البكري (فخر الدين) ، طبعة دار الفكر بيروت .
- تنصير المسلمين (بحث في أخطر استراتيجيات طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري) ، عبد الرزاق دياربكري ، دار النفائس الرياض .
- جواهر الأدب ، أحمد الهاشمي ، مكتبة المعارف بيروت .
- الحركة الصليبية ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٣ م .
- حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م .
- حول الوحدة الإسلامية ، أفكار ودراسات ، إعداد قسم العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .
- الحيدة ، عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكنائي ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، د . موريس بوكاي ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس .
- رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، محمد نحي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة الطبعة السابعة ١٩٥٨ م .
- صفوة التفاسير ، محمد علي الصَّابوني ، دار الرُّشاد (بلا تاريخ) .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٦ م .
- قصة الحضارة ، ول ديورانت ، للنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية القاهرة .

العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التّنير ، بيروت ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م .
مجموعة رسائل في علم التّوحيد ، صحّحه وأشرف على طبعه القاضي عبد الرحمن بن يحيى
الإرياني ، وزارة الإعلام والثقافة اليمنيّة ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
محاضرات في النصرانيّة ، محمد أبو زهرة ، دار الكتاب العربي ، مصر الطبعة الثالثة
١٩٦١م .
المعتقدات الدينيّة لدى الشّعوب ، ترجمة د . إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة العدد
١٧٣ ، عدد أيار (مايو) ١٩٩٣م .
مقالات إسلاميّة ، مرتضى المطهري ، دار التّعارف للطبوعات بيروت .
موسوعة المستشرقين ، د . عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين بيروت .
الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب للعاصرة ، الندوة العالميّة للشّباب الإسلامي ،
الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
مناهج المستشرقين في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة ، المنظمة العربيّة للتّربية والثقافة
والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج . صدر في إطار الاحتفال بالقرن
الخامس عشر الهجري .
نهج البلاغة ، تحقيق الدكتور صبحي الصالح ، منشورات دار الهجرة بيروت .
ينابيع المسيحية ، خوجة كال الدين ، تعريب إسماعيل حلمي البارودي ، لجنة المحققين
لندن ١٩٩١م .



المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الحوار دائماً ضمن الجماعة الإسلامية الواحدة	١٥
من ركائز الحوار ضمن الجماعة الواحدة	٢٣
الحوار دائماً بين الجماعات الإسلامية على مختلف مواردها وقنواتها	٢٥
الحوار دائماً بين السنة والشيعة	٣٣
الحوار دائماً بين المسلمين وبين العلمانيين	٤٧
الحوار دائماً بين المسلمين وبين أهل الكتاب	٥٢
وثائق من الحوارات	٥٥
رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى المسيح بن إسحاق الكندي، يدعوه بها إلى الإسلام	٥٧
حوار مع مستشرق	٦٣
اللقاء الأول : الحوار الإسلامي-المسيحي	٦٥
اللقاء الثاني : آفاق الإسلام في أوربة	٧٦
اللقاء الثالث : الوثنية تُقحم بالمسيحية	٨٣
اللقاء الرابع : كيف طرأت الوثنية على الديانة المسيحية الموحدة ؟	٨٨
هل وُجد المسيح حقاً ؟	٨٨
نشأة عيسى	٩٢

الموضوع	الصفحة
الرّسالة	٩٤
الرّسل	٩٥
قسطنطين والمسيحيّة	٩٨
اللقاء الخامس : الإعجاز في القرآن الكريم	١٠٥
الإعجاز اللّغوي	١٠٦
الإعجاز العددي	١١٣
اللقاء السادس : الإعجاز في القرآن الكريم	١١٦
الإعجاز العلمي	١١٧
الإعجاز الغيبي	١٢٢
الإعجاز التشريعي	١٢٥
اللقاء السابع : أعلام الحوار في الوقت الحاضر	١٢٦
مناهج المستشرقين في تناول مصادر المسلمين	١٢٦
إلى أيّ حدّ تؤثر الحملات الصليبيّة على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟	١٢٧
أسماء بعض المستشرقين الذين قدّموا الإسلام عقيدةً بشكل موضوعي	١٢٨
ما الكتب التي تخدم المسلمين في الاطّلاع على المسيحيّة ؟	١٢٨
الحاجز الأكبر بين المسلمين والمسيحيّين	١٢٩
ظاهرة التّبشير المسيحي الغربي، وأثرها على الحوار بين المسلمين والمسيحيّين	١٢٩
مؤتمر كولورادو	١٣٠
نقطة الانطلاق المناسبة للحوار الإسلامي-المسيحي	١٣٢
مستقبل المسيحيّة في المنطقة	١٣٤
الهويّة الإسلاميّة ضمن العروبة	١٣٤

الموضوع	الصفحة
اللقاء الثامن : (إجابة السيد روديفر براون) :	١٣٥
محدودية العقل	١٣٦
آيات كتابية	١٣٧
ألوهية المسيح	١٣٨
سقوط آدم	١٣٩
شهادة العهد الجديد	١٤٢
شهادة القرآن الكريم	١٤٧
كلمة الله، وروح منه	١٥٠
استعراض تاريخ الفكر المسيحي	١٥٠
كلام عن تاريخ الفكر المسيحي	١٥٧
طفولة المسيح	١٦٧
خاتمة	١٧٤
نقاط بارزة يمكن التنبيه إليها	١٧٤
إلوهيم (Elohim) في صيغة الجمع	١٧٦
الفخر الرازي وتفسير ﴿المسيح عيسى ابن مريم﴾	١٧٨
(كلمة الله، وروح منه) لقبان انفرد بهما المسيح	١٧٩
ما لم يجب عنه السيد روديفر	١٨١
الإسلام هو الأقدر على كسب الأتباع	١٨٣
المصادر والمراجع	١٨٥

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

إلى الأستاذ الدكتور

شمس أبو خليل

تعليقات عن قضية

التثليث والصلب.

روديفر بروك

James Brauer

١٢ | ٤ | ٩٤

الحوار دائماً للتواصل . وتنفيذاً لأمر الله تعالى :
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة ٢/٢٥٦] ،
والحوار دائماً لتحقيق وحدة الصف ، الحوار الذي يفتح
الأبواب الموصدة بين الإخوة أنفسهم ، وبينهم وبين
الآخرين ، ويزيل ماتوهم كلٌّ عن الآخر .
الحوار دائماً بعيداً عن المواقف المتحجرة ، التي توصل إلى
ضيق الأفق ، والبعد عن الحقيقة .
والحوار ضرورة ، ولكن ضمن (ميزان) هو آداب الحوار
وشروطه ، فالحوار الصحيح - إن صدقت النيات - لا يصل
فيه أحد الطرفين إلى قواعد ، أو نتائج : إن محيط نصف
الدائرة يساوي نصف قطرها لاشتراكهما بكلمة (نصف) ،
أو : دائرة مربعة ، أو مثلث متوازي الأضلاع .